بقلم مختلف

د.عروب
السيد يوسف
الرفاعي

KALEMAT
للنشر والتوزيع

د. عروب الرفاعي

بقلم مختلف

دار كلمات

عروب
السيد يوسف
السيد هاشم الرفاعي

كاتبة من الكويت، تحمل درجة الدكتوراه في الدراسات الادارية، وناشطة في قضايا المرأة والمجتمع.

"في هذا الكتاب أناقش قضايا المجتمع بقلم امرأة تحمل طفلها في يدها وطموحها في قلبها، وتعرف حجم المهارة والجهد اللذان يحتاجهما الجمع بين هذين المتنافرين. أتحدث في كتابي بقلم امرأة لها عدة وجوه: هي تارة عانس وأخرى متزوجة وتارة مطلقة وربما زوجة أولى. قد تكون المرأة التي أتحدث عنها ربة بيت أو موظفة أو فلاحة أو بدوية ترعى أغنامها. أتحدث عن المرأة حين تُظلم باسم الاسلام وحين تُنصف باسمه. أتحدث عن رؤية المرأة لمجتمعها ورؤية المجتمع للمرأة. أتحدث عن امرأة طالما تحدث الرجل باسمها، وآن لها أن تكتب ما تريده بقلم مختلف."

@aroubalrifai

تصميم الغلاف | منيرة القناعي
@muneeraalqinaie

KALEMAT
للنشر والتوزيع

- بقلم مختلف
- عروب السيد يوسف الرفاعي
- دار كلمات للنشر والتوزيع
- الطبعة الثانية 2020

دولة الكويت/ محافظة العاصمة-القبلة-شارع عبد الله المبارك، برج علي، الدور الثامن، مكتب 11 ج: +96599114060

البريد الكتروني: Dar_Kalemat@hotmail.com

الموقع الكتروني: www.DarKalemat.com

للتواصل مع المؤلف: aroubalrifai@yahoo.com

تويتر: @aroubalrifai

- جميع الحقوق محفوظة للناشر: لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق من الناشر.

*All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form, or by any means without the prior written permission of the publisher.

رقم الإيداع: (2014/642)

ردمك: ISBN: 978-99966-45-37-2

بقلم مختلف

مقالات

عروب السيد يوسف الرفاعي

2020

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بدأت رحلتي مع العمل الاجتماعي حين كنت في الخامسة عشرة من عمري، وكان ذلك حين انضممت لجمعية بيادر السلام النسائية. سمح لي العمل الاجتماعي عموماً والنسوي خصوصاً أن أرى عالم المرأة واضحاً بجماله ومتاعبه وتحدياته. وجدت نفسي قريبة من المرأة الطفلة والمراهقة والسيدة، وعشت شخصياً جميع تلك المراحل كفتاة ثم كزوجة وأم. كانت الرحلة مع جمعية البيادر ثرية، أتاحت لي حضور مؤتمرات محلية ودورية والعمل بلجان رسمية وشعبية والتعرف على العمل الأهلي والاجتماعي بمختلف اهتماماته.

وفي عام ٢٠٠١ قررت أن أبدأ الكتابه في الصحف عن تجربتي في العمل الاجتماعي عموماً والنسوي بالذات ليقيني بأنَ الكتابة هي أداة تواصلٍ هامة بين جمهور العمل الأهلي والمجتمع ككل، بما فيه المثقفين ومتخذي القرار. كتبت بدايةً في مجلة النهضة ثم انتقلت لصحيفة القبس ثم صحيفة الوسط ولاحقا صحيفة الأنباء، مما مكنني من الانتشار العام. كما كتبت في صحيفة الحركة الإسلامية مخاطبةً جمهور التيارات الاسلامية على وجه الخصوص. كان هدفي مناقشة قضايا المجتمع بقلمٍ مختلف، قلمٌ يجمع بين النظرية والتطبيق، وبين الواقع والتنظير. تحدثت في كتاباتي بلسان امرأةٍ تحمل طفلها في يدها وطموحها في قلبها، وتعرف حجم المهارة والجهد الذي يحتاجه الجمع بين هذين المتنافرين. تحدثت في كتاباتي عن المرأة وتحدثت للمرأة ووثقت تجربتها ما استطعت إلى ذلك سبيلا. فتنوع خطابي للمرأة تارةً بتوعيتها، وتارةً بتشجيعها، وأحياناً بمعاتبتها، وكذلك بتفنيد الاتهامات التي توجه لدورها وقدراتها، وأخيراً بمناقشة قضايا المجتمع العامة باسمها. كانت

لدي الرغبة بأن أرى حقوق المرأة السياسية تكتمل في بلدي، وكذلك برؤية المرأة وقد أصبحت شريكا كاملاً في إدارة شؤون مجتمعها، وان تقبل الشريك الجديد أفضل من إنكار وجوده والتشكيك فيه.

وهذا الكتاب هو مجموعة مقالات اجتماعية واسلامية وسياسية وعامة، كان لها صدى واضح في مجتمعي، لمسته من كلمات الناس الذين كنت ألتقي بهم في الاماكن العامة فيهمسون: لا تتوقفي، أو كلامك يمثلني، أو برافو، ثم في حجم الاتصالات التي تلقيتها من صحف متنوعة تدعوني للكتابة بعد أن توقفت عنها. أسأل الله أن يجد القرّاء الكرام كتابي نافعاً ممتعاً، وأن يحمل محتواه دفعةً لمجتمعنا العربي والاسلامي نحو مزيد من الوعي باحتياجات المرأة ومزيد من التعزيز لدورها.

عروب السيد يوسف الرفاعي

سبتمبر 2014

المقالات الاجتماعية

نظرة مختلفة لقضايا المرأة

للنساء فقط

كثيراً ما سُئلت السؤال التالي: لماذا تخصص الصحف صفحات للمرأة ولا تخصص صفحات للرجل؟ ولماذا توجد جمعيات نسائية ولا توجد جمعيات رجالية؟ ولماذا تطرحون كنساء قضايا نسائية ولا يتحدث الرجال عن قضايا رجالية؟

وبالرغم من أني اعتدت الجواب على هذا السؤال لتكرار سماعي له، إلا أنّي فضلت وضعَ السؤال على الموقع الالكتروني "ياهو" وطلبت من أعضاء الموقع المشاركة بالإجابة، واستلمت الكثير من الإجابات الطريفة والواقعية. إحدى الإجابات قالت بأن المرأة حين خرجت إلى الحياة العامة في بداية القرن الماضي، وجدت أنّ كل المؤسسات والمنظمات يديرها الرجل، سواء الحكومة أو البرلمان أو الجيش أو العمل التجاري، ووجدت أنها مضطرة أن تتحدث عن أهمية مشاركتها كامرأة في تلك الأماكن، ومن هنا بدأ الحديث عن قضايا المرأة. إجابة أخرى تقول أن الرجال لديهم العديد من الأماكن التي يلتقون بها ويتبادلون همومهم مثل الديوانية والقهاوي والأندية الرياضية، أما النساء فليس لديهن مثل تلك الأماكن، لذا فالرجال ليسوا بحاجة لجمعيات رجالية، فكل شيء متاح لهم. إجابة أخرى قالت إنه ما دام هناك ظلم يقع على المرأة لأنها امرأة فيجب لها أن تتحرك ضمن التجمعات النسائية، فالاغتصاب مثلاً عدوان على المرأة لا يماثله عدوان على الرجل وهكذا.

وأما أنا فأقول مضيفة بأنّه ما دامت المرأة مختلفةً عن الرجل في نظرتها للحياة وللعالم، وما دامت المرأة تحمل وتلد وترضع وتربي وتعطي، وما دامت هي الأم والأخت والابنة، وما دامت مصدراً للحب لبيتها ووطنها، فأنا لا أرى مانعاً من أن تُخصّص لها صفحات أو ندوات نسائية.

ولو عدنا إلى الجزء الثاني من السؤال وهو: لماذا لا يكون للرجال قضايا وصفحات رجالية؟ والجواب بأن الرجال لديهم ذلك بالفعل. فلدى الرجال اليوم مجلات رجالية، وبرامج حوارية تلفزيونية رجالية تشبه برامجنا النسائية، بل ولديهم صالونات تجميل رجالية وعروض أزياء رجالية، وأخذوا شيئاً فشيئاً ينافسوننا في قضايا كثيرة بعضها سبق أن قاموا بمعايرتنا بها. وأنا لا أستبعد فكرة إنشاء جمعيات رجالية، بل إنني أدعو لذلك، فالرجال لديهم الكثير مما يجمعهم ويحتاج منهم إلى عمل منظم، والأمثلة كثيرة وعلى رأسها ضرورة أن يناقشوا دورهم كآباء وأزواج وأبناء، وأن يناقشوا ما لحق بهذا الدور الهام من تقصير، وكيف يمكنهم تدارك ذلك.

هنا لابد من التأكيد على أنّه بالرغم من إشارتي لمبررات تخصيص صفحات بل وجمعيات لقضايا المرأة، إلا أنّ هذا لا يعني أبداً أن المرأة لا تجيد التحرك إلا في الأماكن المخصصة لها، بل إن العمل المشترك الذي يجمع المرأة والرجل هو الأغلب لأن مضمونه خلافة الأرض وعمارة المجتمع. خلاصة القول هو أننا نريد أن نرى المرأة شريكة في كل مواقع التنمية والعطاء بالإضافة إلى رؤيتها في الأماكن المخصصة للنساء فقط.

مايو 2007

أبسط حقوق المرأة

من الجميل أن يغار الرجل على محارمه من النساء، ولعل إحدى صورهذه الغيرة المحمودة هو عدم زج الرجل باسم نسائه في كل حدث. لكن المبالغة في إخفاء اسم المرأة وتحول ذكر اسمها إلى مشكلة هو قضية غير مقبولة، غالبا ما نراها في مشاجرات مدارس الأولاد، حيث تبدأ المشاجرة بتلفظ أحدهم باسم أخت أو أم الآخر، وتنتهي بخناقة كبيرة فيها الكثير من الضرب والسباب.

أما شواهد المشكلة الأكبر فتحملها القصة التالية. نقلاً عن لسان إحدى الأخوات: "منذ صغرنا، تعلمنا ألا نُصرّح بأسماء أمهاتنا حتى لصديقاتنا في المدرسة، وإذا حصل وسُئِلنا فإننا نعطي اسماً آخر غير حقيقي" وتضيف "حتى نحن كفتيات يكون لنا اسمان منذ طفولتنا، اسم حقيقي واسم آخر وهمي يتم مناداة الفتاة به" وتكمل الأخت "كنت في صغري أظن أن هذا اسم دلع كما يحصل عند الدول الأخرى، ولكني اكتشفت أن الاسمين كلاهما حقيقي، يعني مثلا نورة ومريم، أو فاطمة وآمنة. وهكذا، فعلمت أنها أسماء للتمويه وليست أسماء للدلع".

وأما على الصعيد الشخصي، فكان يظهر لي وسط هذه العتمة من العادات والتقاليد السلبية، بصيص نور في مقولة "نحن إخوان فلانة"، واستغربت أنّ الرجال في هذه المقولة يعلنون اسم أختهم صراحة، في مجتمعات تعودت أن تعتبر اسم المرأة من المحظورات والمخجلات. وظهر لي الجواب وهو أنّ هذه مقولة "للفزعة"، يقولها الرجل فقط إذا أصابته مصيبة، فيقول لمن حوله "ساعدوني وأنا أخو فلانة"، ليوضح أنه في شدة من البلاء بلغت به درجة تسمح حتى بإظهار اسم محارمه من النساء، وبالتالي

فإن سياق هذه المقولة الاجتماعي لا يحمل أي معنى من معاني الفخر بالمرأة كأخت كما كنت أعتقد.

ختاماً نقول لإخواننا الرجال: ساعدونا و"نحن بنات حواء"، خفّفوا تسلطكم حتى على أبسط حقوقنا وهو الاسم. إن مثل هذه الممارسات تنتقص من مكانة المرأة وحقوقها، فلاسم الإنسان أثرٌ كبير على شخصيته واعتزازه بنفسه، وتمويه هذا الاسم وإخفاؤه يوقع المرأة في حيرة وفي ضعف ثقة بالنفس ويجعل المرأة تشعر بقلة الأهمية والتهميش، وخاصة أننا نعيش في مجتمعات يلعب فيها اسم الإنسان واسم عائلته الدور الكبير في تحديد هويته بل ودينه ومذهبه. إننا بنات فاطمة وصفية وعائشة، حيث لم يجد قدوتنا عليه الصلاة والسلام حرجاً من ذكر أسمائهن علانية، فمتى يكون الكتاب والسنة هو حكمنا ومرجعنا.

فبراير 2006

الزوجة القلقة

ترزح المرأة المتزوجة غالباً إن لم يكن دائماً تحت قلق أن يرتبط زوجها بامرأة أخرى، فإذا كان الزوج مستقيماً فإنّ قلق المرأة يكون بدخول زوجة جديدة حياة زوجها، وإذا كان الزوج غير مستقيم فإن القلق قائم من ارتباط زوجها بصديقات يقضي معهنّ وقته. ولست هنا للمقارنة بين قلق الحليلة والخليلة فهذا ليس موضوع المقال، فالحلال أبرك وأفضل، هذا أمر مسلَّم به، لكن موضوعي هو ذلك القلق السلبي الذي يعطل كما أراه طاقة الكثير من النساء النفسية والقلبية في متابعة شيء قد يحصل وقد لا يحصل.

بداية أقول بأنّنا جميعاً نعلم أنّ التعدد رغبة فطرية عند الرجل، بل أزيد على ذلك أنّ هناك صوتاً داخل كل امرأة يقول لها أنّ زوجها قد يرتبط بأخرى في يوم من الأيام، وهو صوت طبيعي وقد يكون إيجابياً يدفع المرأة لمزيد من الاهتمام بزوجها. إلا أنَ المرأة حين تسمع من زوجها ما مفاده أنه لا يفكر بالارتباط بغيرها فإنها تشعر أنها ملكت الدنيا وأنها تسير على الطريق الصحيح، فتنطلق لتقوم بأعباء بيتها وشؤون أبنائها وهي إيجابية راضية مستقرة. المشكلة تقع حين يحمل سلوك الزوج وأقواله إشارات مقلقة وغير مطمئنة للزوجة بأنه قد يكون على علاقة بامرأة أخرى، ويرفض طمأنتها لاعتقاده أنه غير مضطر لذلك، فهو رجل وله الحق في الارتباط بمن يشاء، عندها يتحول صوت القلق الفطري داخل المرأة إلى صراخٍ حقيقي يؤثر على سير حياتها.

ومن تجربتي مع المرأة، وجدتُ أنّ المرأة القلقة على زوجها إنسانة معطلة الطاقات، لا تنتج في عملها الصباحي ولا في تربية أبنائها ولا في عطائها. إنّ الزوج الذي يُدخل زوجته في دوامة القلق والترقب إنّما يقوم حقيقةً بتحويل الزوجة من إنسانة إيجابية مهتمة

بالأبناء والبيت ونشر الحب والهدوء في أرجائه، إلى امرأة قلقة شكاكة تقضي وقتها في السوق وصالون التجميل حتى لا تكون فلانة أو فلانة أحلى منها، أو تقضيه في البكاء وإعادة رواية قصتها مرات ومرات لصديقاتها وحبيباتها، وقد تستهلك وقتها في متابعة أخبار زوجها ومحاولة الوصول إلى أي معلومة صحيحة أو خطأ عنه، أو ربما تقضيه في التفكير بالطريقة التي تستطيع بها الانتقام من هذا الزوج. إنه قلق بشع يضر الزوجة ويمزق الأبناء الذين يتابعون مسلسل ما يحصل بين والديهم وقد حرموا من الأمن في منازلهم. وإذا كان هذا المقال يتحدث عن قلق المرأة وهي لم تتأكد بعد أن زوجها قد ارتبط بأخرى، فلكم أن تتصوروا حالها عندما تتأكد أنّه قد فعل ذلك. أسأل الله أن يرزقنا الحكمة، رجالاً ونساء وأن يُلهمنا تقدير نتائج الأمور حق قدرها.

يناير 2007

الزوجة الأولى

يتساءل بعض الإخوة الرجال بتعجبٍ مصطنع عن السبب الذي يجعل المرأة تغضب أشد الغضب عندما يتزوج زوجها بأخرى، ولقد رأيت في هذا المقال أن أوضح ما يمكن توضيحه من معاناة تلك المرأة وأنا مدركة إدراكاً حقيقياً بأنّ قلمي لا يمكنه ترجمة الكثير من معاناة الزوجة الأولى.

بداية أقول أنّ المرأة في أول زواجها تتحمل مع زوجها كل ما يرتبط بالبدايات من مشقة، فتقف الزوجة بجانب زوجها حين يكون راتبه قليلاً، ويتعاونان ويكابدان المشقات لبناء منزل العمر، وتشجع المرأة زوجها حين يكون موظفاً صغيراً في عمله. كل ذلك وهي صابرة مشاركة، ثم يحدث أن تمرّ الأيام وينتهي بنيان البيت ويتحسن دخل الزوج وتبدأ الأيام الصعبة بالانسحاب، عندها يبدأ حديث الزوج عن حاجته لزوجة ثانية للمرحلة الجديدة، حاجته لزوجة جديدة تشارك الزوجة الأولى حصاد صبرها لسنوات طويلة. عندها تلتفت الزوجة الأولى لتجد أنه كان لديها زوج فأصبح لديها نصفه، وكان لديها بيت فأصبح لديها نصفه، وكان لديها أب أو ربما نصف أب لأبنائها فأصبح لديها نصفه، إنه الشعور بالخسارة الحقيقية، ولعل الرجال يدركون أكثر من غيرهم معنى دخول شريك جديد في مشروع كان يملكه ذلك الإنسان بالكامل واستهلك منه عمره وحياته.

ثم تلتفت المرأة مرة أخرى لتجد أنها دخلت مرحلة حقيقية من المقارنة المتعبة التي لا تنتهي، فالزوج لا إرادياً أو حتى إرادياً سيقارن بينها وبين الجديدة، وهي كذلك إرادياً أو لا إرادياً ستقارن بين سلوكه معها وبين سلوكه مع المرأة الجديدة، إنها بلا شك أيام نكدات من المقارنة تجد الزوجة الأولى أنها أقبلت عليها، ووداعا للهدوء وراحة البال.

ثم تدرك الزوجة الأولى أن المنافسة بينها وبين الزوجة الجديدة منافسة غير متكافئة، فالأولى قديمة، والثانية جديدة بما يرتبط بكل جديد من بهجة وسعادة وتغيير، وتدركُ بأسف أنّ القضية قد تحتاج لسنوات حتى تتعادل الكفة بينها وبين الجديدة. ثم تنظر القديمة إلى نفسها فتجد أنّها مثقلة بأعباء الأطفال ولعلّ أغلبهم أصبحوا مراهقين ومزعجين، بينما الجديدة خفيفة في حملها، بيتها هادئ ومشاكلها أقل فتشعر القديمة أيضاً بصعوبة ما هي مقبلة عليه.

كذلك، فإنّ مما يغضب الزوجة القديمة يقينها أن زوجها حين أقبل على الزواج بأخرى فإنه معتمد على ثقته بأنّ القديمة ستسكت وتتحمل الشراكة مضحية من أجل أبنائها، وهذا ما تفعله الكثير من الزوجات حين تلملم الواحدة منهنّ جراحها وتصبر لتبقي الأبناء تحت ظل أبيهم. إنّ رهان الرجل على حس الأمومة القوي داخل المرأة يزيد من حزنها وشعورها بأنّ هذا الزوج يستغل أمومتها وعاطفتها استغلالاً حقيقياً.

وقد يردد الزوج أمام الزوجة الأولى أنّها الغالية أم الأولاد وأنها لم تقصر بحقه كزوج وغيره من جمل متداولة حفظتها النساء، ولكن الزوجة الأولى تعلم أن بحث الزوج عن امرأة جديدة يحمل للقديمة رسالة ذات مضمون مختلف ومغاير، وإلا فما الذي يدفع الزوج للزواج بجديدة لو كانت حياته ممتازة مع القديمة؟ ولعل هذا المعنى هو ما يدفع نساء الحي والمنطقة إلى التساؤل عما يعتبرونه نقصا في القديمة وميزة في الجديدة دفعت الزوج لهذا القرار. ولا شك أن هذا المعنى هو أكثر ما يجرح الزوجة التي تعلم أن زوجها بدوره لم يكن كاملاً في يوم من الأيام، وأن فلاناً وفلان من الرجال أفضل منه بالكثير، ولكنّها تضطر لإكمال حياتها مع زوج غير كامل فيما يصرُّ هو على أن يتزوج بجديدة تكمل كل نقص في القديمة!

ختاماً فإنّ تعاطفنا كنساء مع الزوجة الأولى هو تعاطف فطري ندركه بالسليقة، وربما يصعب على الرجال أن يدركوه كما ندركه نحن النساء، لذا لا يسعنا إلا أن نسأل الله أن يصبر كل زوجة أولى ويعينها على ما ابتلاها إنّه سميع قريب.

فبراير 2007

المرأة العانس

لا شك أنّك أيها القارئ الكريم قد انزعجت من استعمالي للفظ عانس كعنوان لهذا المقال، ولعل ما تشعر به أنت الآن من الألم هو جزء فقط من معاناة تلك المرأة التي تقدم بها العمر ولم تتزوج. إن كلمة عانس كلمة مزعجة وغير مهذبة، فالمرأة عند سؤالها عن حالتها الاجتماعية لا تقول عن نفسها (عانس) بل تقول آنسة أو غير متزوجة، بينما يقوم الآخرون بالحديث من وراء ظهرها مستعملين هذا اللفظ، ما يجعل هذا الوصف من أوصاف الغيبة التي تحمل معاني الانتقاص والمعايرة للمرأة. كذلك فالمرأة توصف بأنها عانس فيما لا يوصف الرجل بوصف مشابه، حتى لو تأخر به سن الزواج وهذه مفارقة ثانية غريبة، بل والأكثر سوءاً أنّ الرجل يُلقّب دائماً بلقب "سيد" ما يعطيه خصوصية لوضعه الاجتماعي، بينما تلقب المرأة بلقب سيدة أحياناً وآنسة أحياناً أخرى في إشارة واضحة إلى وضعها الاجتماعي وارتباطها برجل أم لا، ما يبدو وكأنه إعطاء معلومة لا داعي لها للطرف الآخر.

وتتعرض السيدة غير المتزوجة إلى ضغوط كثيرة تتركز في أنّ المجتمع يربط لها عدم زواجها بكل فشل في الدنيا، فينظر لها الناس على أنها تعيسة ومسكينة وخسرانة وكأن السعادة لا توجد إلا في الزواج والأولاد فقط. وإذا كنا نتفق جميعاً على أن الزواج المستقر والأبناء البررة خير من عدم الزواج، إلا أنه من الواجب علينا أن نتساءل: هل كل متزوجة بالضرورة أسعد من غير المتزوجة؟ لا أعتقد ذلك، فمن المعلوم أنّ هناك العديد من المتزوجات اللواتي يتمنين لو أنهن لم يتزوجن أبداً، سواء لأن أزواجهن سيئون أو لأنّ أبناءهن عاقون. ومن هنا فإن الاستمرار في معايرة المرأة

بعدم زواجها غير مقبول، والاستمرار بالترديد أمامها أنها تعيسة وفاشلة لأنها لم تستطع أن ترتبط برجل في حياتها هو كلام غير صحيح أيضاً.

التقيتُ شخصياً في العمل بالعديد من الأخوات غير المتزوجات فوجدتهن في الغالب أكثر شريحة تعمل باجتهاد، فبينما المتزوجة الموظفة تنشغل بهموم أبنائها ومرضهم ومشاكلهم، وبينما الرجل الموظف ينشغل بارتباطات خارجية من بنيان وأسهم وتراخيص ومعاملات، تبقى السيدة غير المتزوجة تعمل بالتزام واضح. أما في عملي التطوعي فقد تعرفت على سيدات فاضلات غير متزوجات بدا الأمر وكأنهن تزوجن من قضايا المجتمع، وأصبح الوطن بمجمله بيتهن الكبير، وأراهنّ يعملْن بإخلاص واستمرارية، فيما ننشغل نحن المتزوجات بين فترة وأخرى بأبنائنا وأزواجنا، ولو كان بالإمكان لسجّلت في هذا المقال أسماء بعض هؤلاء السيدات الرائعات غير المتزوجات اللواتي تفخر بهن الكويت.

ختاماً علينا جميعاً أن ننشغل بأنفسنا وندع الآخرين يعيشون بسعادة، وعلينا أن نعلم أن السعيد من رضي بما كتبه الله له، وشغل وقته بالعمل الجاد والهادف، وكان من دعاء المصطفى عليه الصلاة والسلام "اللهم رضّني بما قسمت لي حتى لا أحب تأخير ما قدمت ولا تقديم ما أخرت".

يناير 2007

المرأة المطلقة

إنّ الحديث عن معاناة المرأة المطلقة هو حديث ذو شجون، وله جوانب كثيرة لا تدركها إلا المرأة ويدركها كذلك القليل من الرجال. ولأنّ زواج المرأة يعني الكثير، فهو يعني الاستقرار والحب والأطفال والنجاح الاجتماعي، لذا فإن الطلاق هو كسر للمرأة وألم كبير في حياتها. ولما كنا في مجتمع يعتبر المرأة المسؤولة الأكبر عن عدم استمرار الحياة الزوجية، بمعنى أنه حتى لو كان الزوج معروفاً بسوء السمعة والسلوك فإنّ الناس يطالبون المرأة بأن تصبر عليه، ومن هنا فإنّ أغلب النساء المطلقات يحملن شعوراً بتأنيب الضمير بعد انفصالهن لوجود صوت داخل الواحدة منهن يقول "ليتني صبرت عليه"، حتى لو كانت متأكدة أن الصبر على هذا الزوج كان غير ممكن وغير مطلوب.

ولست هنا بصدد الحديث عن أسباب ظاهرة الطلاق وإمكانية علاجها، ولست كذلك ضد صبر المرأة على زوجها المسيء إن استطاعت ذلك، فهذا موضوع آخر، ولكني بصدد الحديث عن رؤية المجتمع للمطلقة بعيون لائمة وقاسية، ومن ثم مطالبتهم إياها بأن تقبل بأي ظلم يلحق بها بعد الطلاق سواء كان من أخ أو أب، وكأنّ من حولها يعاقبونها على ذنب فعلته، مدّعين أن سمعتها اليوم على المحك وأنّ الناس ستفتح عليها العيون أكثر. كذلك فإنه مما يؤلم المطلقة اعتقاد أهلها ومن حولها بأنها يجب أن تقبل بأي رجل مهما كان حاله كزوج لها لتتخلص من لقب مطلقة، وهذا يجعل هذه الشريحة مطاردة من قبل الكثير من الرجال المتزوجين أصلاً أو ذوي الظروف الصعبة، بل ويجعل المطلقة محل شك من النساء المتزوجات خوفاً على أزواجهم منها.

تمر المطلقة بتجارب حزينة قبل طلاقها، ثم بتجربة الطلاق نفسها وما يرافقها من ضجيج وحزن، ثم تعود مره أخرى إلى وصاية أهلها بعد أن كانت أكثر استقلالية، ثم تبدأ معاناة تربية الأطفال دون دعم من أحد إلا نفسها، وتُضطر أحياناً إلى الدخول إلى المحاكم للحصول على بعض المكتسبات، كل ما سبق يجعل المرأة محتاجة إلى من يدعمها وليس من يزيد ألمها ضِعفين، إنّها محتاجة إلى إعادة تأهيل نفسي بعيداً عن القيل والقال وملاحقة الشامتين.

المطلوب اليوم أن ننظر إلى المطلقات بعيون جديدة، وخاصة أنّ معظم البيوت أصبحت لا تخلو من امرأة مطلقة. يجب أن ننظر إليهن على أنّهن اجتزن تجربة لم تنجح لسبب أو لآخر، وأنّ مسؤولية عدم نجاح هذه التجربة هي مسؤولية مشتركة تتقاسمها المرأة وطليقها، كما أنه لا داعي لاستمرار السؤال عن الأسباب والتفاصيل، وعلينا أن نتذكر جميعاً أن كلٍ منّا لديه شيء لم ينجح فيه، فإذا لم تنجح هذه المرأة في زواجها فإنك لم تنجح في دراستك وفلان لم ينجح في عمله وثالث لم ينجح في تربية أبنائه، فلا أحد منا بلا نقاط فشل، آملين أن نعذر بعضنا بعضاً ونرحم بعضنا بعضاً، لعل الله يرحمنا ويهدينا إلى سواء السبيل.

ديسمبر 2006

المطلقات الصغيرات

تنظر المجتمعات إلى ارتفاع نسبة الطلاق على أنها مؤشر سلبي للواقع الاجتماعي ودليل على وجود خلل لابد من تداركه، وتزداد المشكلة خطورة حين ترتفع نسبة الطلاق بين فئة الشباب وفقط بعد سنوات قليلة من الزواج. تقود ظاهرة طلاق الشباب المبكر إلى مجموعة من الأسئلة، أبرزها السؤال عن السبب وراء هذه الظاهرة، والسؤال حول كيفية تداركها وعلاجها.

ما يهمني في هذا المقال، أن أُسلّط الضوء على خطورة ازدياد عدد المطلقات الصغيرات ممّن هنّ تحت سن الثلاثين، وبالذات حين يكون لديهن طفل أو أكثر. إنّ المطلقة الصغيرة قد تعاني من قضيتين، الأولى تقبّلها لفكرة العودة إلى بيت والديها مرة أخرى بعد أن كانت مستقلة في بيتها وقرارها، والثانية تحوّل نظرتها إلى طفلها من نظرة الأم الفرحة الفخورة بإنجابه، إلى أم "متورطة" بطفل صغير يعيقها عن أي مشروع زواج قادم، بل ويذكرها بالتجربة الفاشلة التي ارتبطت بها.

بالنسبة للقضية الأولى فهي قضية تتفاوت من أسرة إلى أخرى، فبعض الأسر في بلادنا قد تعطي بناتها من الحرية بعد طلاقهن أكثر مما كن يتمتعن به أثناء الزواج، رحمة بالفتاة وإشفاقاً عليها. أما أغلبية الأسر فهي تشعر بأن سمعة الفتاة المطلقة في وضع حرج، وأنّ الأسرة مطالبة بتطبيق نظام الحجر على المطلقة، بل وتفكر تلك الأسر في تزويج الفتاة بأول خاطب على أمل أن يتم طيُّ ملف هذه الفتاة بأسرع وقت، ولا شك أنّ هناك ضرورة لتوعية الأسر بكيفية التعامل مع ابنتهم المطلقة بحكمة ودون مبالغة، خاصة وأن مجتمعنا الآن أكثر تقبلاً لوجود فتاة مطلقة بعد أن أصبحت الكثير من البيوت لا تخلو من واحدة منهن. ما يجدر الاهتمام به كذلك هو سلوك بعض –

وأؤكد بعض–المطلقات الصغيرات المبالغ فيه من حيث اللبس غير اللائق أو السفر بمفردهن أو الإتيان بما يلفت النظر إليهن في الأماكن العامة. إنّ بعضهن ينفّسن عن التجربة الأليمة التي مررن بها عن طريق القيام بهذه السلوكيات، وهنا تأتي الحاجة إلى تأهيل المطلقات الصغيرات لجعلهن قادرات على تقبل وضعهن والتعامل بوعي مع فكرة الحياة تحت مسمى "مطلقة".

القضية الثانية وهي الأكثر أهمية هي قضية أطفال المطلقة، فالجدات يشكون من أنّ الأم الصغيرة أحياناً ترمي الطفل بكامل مسؤوليته على عاتق الجدة قائلة لأمها ربيه كما ربيتِني، وهذا الكلام غير مقبول. إن الطفل مسؤولية أمه وأبيه، وتربيته تجربة هامة لهما، ومن الممكن أن تربيه الجدة في حال لو تزوجت الأم مرة أخرى ولكن حتى يتم هذا الزواج فهو مسؤولية والديه. من الضروري توعية المطلقة الصغيرة بالجوانب المشرقة للأمومة، فالأمومة فعلا قيد لكنها كذلك تجربة تعلم الأم الصبر والحكمة والحب الحقيقي الذي تبحث عنه. وفوق كل هذا فالطفل الصغير يشغل فراغ الأم الصغيرة ويعطيها عملاً هادفا ينسيها ما مرت به من حزن وألم.

إنّ مقالي لم يتناول الشاب المطلق وضرورة تأهيله أيضاً بعد التجربة غير الناجحة التي مر بها، وضرورة أن يعلم أنه شريك للأم في تربية ابنه، وأن يتحمُّل مسؤولياته كاملة، وأتساءل في الختام من المسؤول عن التصدّي لهذا الدور الاجتماعي الهام؟

أغسطس 2007

الزواج من خارج السرب

يحصل أحياناً أن تقرر بعض أخواتنا الكويتيات أن يتزوجن من رجل غير كويتي، ولكنهنّ ما أن يفعلن ذلك حتى يجدن أنهنّ مضطرات لخوض معركة حقيقية ومؤلمة مع تحالف من التقاليد من جهة والقوانين من جهة أخرى لثنيهن عن الزواج الذي أقدمن عليه، في حين يقف رجال المجتمع كمتفرجين على هذه المعركة غير المتكافئة، بل وكمشجعين لاستمرار معاناة هذه المرأة. وفي نظري فإن هذا التعاون بالإثم ضد هذه الشريحة من النساء يعكس في حقيقته غضب رجال المجتمع الذين هم صائغو التشريع والقانون من أي أنثى تجرأت على الزواج من خارج القطيع، لتكون عبرة لكل امرأة أخرى.

والمضحك المبكي أنّ رجالنا أعطوا لأنفسهم الحق الذي حرموا النساء منه، فهم لهم الحق في منح الجنسية لأي امرأة يتزوجونها من خارج القطيع، من أي أرض أو دين أو لون كانت، بل حتى لو كانت تلك الزوجة غير مقيمة في الكويت أو لا تجيد الحديث بأي كلمة كويتية أو عربية، ثم إنّ لهذه المرأة الحق في أن تحتفظ بالجنسية حتى بعد طلاقها، وكأن بضع سنوات من الزواج من كويتي تكفي لإكسابها حسَّ المواطنة.

ثم إنّ أكثر ما يغضبني هو أنّ القانون الكويتي من حيث المبدأ لا يمانع تجنيس أبناء الكويتية المتزوجة بغير كويتي، أي لا مانع نهائياً من اعتبارهم كويتيين، ولكن بشرط أن تعاقب أمهم بالطلاق أو الترمل وهم دون الثامنة عشرة، أي وهي في عز شبابها، وذلك حتى يكون ألمها أكبر وعقابها أشد. إذًا فإن الأمور تبدو هكذا: إما طلاق المرأة وحرقة قلبها على زوجها، أو استمرار زواجها واستمرار حرقة قلبها على أبنائها.

لا أريد في هذا المقال أن أسرد قصص هؤلاء السيدات ولا تفاصيل معاناتهن، بل أريد أن يشاركني القارئ في معاينة تناقض هذا القانون مع نفسه، حين يشرط غياب الأب بالطلاق أو الوفاة كمدخل لتجنيس الأبناء. وأتمنى أن يلاحظ القارئ تعارض هذا القانون مع حق المرأة في اختيار من تراه زوجاً مناسباً، وحقها في نقل جنسيتها لأبنائها تماماً كما يفعل الرجل.

ولا يمنع حماسي لتجنيس هؤلاء الأبناء من الحديث عن ضوابط وشروط، أهمها على الإطلاق أن تكون تلك الكويتية قد حصلت على الجنسية من والدها وليس من زواجها سابقاً من كويتي. كذلك أتمنى اشتراط دراسة الأبناء في المدارس الحكومية لضمان إقامتهم داخل الكويت خلال طفولتهم وإتقانهم للعربية وتعرفهم على تقاليد المجتمع الذي سيحصلون على جنسيته.

إنّنا بحاجة إلى أعضاء مجلس أمة شجعان، يقفون في وجه رجالات القطيع، ليقولوا لا للظلم والتمييز، وليمنحوا الكويتية المتزوجة بغير كويتي حق تجنيس أبنائها وحق منح الإقامة الدائمة لزوجها، كما أني أدعو هذه الفئة المظلومة لتأسيس شكل من أشكال التنظيم التطوعي للتوعية بحقيقة مشكلتهن، ولإلقاء الضوء على مختلف جوانب ألمهن، وأنا أعلم أنهن قادرات على مثل هذا العمل، ونحن معهن ندعمهن ونساندهن لما فيه الخير لهن ولأبنائهن.

أكتوبر 2006

الزوج وراتب الزوجة

من الأمور المؤسفة حقاً ما تعاني منه بعض النساء من تعدي أزواجهن على راتبهن، بمعنى أن يبتلع الزوج راتب زوجته، ثم يعطيها –إن شاء–شيئاً من راتبها كمصرف شخصي لها. وتتنوع حجج الأزواج، فمن قائل، أن المرأة تخرج إلى عملها على حساب الوقت المخصص لرعاية بيتها وأولادها، لذا فراتبها تلقائيا من حق زوجها، بينما يبرر آخرون فعلهم بأنهم يخشون على الراتب من عدم رشد المرأة وحسن إنفاقها، لذا فهم يأخذونه ويعطونها ما يكفيها، فيما لا يجد بعضهم داعياً للتبرير، فهو الأقوى وبإمكانه أن يفعل ما يشاء.

والمضحك المبكي أنّ بعض الرجال يشترط عند زواجه أن تكون زوجته موظفة، لتكفيه مصروف البيت والأولاد، وحبذا لو كانت معلمة، فراتبها عال، وإجازاتها كثيرة، وعملها غير مختلط مع الرجال، فهي مغنم جيد لزوج متسلط.

ولو انتقلنا إلى الفتاة غير المتزوجة، فإنّنا نجد أن حالها لا يقل أحياناً سوءاً عن حال المتزوجة، فالأب أو الأخ يتسلط على راتب الفتاة، تارة لشراء المفيد من الحاجيات، وتارة أخرى لشراء الكماليات كسيارة فاخرة أو موبايل، فتلتفت الفتاة لتجد راتبها مثقلاً بديون لسلع لم تستفد هي شخصياً منها ولم تستمتع بها.

وبذلك فإننا نجد أنفسنا أمام صورة جديدة من استغلال الرجل للمرأة، فبدلاً من أن نفرح بأن المرأة أصبح لها راتب يعطيها شيئاً من الحرية والأمان والاستقلالية، نجد العكس قد حصل، وتحول الراتب إلى أداة جديدة لاستغلال المرأة المسكينة التي تجد

نفسها تقوم بجميع مهام البيت، بالإضافة إلى مهمة جديدة وهي الصرف على هذا البيت.

وأود القول بأن مشاركة المرأة في مصاريف البيت هي فكرة مقبولة من حيث المبدأ، بشرط أن تساهم المرأة بذلك بإرادتها، وأن تكون المساهمة بقدر محدود، وأن يكافئها الزوج بأن يكتب لها شيئاً باسمها، كأن تكون شريكة معه في ملكية البيت، مقابل ما قدمته من مساهمات لسنوات عديدة. أما أن يبتلع الزوج راتب الزوجة دون مقابل فهو مرفوض تماماً، فالشرع أوجب النفقة على الزوج لا الزوجة.

ختاما، فإننا أمام مشكلة اجتماعية حقيقية، ولعل أول السبل لحل هذه المشكلة هي استنكار تصرف مثل هؤلاء الرجال وإبداء غضب المجتمع عليهم، وإلا فإن هذا الظلم سيصبح أحد عاداتنا وتقاليدنا التي تضاف إلى ما سبقها من عادات ظالمة، فهل من مستمع؟

مارس 2006

المرأة والطبخ

كثيراً ما قرأت كتباً حول المرأة لمؤلفين معروفين، وتفاجأت بقصور نظرة هؤلاء الرجال للمرأة، بل والمبالغة في ظلمها وإظهار السخط عليها، في تناقض غريب مع ما عرف عنهم من سعة اطلاع وبعد نظر. ومن الذين تفاجأت حين قرأت رأيهم حول المرأة المرحوم عباس العقاد في كتابه الغاضب (المرأة في القرآن) ، الذي كانت خلاصته أن المرأة مخلوق من الدرجة الثانية، بل واستعمل العقاد كل ما استطاعه من حجج عقلية ونقلية ليشير إلى تفوق الرجل المطلق على المرأة، بل وأن الرجل أفضل من المرأة في كل شيء حتى في الطبخ الذي هو من الأعمال التي تمارسها المرأة يومياً وطوال حياتها. يقول العقاد "إن المرأة تشتغل بإعداد الطعام منذ طبخ الناس طعاماً قبل فجر التاريخ، وتتعلمه منذ طفولتها في مساكن الأسرة والقبيلة، وتحب الطعام وتشتهيه، وتتطلب مشتهياته وتوابله في أشهر الحمل خاصة، كما تتطلب المزيد منه في أيام الرضاع، ولكنها بعد توارث هذه الصناعة آلاف السنين، لا تبلغ فيها مبلغ الرجل الذي يتفرغ لها لعدة سنوات، ولا تجاريه في إجادة الأصناف المعروفة، ولا في ابتداع الأصناف والافتنان في تنويعها وتحسينها، ولا تقدر على إدارة مطبخ يتعدد به العاملون من جنسها أو من الرجال".

ولقد سبق لي أن سمعت مثل هذا التباهي من الرجال بأنهم أفضل من النساء في كل شيء حتى في الطبخ، والجواب على هؤلاء بسيط، وهو أن الرجل يدرك قيمة المال، لذا فهو يبدع في الطبخ إذا تحول الطبخ إلى وظيفة يأخذ من ورائها راتباً وعائداً، ولكن هل سمعتم عن زوج تفنن في الطبخ لأسرته، ووافق أن يعيش سنوات عمره يطبخ وينفخ دون مقابل؟ لا طبعا، فالعطاء لإسعاد الآخرين هو مما تتقنه النساء، ومن هنا فقد يتفوق

الرجل على المرأة في الطبخ ولكن لا أحد يتفوق على المرأة في الحب والتضحية بل وفي استمرار الطبخ.

كذلك فقد دخَلت اليوم قنوات الطبخ الى كل منزل من منازلنا، مما أتاح لنا جميعا أن نتابع السيدات الطباخات الفنانات المبدعات، بعد أن كان الرجل هو فقط من يظهر على الشاشات ويعمل في المطاعم كطباخ محترف. لقد أصبح واضحا أنّ غياب المرأة السابق عن ظهورها كطباخة محترفة هو قضية اجتماعية محضة فقط لا غير.

على أي حال، فأنا شخصياً ليس لدي مانع في قبول فكرة أن الرجل أفضل من المرأة في طبخ الطعام، والدليل كما قال العقاد أن كل طباخي المطاعم المتميزة من الرجال، وأغلب طباخي المنازل من الرجال، ويبدو أن هناك خطأً معيناً تسبب في دخول المرأة إلى المطبخ بدلاً من الرجل. لذا أطالب من اليوم بتصحيح التاريخ وعودة الرجل إلى المكان الذي يبدع فيه وهو المطبخ، وبتفرغ المرأة لقضايا قد تكون أكثر أهمية، فلقد قضت المرأة عشرات السنين من عمرها في المطبخ وخلف القدور، ولم تحصل ربما حتى على كلمة (تسلم يداكِ). فهل يبدأ تصحيح التاريخ من المطبخ؟

نوفمبر 2006

المرأة في الدعايات التلفزيونية

لا شك أنّ استغلال جمال المرأة وجسدها وأنوثتها لتسويق العديد من السلع التجارية هو ابتذال وإهانة ومسخ لصورة المرأة التي خلقها الله لتملأ هذا الكون عطاء ونوراً ونشاطاً وحباً. ولعلكم تلاحظون أن ذلك لا يتوقف عند السلع التي لها علاقة مباشرة بالمرأة كأدوات التجميل أو مستلزمات المنزل، بل يتعدى ذلك إلى كل شيء يخطر بالبال كإطارات السيارات مثلا، وعلى أي حال فاستعمال المرأة الجميلة للتسويق في كلا النوعين السابقين مرفوض.

إنّ هذه الدعايات تستغفل المشاهد حين تريه امرأة جميلة بدلاً من أن تريه إيجابيات السلعة واستخداماتها، وهي تدمر قيمة المرأة حين تستعملها كمنبه يلفت نظر المشاهد ليتابع الدعاية التلفزيونية، وكذلك حين تربط السلعة المعروضة بهذه المرأة المغرية وكأنها تقول للمشاهد "إن سعادتك بشراء هذه السلعة تماثل سعادتك بمشاهدة هذه الجميلة".

لقد منح الله المرأة جمال الجسد، ولكنه منحها كذلك تميز العقل وقوة الروح والعاطفة، ومن الإسفاف الاستمرار في التأكيد للمرأة على أنّ أهم ما فيها جسدها وجمالها، وإلا سنصل إلى جيل من النساء يتمتعن بأجساد جميلة، ولكنهن ذوات عقول وأرواح ضعيفة، وفي هذه الحالة كيف يمكن للمرأة أن تساهم في التنمية وتؤدي رسالتها في الحياة؟ ولعل شكوى بعض الرجال من سطحية بعض نسائهم هو بسبب مثل هذه الدعايات التي أنتجها تجار جشعون آثمون.

وبسبب الرسائل الإعلامية الخاطئة التي تشترك فيها وسائل الإعلام على اختلافها، فإن مفهوم المرأة الجميلة تغير لدى الكثير من الرجال والنساء، وهذا في نظري كارثة اجتماعية. فكثير من الرجال بفعل الإعلام أصبح لديه مواصفات جديدة للمرأة الجميلة،

بعض هذه المواصفات ربما لا تملكها فتيات البلد، سواء البشرة البيضاء أو الشعر الفاتح أو الأعين الملونة وغيره، واستمر تركيز الإعلام على جمال الجسد بصورة مزعجة بدلاً من تركيزه على جمال الروح والأخلاق.

ترتب على ذلك رغبة بعض النساء في موافقة ذوق الرجال وموافقة متطلبات الجمال الجديدة، فصبغت بعض نسائنا السمراوات شعرهن باللون الفاتح، وارتدين العدسات الملونة، وأكثرن من وضع المبيضات والمكياج على وجوههن، وذلك بتشويه بشع لخلق الله. كما دخلت بعض النساء في برامج الريجيم، مرة كيميائي وأخرى فيزيائي للحصول على جسم رشيق، وأخذت الكثير منهن بالمشي بل والجري في الشوارع المخصصة وغير المخصصة للرياضة، وبات للبعض من النساء طبيب ريجيم يتابع حالتهن. أما عمليات التجميل فازدادت بكثرة، من خلالها تود المرأة استدراك ما لم تستدركه بالرياضة، فضلاً عن تفتيح البشرة وتبييض الأسنان وغيرها. وأما صالونات التجميل فقد عادت عامرة، وأصبح للبعض من النساء زيارات أسبوعية لتلك الصالونات، أو قد تأتي إحداهن بالصالون إلى بيتها.

ترى هل تعتقدون أنّي أبالغ فيما أقول؟ انظروا حولكم لتعرفوا الجواب. إنّ المشكلة ليست في رغبة المرأة في أن تكون جميلة، فقد يكون ذلك مطلباً فطرياً إلى حد كبير، لكن المشكلة في إرهاق المرأة بقيم جمالية مكلفة ليست من بيئتنا أو حياتنا، والمشكلة الثانية هي تسخيف اهتمامات المرأة العربية بعيداً عن قضاياها الاسرية والعامة. ترى هل نحن راضيات عما يجري في مجتمعنا؟ وهل نستطيع أن نقوم بأي دور مهم لوقف هذا التشويه لوعينا كنساء؟ أرجو ذلك والله المستعان.

ديسمبر 2005

الجراحات التجميلية

ما بال الناس تتغير وجوههم بين ليلة وضحاها؟ ما بالهم أصبحوا يتشابهون كأنهم مستنسخون؟ الجواب هو عمليات التجميل التي أصبحت تعيد تفصيل الناس ليصبحوا أقرب إلى القياسات العالمية للجمال. وإذا كانت المرأة في السابق هي فقط الضحية، فالرجل يشاركها اليوم في بلائها. ترى ما السبب؟ السبب هو تأثير الإعلام المتزايد على البشر، وفرضه لمقاييس معينة جعلها معياراً للجمال والقبول، وتسويقه لمفهوم أنّ السعادة والرضى عن الذات لن يتحقق إلا بالاقتراب من هذه المقاييس. ويقف التجار وراء الإعلام، ليرددوا مقولة إبليس في محكم القرآن الكريم (وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم) صدق الله العظيم. بل إنّ الأطباء أصبحوا تجاراً بدورهم ودخلوا في هذا السباق المحموم على أموال المستهلك، فأصبحوا يقومون بحملات دعائية لافتة في الجرائد والمجلات وحتى على التلفزيون جلباً للزبائن.

ترى من نلوم؟ التجار ومعهم الإعلام الذي يبث سمومهم؟ أم نلوم المستهلك الذي يفترض به الرشد والإدراك؟ أم نلوم الأسرة لأنها لم تحسن توعية أبنائها؟ أو ربما نلوم الحكومات لضعف التنبيه وقلة نشر الوعي؟ أو ربما نلوم هذا الزمان الذي أصبح فيه الفاسدون والفاسدات هم القدوة للكثير من الناس.

المتابع للدراسات المنشورة، يعلم أنّ النساء أكثر إقبالاً من الرجال على هذه العمليات، وإلى اختلاف نوع عمليات التجميل حسب المرحلة العمرية للنساء، ابتداء بشفط الدهون وانتهاء بشد البشرة. وتشير التقارير إلى زيادة إقبال الفتيات دون العشرين عاماً عليها، والخطير أن الفتيات يقمن بهذه العمليات لمحاكاة أجساد الفنانات أو المغنيات اللواتي

يُسوّق لهنّ الإعلام. حيث أشار أحد التقارير إلى رغبة إحدى الفتيات أن يكون جسدها متناسقاً كجسد مادونا، وأشارت الأخرى أنها تريد أن يكون جسدها كالممثلة هذر لوكلير. وتشير الدراسات إلى ارتفاع تكاليف هذه العمليات، ما يجعل البعض يستدين من البنوك التي أصبحت تقدم سلفاً خاصة بعمليات التجميل. كما أشارت إلى فشل بعض العمليات وخاصة التي لا يجريها أطباء مختصون مصادق عليهم. ومعلوم أنّ من يجري بعض الجراحات فإن عليه أن يستمر في زيارة طبيب التجميل كل بضع سنوات لتكرارها وصيانتها. ليس لدي الكثير لأعلق به إلا القول بأننا نعيش في حضارة الجسد والمادة، وندفع ثمن ذلك من وعينا وكرامتنا كنساء خاصة وكبشر عامة.

فبراير 2006

هل المرأة فكرياً عالة على الرجل؟

في لقاء تلفزيوني قبل عدة أشهر، توجه الي خلاله مدير الحوار بالسؤال التالي: هل المرأة فكرياً عالة على الرجل؟ والا فما تفسيرك لكل الانجازات الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي قدمها الرجل لمجتمعه والتي لم يكن للمرأة الا اليسير من المشاركة فيها؟ أذكر انني في تلك اللحظة شعرت بالصدمة، لم تكن الصدمة لأنني غير معتادة على مثل هذا السؤال، فهذا السؤال قد سبق للحركات النسائية في كل أنحاء العالم الاجابة عليه منذ عشرات السنين، لكن الصدمة كانت لأنه مازال هناك في مجتمعاتنا العربية من يعتقد أن النساء عالة فكرياً على الرجال.

الجواب هو أنّ المرأة، وحتى نهاية المرحلة الجامعية تقريباً، تنافس الرجل وتتفوق عليه علمياً بما يقارب ثلاث نقاط مقابل نقطة واحدة وذلك كما تشير الاحصائيات من الجامعات والمؤسسات التعليمية، والغريب هو أنّ الكثير من الرجال يتسربون من تلك المؤسسات التعليمية التي تحتاج إلى العقل بالدرجة الاولى، إلى المؤسسات التي تحتاج إلى العضلات أكثر، كالشرطة والجيش، حتى اعتقد بعض الناس أنّ هذه الوظائف العسكرية هي ملاذ من لا يفلح في دراسته، مع أنّ هذه الوظائف في الحقيقة تحتاج من يوازن بين عقله وعضلاته. على أية حال ما يحصل هو أنّ المرأة غالباً ما تتزوج بعد الجامعة، وتبدأ في منح بيتها وأولادها شبابها ووقتها وتفكيرها إدراكاً منها أنّها على ثغر، وأن الله والمجتمع قد استأمناها على تلك الاسرة التي تقيمها. إنّ الحمل والانجاب والتربية عملية شاقة متعبة تستهلك الوقت والجهد والمال والصحة، ولكنّ المرأة تقدم لأسرتها كل تلك العطاءات وهي

سعيدة وفخورة. أمّا الزوج فإنّه ينطلق إلى بناء المجتمع فكرياً واقتصادياً وثقافياً معتمدا على دعم زوجته وما أمّنته له من بيئة مناسبة للعطاء والبذل.

وحين تتجاوز المرأة الأربعين، وتخف مسؤوليات الأولاد والبيت، تعود إلى مجتمعها لتعطي عطاءً مشابهاً لعطاء الرجل، وتنظر لترى أنّ الرجل قد قطع الكثير من المراحل في العشرين سنة الماضية، لكنها لا تنزعج لأنها تعلم أنها كانت في مكانها الصحيح داخل بيتها، وأنّ المرأة والرجل يكملان بعضهما ويعذر أحدهما الآخر.

نقطة الالم الحقيقية التي تزعج المرأة هي عندما يلتفت اليها أحد الرجال ليسألها ببلاهة: "صباح الخير وين هذي الغيبة؟ تو الناس؟" أو عندما يلتفت اليها مدير للحوار ليسألها:" ألا ترين أنك فكرياً عالة على الرجل؟". على أي حال، وبما أنّنا نتبع خطى المجتمعات الغربية خطوةً بخطوة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلنا خلفهم، فإني أبشّر السادة الرجال أن المرأة قادمة، وأن النسبة في الإنجازات الفكرية ستزيد باضطراد، عندها سيكون الخاسر الأكبر هو الاسرة والاطفال، وسيتحسر المجتمع على عدم تقديره لدور المرأة في بيتها وأسرتها تماماً كما يقدر عملها المكتبي خارج البيت.

أكتوبر 2009

حفلات الزواج

نعلم جميعاً أن القصد من إقامة حفلات الزواج هو التهليل للعلاقة الحلال بين شخصين، وربط تلك العلاقة الجديدة بالفرح والسرور، لكونها علاقة مثمرة تدعم استقرار المجتمع وترسخ مفهوم العفة وتؤدي إلى ازدياد عدد أفراد المجتمع. وتحلو في حفلات الزواج دعوة الأقارب والأحباب ليشاركوا في تلك الفرحة وهذا الارتباط الجديد بين أسرتين وليس فقط بين شخصين. ولكن ما يحصل اليوم هو تحول هذا الفرح إلى عبء على أهل العروسين وعلى من يدعونه لمشاركتهم الفرحة. والسبب هو المبالغة التي شاعت بين الناس، والتي امتدت لتشمل كل شيء وبالذات حفلات الزواج.

والغريب أنني كلما ذهبت إلى حفلة زواج أعود متعبة بدلاً من أن أعود فرحة. أعود متعبة لأن أذني أُرهقت بالموسيقى العالية إلى درجة الجنون، والتي تمنع الإنسان من الاستمتاع بمعاني كلمات الفرح التي تحملها تلك الأغاني منشغلاً بالألم الذي يبدأ بالتسرب إلى أذنيه شيئاً فشيئا.

أعود متعبة وأنا أرى فتيات شبه عاريات، في ملابس أعلم أنها كلفت مئات، وأنّ تلك الملابس قد تُلبس لمرة واحدة. لا أدري لماذا يربط البعض بين العُري والفرحة، بل ولماذا لا يتذكرون أنّ البساطة والسعادة قرينان؟

أعود متعبة من انتظار العروس التي لا تنزل إلى العرس حتى قرب منتصف الليل، وأما زوجها فيصل بعد ذلك بساعة! إنه تأخير غير مقبول فيما نحن نترك أطفالنا في البيت مع الخدم دون داعٍ. ترى ما العيب في أن نعود إلى بيوتنا كما فعلت سندريلا أي في الساعة الثانية عشرة؟

وأخيراً أعود متضايقة وأنا أرى الناس يملؤن صحونهم دون أن يأكلوا ما وضعوه لأنفسهم، وأرى الأكل يُرمى بينما آخرون في الكويت وخارجها يتوقون إلى هذا الطعام. ترى هل أصبح الإسراف سمة من سماتنا الاستهلاكية؟

ويبدو أنّ الرجال ليسوا أحسن منا حظاً، إذ سبق أن قرأت للأستاذ محمد مساعد الصالح مقالاً ينتقد فيه حفلات زواج الرجال وما بها من تفاخر بالعدد والكثرة قائلاً "حفلات الزواج للرجال صارت شبيهة بتجمعات انتخابية، أهل العريس أو والده يدعو أعداداً غفيرة من المدعوين لحضور حفل الاستقبال، والنتيجة تجد طابوراً طويلاً في حفلات الرجال، ولا يمكن أن تصل إلى العريس ووالده، إلا وتصاب بوجع ظهر، المفروض أن يكون المدعوون من الأقارب والمعارف القريبين جداً من أهل العريس والعروس فقط!"

إنّها المبالغة والتكاثر، نراها في العديد من الظواهر حولنا، ونرى كيف تستهلك هذه السلبيات وقتنا ومالنا وصحتنا ومع ذلك لا نملك حيالها إلا الإنصياع والمجاملة، وأتساءل متى يبدأ التغيير؟

يونيو 2007

البيت والأمومة والتربية

خليكم بالبيت

بيوتنا هي الأماكن التي نأوي اليها، فنجدها تفيض بمعاني السكن والمودة والطمأنينة، إنّها حيث نجد الذكريات والهدوء والأحباب. اليوم لدينا بيوت واسعة وفسيحة، لكنها لا تحقق السكن المطلوب لأفرادها، فيشعر أصحابها بالضيق حين يعودون إليها، ثم لا يلبثون أن يخرجوا منها سريعاً وكأنّ الأشباح تطاردهم. لقد أصبح من النادر أن تتصل بإنسان فتجده في منزله، ولك أن تجده إن أردت على هاتفه النقال الذي يرافقه حيثما ذهب. واللافت أنّ هذا الهروب كثيراً ما يشمل كل أفراد الأسرة من أب وأم وأبناء، فتجدهم أكثر وقتهم في زيارة بعضهم البعض، أو تجدهم في الشوارع والأسواق والطرقات.

وليس الهروب الذي نتحدث عنه هنا هو الخروج الواعي للعمل وتلبية احتياجات الأسرة أو الترويح المعقول، بل هو الخروج المتكرر لتضييع الوقت والتسكع في الأسواق والمطاعم، ما يضيع حق البيت والأبناء، ويؤثر سلباً على نفسية الإنسان، ويضر بميزانية الأسرة.

إنني أولاً ألوم المرأة التي هي أساس السكن والاستقرار لفقدانها مهارة القرار في البيت، إذ أصبحت هذه المهارة، كشأن العديد من المهارات الإيجابية الأخرى، ليست تلقائية بل تحتاج إلى دورات وجهود إعلامية كبيرة لتعَلُّمها. المؤلم أنّ الكثير من النساء يسارعن في الخروج من البيت لأي سبب حتى لو كان تافهاً، وكأنهن في حالة هروب من البيت. وبينما تقوم النساء "الجيدات" بأخذ أبنائهن في كل رحلة هروب، فإنّ الأمهات "المقصرات" يخرجن بمفردهن لتحقيق متعة أكبر، وقد يضعن أبناءهن مع الخدم في مكان ترفيهي أثناء غيابهن. وعندما أدمنت الأم الخروج من البيت، أدمن أبناؤها ذلك، فكان أول سؤال يسألونه عند العودة من المدرسة: أين سنذهب اليوم؟

الرجل ثانياً عليه جزء كبير من اللوم. صحيح أنّه طوال التاريخ كان هارباً من منزله، ولكنّه كان هروباً مشروعاً إمّا في الغوص أو الصيد أو التجارة بحثاً عن رزق أسرته. أما الآن فهو في هروب غير مشروع، فتجده إما في الديوانية مع أصحابه، أو يمارس هواياته خارج المنزل. لم يستغل الرجل فائض وقته للمشاركة في مسؤوليات الأسرة، ما جعل المرأة لا تعذره لغيابه، وتبحث عن سعادتها خارج المنزل بدورها كما يفعل هو تماماً.

الأسباب كثيرة، وأعتقد أن كل قارئ لديه ما يضيفه على قولي، ولكني أقول لا بد من العودة الراشدة إلى منازلنا، لتحقيق الاستقرار والسعادة الحقيقية. إنّ كثرة خروج الإنسان من منزله للترفيه عن نفسه يجعل الترفيه يفقد طعمه، ويجعل الإنسان يشعر بالملل وهو في موقع الترفيه، فيكون الترفيه بحاجة إلى ترفيه. إنني في هذا المقال أدعو الجميع، رجالاً ونساء، إلى العودة لاكتشاف جمال الاستقرار في البيت والبقاء فيه في جو أسري ممتع.

مارس 2006

بين الرعاية والتربية

من الجميل أحياناً أن نناقش ما يبدو من بديهيات في المجتمع، لما لذلك من أثر طيب على رؤية الأمور بعيون جديدة. ومن تلك البديهيات سؤال أجده هاماً وحائراً، وهو: أيهما أقدر على تربية الأبناء، الأم أو الأب؟ لعل الجواب المتداول والفوري هو الأم. ولكنّي أقول إن هذا الجواب ليس دائماً هو الجواب الصحيح، بل قد يكون الأب في حالات كثيرة هو الأقدر على التربية، وربما أراد الرجل أن يرتاح بإجابته بأنّ المرأة هي أقدر منه على ذلك، قاصداً أن يستمر بالتنعم بحريته خارج المنزل، وأن يتخلص من مشقة التربية وتبعاتها.

بدايةً، أريد أن أُميّز في هذا المقال بين قضيتين وهما الرعاية والتربية. الرعاية هي الاهتمام بتفاصيل حياة الأبناء اليومية، والمرأة بلا شك أقدر من الرجل على ذلك، فهي بحكم كونها تحمل وتلد، فهي ترضع وتحب وتعطي وتهدهد وتحرص وتتابع، ولأن لديها سر لا يملكه غيرها وهو عاطفة الأمومة الجيّاشة. أما التربية فهي شيء آخر، التربية هي إنشاء القناعات، وصياغة السلوك، وتوجيه الأخطاء، وفي هذه الحالة فأنا لا أجد أن المرأة أقدر من الرجل على ذلك بتاتاً،

بل كلاهما قادر.

لم أكن أود كامرأة أن أتنازل للرجل عن أمر اعتاد الناس على الاعتقاد بأنّني أقدرعلى القيام به من الرجل، وهو التربية، ولكني وجدت عشرات الأدلة العقلية والنقلية على مهارة الرجل في التربية، إن أراد ذلك. فمثلا، التربية هي مهمة الأنبياء، وهم جميعاً رجال، اختارهم الله لعلمه بقدرة الرجل على صياغة القيم وتربية النفوس وتوجيه الأجيال،

وما زلنا نرى حتى اليوم كيف ينجح الدعاة والمربون في بناء الأمم والحضارات، أفلا يستطيع هؤلاء الذين يربون الأمم أن يربُّوا أبناءهم؟ أم أنّ القضية لها بعد آخر.

صحيح أنّ بعض الأمهات متميزات في التربية إضافةً لتميُّزهن بالرعاية، ولكن كثيراً ما التقيت بنساء خلطن بين عاطفة الرعاية وحزم التربية، فألحقن الأذى بأبنائهن نتيجة الدلال المفرط. إنّنا ننادي اليوم وكل يوم بعودة الأب إلى تولّي مسؤولياته الأسرية، والتوقف عن الهروب خارج منزله، أو على الأقل التوقف عن السلبية تجاه أبنائه، فالحياة تعقدت والتربية ازدادت صعوبة، ولعلنا بتظافر جهود الوالدين نحافظ على أبنائنا ونحميهم من التغريب والعولمة، عسى ذلك.

أكتوبر 2006

شركاء في تربية الأبناء

إنّ الشراكة في تربية الأبناء من المفاهيم الهامة التي يجب أن نغرزها في أذهان شبابنا قبل بناتنا، وذلك لأن خللاً واضحاً قد أصاب هذا المعنى، وجعل الأمور تبدو عند الكثيرين بأنّ الأصل هو قيام الأم بكل تفاصيل تربية الأبناء، والفضل والمنة أن يساعدها الأب في هذه العملية.

في السابق، وفي مجتمع ما قبل النفط، كان الأب يغيب عن البيت غياباً اضطراريا، ساعياً وراء لقمة العيش له ولأسرته. يومها عذرت المرأة منّا زوجها، وتفهمت سبب غيابه، وقامت بتفاصيل تربية الأبناء من الألف إلى الياء.

أما اليوم، فما عذر الأب "الهارب" من المنزل، تبحث عنه المرأة فتجده يمارس هواياته أو يستمتع بوقته في الدواوين والمزارع والشاليهات، ثم يعود مساء إلى البيت ليسأل: ها، شلون عيالي؟

وعند مطالبة المرأة لزوجها بالمساعدة في قضايا الأبناء، يعتذر الرجل بوظيفته، فتجيبه الأم بأنها هي أيضاً موظفة، ويرد الأب بأنه لا يعرف كيف يتعامل مع الأولاد، وأن الأم أفضل منه لهذه المهمة، فهي أوسع بالاً وأطيب قلباً، فلا تجيب المرأة إلا بابتسامة دون تعليق.

وخلال تطوعي لأكثر من عشرين عاما في الجمعيات النسائية، أجريت حوارات عديدة مع سيدات فضليات، وخرجت منها بأن الزوج عليه أن يلعب الأدوار التالية إذا كان حريصاً على تربية أبنائه تربية جيدة، أولاً عليه أن يُسعد زوجته ويحبها ويقدرها، فإن حصل ذلك، فإن الزوجة المطمئنة ستكون قادرة على متابعة شؤون أولادها بصورة

جيدة. أما الزوج المقلق لزوجته، ساعة يهددها بزواج آخر، وأخرى يقارنها بفلانة من الناس، وثالثة يُقتر عليها في المصرف والمعيشة، وغيره من الممارسات المزعجة، فإنّ الزوجة في هذه الحالة ستكون متوترة ومشتتة الاهتمام، بل إن بعض السيدات غير الواعيات ينتقمن من أزواجهن في شخص الأبناء، وهذا خطأ كبير.

الواجب الثاني للأب هو تحمل جزء من مسؤوليات تربية الأبناء داخل البيت. كحكاية القصص الجميلة عن تاريخ الأسرة ما يُحبّب الأبناء الاستماع له، ولا يتقنه سوى الأب، أو مناقشة ما يدور في مدرسة الأبناء، أو تعليمهم المهارات والهوايات، وهو من أمتع ما يمكن أن يعلمه الأب لأولاده.

الواجب الأساسي الثالث للأب هو تحمل جزء من مسؤوليات الأبناء خارج المنزل. فأيّ منطق يوافق مثلا أن الزوجة وليس الزوج هي التي توصل الأولاد إلى المدرسة إذا كان الزوج قادراً على ذلك؟ أو تأخذهم إلى الطبيب وخاصة إذا كانوا أكبر من 6 سنوات؟ أو تذهب للسؤال عنهم في اجتماعات المدارس؟ وأسوأ ما في الموضوع أن تذهب الأم بأبنائها إلى صالون الحلاقة الرجالي، فتجلس بانتظار أبنائها وهي تراقب الرجال يحلقون ويقصون شعرهم.

إن هناك أنشطة مشتركة للوالدين معاً، منها مسؤولية الترفيه عن الأبناء، وهي ليست دور الأم بمفردها. والحديث عن ترفيه الأبناء واللعب معهم أو اصطحابهم أسبوعياً إلى مكان عام ونزهة ممتعة وزيارة محببة لا يعتبر ترفاً في مجتمعنا، حيث تتوفر السيارات وتتنوع أساليب الترفيه. والغريب أنك كلما دخلت مطعماً أو صالة للأطفال، تجد الأمهات والأطفال ولا تجد الآباء. إنّ غياب الأب عن هذه النزهات يبعده عن ذكريات طفله ويحرمه من أجمل معاني الأبوة.

وتقول بعض السيدات أنّ أزواجهن من حيث المبدأ يوافقون على مفهوم الشراكة في تربية الأبناء، لكن المشكلة تظهر عند التطبيق. فالأب يماطل ويعتذر ويتهرب حتى تجد الأم أن الحل يتمثل في قيامها بمهام الأبناء وحدها. ويأتي الحل بتعميق مفهوم الشراكة، وإلزامية هذا المفهوم، لأنّ الأم تشعر بالإرهاق الكبير إذا تابعت كل تفاصيل حياة أبنائها بمفردها، بل إنها ستصل إلى مرحلة تشعر فيها بالعجز عن إكمال مشوار التربية وحيدة، وربما من هنا وعد الإسلام المرأة الأرملة التي تربي أبناءها وتصبر عليهم بالجنة، إنها مهمة صعبة تقوم بها هذه الأم بلا دعم من الأب أو مساندة.

ختاماً كنت دائماً أتمنى أن ينشئ الرجال لأنفسهم جمعيات رجالية، على غرار الجمعيات النسائية، لمناقشة قضاياهم، وأقترح أن تكون أوائل أهداف تلك الجمعية، التوعية بدور الرجل كأب، وإقامة الدورات التدريبية للتعامل مع الأبناء، فمتى نراها تخرج إلى النور؟

ديسمبر 2005

استمتعوا بمشاهدة الأمومة

استمتعت خلال الشهر الماضي –مايو–بمشاهدة القطط في كل أرجاء الكويت وهي تمارس أمومتها في أجمل صورها. فكلما التفتُّ إلى زاوية هنا أو هناك وجدت قطة مستلقية وفوقها أربع أو خمس قطط صغيرة تلهو حولها، وكانت القطط إما تلعب أو تقفز أو ترضع، والأم تراقب أطفالها الصغار بحب تارة وبفخر واعتزاز تارة أخرى وبحذر وانتباه تارة ثالثة. ولو نظر الواحد منا إلى وجه القطة الأم لرأى بوضوح كم هي مجهدة من الرضاعة والمتابعة والسهر على صغارها، ولو اقترب أي منا نحو تلك القطة لرأى كيف تتحول من أم وديعة إلى حيوأن شرس مستعد للموت دفاعاً عن أطفاله. إنّ الأمومة هي إحدى أجمل المشاعر الإنسانية وأغزرها وأعذبها حيث أن لها متعة لا توصف، ليس فقط عند ممارستها بل حتى عند رؤيتها، ولعل الكثير من الدعايات التلفزيونية المتميزة نجحت لارتكازها على الأمومة كرابط بل ومنبه في تسويق المنتج الاستهلاكي.

ومن القصص المؤثرة التي لا أنساها، تلك التي استمعت إليها أثناء دراستي في الجامعة عن فأرة في مختبر تركوها تجوع ثم وضعوا أمامها الطعام، وجعلوا بينها وبين الطعام صفيحة ساخنة، وكلما تقدمت الفأرة نحو طعامها استشعرت سخونة الصفيح فعادت، ثم أعادوا التجربة ووضعوا بدلاً من الطعام أبناء الفأرة، وتفاجؤوا بأن الفأرة تقدمت ولم تعبأ بحرارة الصفيح في سبيل أن تصل إلى أبنائها.

وإذا كانت أمومة الحيوانات تمتد لأسابيع وأحياناً لأشهر، فأن أمومة المرأة منا تمتد إلى طول العمر. إنّ الإنسان منا لو نظر إلى علاقة الأمومة بعين العقل لوجد أنّها علاقة غير منطقية، فالأم تحمل وتلد وتربي وتسهر وتصرف مالها ووقتها على طفل وهي لا تدري في النهاية هل سيرد لها الجميل أم لا، وحتى لو كأن الولد باراً فهل

سيوفي الأم حتى طلقة من طلقاتها؟؟ والجواب لا طبعاً. لكننا لو نظرنا إلى الأمومة بعين الفطرة والغريزة لوجدناها تستحق منا كل عطاء، أنها مشاعر فياضة تظهر في شكل التزام كامل من الأم بطفلها مادياً ونفسياً ومعنوياً دون انتظار لمقابل أو حتى التفكير في ذاك المقابل. والجميل أن الرسول الحبيب عليه أفضل الصلاة والسلام استخدم الأمومة لتوصيل مفهوم عظيم إلى صحابته وهو رحمة الله بعباده. وكان عليه الصلاة والسلام قد نظر إلى امرأة فقدت طفلها فجزعت، ثم وجدت الطفل فأخذته وضمته إليها وألصقته بصدرها، فقال الرسول الكريم: "أترون هذه ملقيةً ولدها في النار؟" فأجاب الصحابة: "لا". فقال عليه الصلاة والسلام: "الله أرحم بكم من هذه بولدها". فالأمومة هي ذروة الشعور بالرحمة عند البشر.

وإذا كانت الأمومة عند الحيوانات تسير بنفس الاندفاع والتعبير على مر العصور، فهي ليست كذلك عند البشر، فهي بين مد وجزر، فهناك امرأة تبيع أبناءها فقراً وأخرى هروباً من التزاماتهم، وهناك من تشتري أطفال غيرها لعدم قدرتها على الإنجاب، وهناك بين هذه وتلك من تهتم بأبنائها إلى درجة المثالية، ويبقى عالم البشر عالماً غنياً بالتفاصيل والتباين. ختاماً بقي أسبوع أو أسبوعين على انتهاء موسم الأمومة عند القطط، حاولوا ألا يفوتكم العرض، أو انتظروا الموسم القادم فإنه قريب جداً.

يونيو 2007

الأمومة وسلسلة الخسائر

لقد مررنا كأمهات خلال السنوات السابقة بسلسلة من الخسائر في مجال علاقتنا وتواصلنا مع أبنائنا. كان أول ما خسرناه هو الرضاعة الطبيعية، والرضاعة لا تعني فقط الحليب نسقيه لأبنائنا، بل هي الارتباط والالتصاق بالإضافة لذلك الحليب، بل والكثير من المناعة والعافية والاستقرار. وكان عذرنا الانشغال والتعب بل وقلة الصبر وعدم الرغبة في التفرغ للأمومة.

ثم توالت الخسائر لتشمل الأعمال المرتبطة بالطفل كغسل ملابسه وزجاجات رضاعته، وإعداد وجبة طعامه وتنظيف فراشه وما شابه، فتنازلنا عنها للخدم مبررين ذلك بأعذار كثيرة، ودون أن نعلم أن مثل هذه الأعمال تعمل على وثيق العلاقة وزيادة الارتباط بيننا وبين أبنائنا.

وتقدمت الخسائر لتشمل تنازل الأم للخادمة عن أعمال فيها الكثير من الالتصاق واللمس للطفل، مثل غسل الطفل وتبديل ملابسه وحمله وإطعامه واللعب معه، وهي أعمال –لو أحسن استغلالها–لأصبحت وسائل لتوصيل الحب والحنان، بل وكذلك الثقافة والمعرفة والتراث. ألا تستغربون معي مما نراه يومياً من منظر الخادمة تحمل الطفل فيما تسير الأم بجوارها حاملة شنطة الطفل التي لا يزيد وزنها عن وزن الطفل نفسه، ترى ما ضر الأم لو حملت طفلها وتركت الشنطة للخادمة؟

ما يهمني اليوم وفي هذا المقال ما أعتبره خسارة المعقل الأخير للامومة، وهو خسارة الطفل لنومه ليلاً على يد أمه، وبدلاً من ذلك ينام الطفل مع الخدم وعلى صدرهم، ثم ينام الخدم في غرف هؤلاء الأطفال، ما يعني التصاق الخادمة بالطفل طوال الليل، بعد أن تكون قد التصقت به طوال النهار، أو بمعنى آخر ابتعاد الأم عن طفلها طوال الليل،

بعد أن تكون قد فارقته طوال النهار، وهذه النقطة _في نظري_ هي النقطة الأخطر والأسوء.

إنّ في نوم الطفل ليلاً مع الخادمة خطورة تكمن في عدة نقاط. أولها أن الطفل قبل النوم يحب الغناء وترديد الكلمات الجديدة التي تعلمها في النهار، كما يحب سماع القصص والحصول على قبلات الوالدين، وهذا كله لا يقدمه إلا الأم والأب فقط. ثانياً أن الخادمة تكون متعبة طوال النهار من عمل المنزل، لذا فعندما يستيقظ الطفل في الليل فإنها لن ترحم حاله، بل ولا تستطيع مساعدته. ثالثاً أن مخاوف الطفل ومرضه وآلامه تظهر في الليل، ما يجعل الأم قادرة على معرفة وضع الطفل الصحي والنفسي بنومه معها. وأخيراً فإننا كأمهات نبتعد كثيراً عن أطفالنا –بعذر وبغير عذر–طوال النهار، فهل أقل من أن نراعيهم في الليل؟!

إنّ الإنجاب مسؤولية كبيرة، وهي مسؤولية تستمر العمر كله، ومن لا تجد في نفسها الاستعداد للتربية والرعاية فأرجوها أن تفكر ألف مرة قبل أن تنجب طفلاً لا تكون قادرة على أداء حقوقه والوفاء بالتزاماته.

سبتمبر 2006

الأمومة في خطر

من التجارب المعبرة التي سمعت عنها أيام الدراسة الجامعية تجربة أجريت على فأرة. في البداية وضعوا الفأرة وهي جائعة في جهة ووضعوا لها طعاماً في جهة أخرى، ووضعوا بينهما صفيحا ساخنا، فوجدوا أنه كلما حاولت الفأرة التقدم ناحية الطعام فإنها تضطر للتراجع بسبب حرارة الصفيح. في الحالة الثانية وضعوا نفس الفأرة ولكنها عطشى، ووضعوا لها الماء، وجعلوا بينهما نفس الصفيح الساخن، فلم تستطع الفأرة التقدم للشرب. في الحالة الثالثة وضعوا نفس الفأرة، ووضعوا أبناءها في الطرف الأخر، وجعلوا بينهما نفس الصفيح الساخن، وما إن سمعت الفأرة صوت أبنائها حتى ركضت إليهم دون أن تبالي بحرارة الصفيح الساخن، ما أكّد للباحثين أن مشاعر الأمومة أقوى من مشاعر الجوع والعطش.

منذ فجر التاريخ تغنّى الإنسانُ بالأم، واعتبرها الإنسانة ذات القلب الكبير، وقد رُويت لنا عشرات القصص عن أمهات لم يربين أبناءهن فقط، بل ربوا أبناء ضرائرهن وأبناء جيرانهن وأيتام الأسرة، كل ذلك دون ضجر أو ملل، وبحب ملأ قلوب كل هؤلاء الأطفال. أما اليوم فأنا أعتقد أننا على أبواب مشكلة حقيقية، أبرز مظاهرها ما أصبحنا نسمعه من تأفف بعض الأمهات وبالذات الصغيرات من مسؤولية أبنائهن، وحديثهن أن الأطفال مزعجون وطلباتهم كثيرة وتعبهم لا ينتهي، وأن الأمومة مكلفة مالياً ومعنوياً، أو الكثير من العبارات الغريبة، وكأن الأمومة مجرد تسلية ليس لها ضريبة أو مقابل.

إنّ السبب وراء ظاهرة تراجع مشاعر الأمومة في نظري هو أنّ الأمومة من العواطف شديدة الحساسية للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية، فبالرغم من فطرية هذا الشعور، إلا أنه قابل للانحدار في حالات معينة، وعند أفراد ذوي طبيعة خاصة، كما في بعض حالات الفقر الشديد حين تبيع بعض الأمهات أطفالهن، أو في بعض حالات الترف حين تمل الأمهات من مسؤولية أطفالهن، أو ربما كما في حالات التغير الاجتماعي السريع والذي لا تجد فيه الأمومة أي سند ولا تشجيع يتناسب مع أهميتها كدعامة من دعامات الأسرة.

إن تحول الأمومة والتي هي أجمل وأروع شعور عرفته المرأة، إلى عبء تشتكي منه بعض الأمهات، هو ظاهرة تستحق الوقوف والتفكير، صحيح أنّ عدد هؤلاء الأمهات المتذمرات ما زال قليلاً في بلادنا، ولكن الظاهرة آخذة في الازدياد. وختاماً أقول، لطالما حمت الأمهات أبناءهن من ظلم الآباء، فهل يأتي اليوم الذي نحتاج فيه إلى أن نحمي الأطفال من ظلم الأمهات؟!

فبراير 2006

الطفل والعنف الأسري

لعلنا اليوم في الكويت بحاجة ماسة إلى إعادة النظر في وضع الطفولة وقوانينها، ولقد صدق من قال إنه إذا كان القرن العشرين هو قرن المرأة، فإن القرن الواحد والعشرين هو قرن الطفولة. أقول هذا بعد أن أطلعتنا صحيفة الأنباء على خبر مفاده مقتل طفلة على يد والدتها عن طريق التعذيب في منطقة الصليبية. وتشير الرواية أن الطفلة والتي كانت تدرس في المرحلة الابتدائية في مدرسة المزدلفة سبق لها أن أبلغت المدرسة أكثر من مرة أنها تخاف أن تموت على يد والدتها وأخيها المراهق، وقد قامت المدرسة بمكاتبة المنطقة التعليمية والتي لم تتعاون معهم، حيث رفضت المنطقة التدخل. ومر الوقت والطفلة تتألم والمدرسة عاجزة عن فعل أي شيء حتى توقفت الفتاة عن الحضور وماتت من التعذيب. والغريب أن والدة الفتاة سبق أن اتهمت بقتل ابنة سابقة إبان الاحتلال العراقي وقد كانت آنذاك متواجدة في المملكة السعودية، كما سبق لها أنا اتُّهمت بأنها وراء قتل خادمتها بضربها حتى الموت.

لا شك أن القصة السابقة تؤكد أن وزارة التربية هي المكان الذي تبدأ فيه حماية الأطفال، لأن كل طفل ملزم بأن يذهب إلى المدرسة، وفي المدرسة نستطيع اكتشاف الحالة الاجتماعية للطفل والتدخل متى احتاج الامر إلى ذلك. ولكن السؤال هو: ماذا تستطيع المدرسة أن تفعل؟ ومن تُبلغ عن الحادثة؟ وماذا بيد وزارة الداخلية أن تفعل لحماية الطفل من إساءة أهله له؟ وهل هناك بيوت آمنة يمكن أن يختبئ الطفل فيها؟ وهل هناك قوانين تنظم تجريم الوالدين وتعريف الضرر الذي يلحقونه بأبنائهم؟ وما هو دور وزارة الشؤون والتي لديها إدارة للطفولة ولعلها المطالبة أكثر من غيرها بالتحرك والتنسيق بين الجهات المختلفة؟

إن الطفل هو أضعف فرد من الأسرة، وإن العنف الأسري هو أبشع أنواع العنف، وهو يعني أن يعيش الطفل في فيلم رعب يومي، وذلك حين يتحول الأفراد الذين فُطر على محبتهم إلى أعداء بل إلى وحوش يُلحقون به الأذى والضرر. وإننا جميعاً مطالبون بأن نفعل شيئاً ضد هذا العنف الموجه للطفل، بل ضد كل أنواع العنف ضد الطفل سواء المدرسي أم الاجتماعي أم الإعلامي وغيره. إن للدول المتقدمة تجربة متميزة في هذا الاتجاه، فحماية الأطفال هي مسؤولية المجتمعات الواعية، فمتى نبدأ بالتحرك؟

مايو 2007

الإدارة المنزلية

تشعر فتياتنا اليوم بالكثير من الحيرة والمشقة حين يقبلون على الزواج، ويدركون أنهن بحاجة ماسة إلى تعليمهن فنون "الإدارة المنزلية" ليكنّ أمهات وزوجات ناجحات. وأعتقد أننا نستطيع مساعدتهن بتحويل المهارات التي اعتادت الأمهات في السابق أن تعلمها لبناتها، نحولها إلى محاضرات وشروح وورش عمل وقصص تتبادلها النساء في أماكن مخصصة، وذلك بقصد تهيئة المتزوجة الصغيرة للمسؤوليات التي ستقبل عليها وتدريبها على أن تتعامل مع تلك المسؤوليات وتتعامل مع الخادمة التي ستكون هي الأداة التنفيذية في المنزل.

إن الخادمة أصبحت حقيقة في حياة المرأة الكويتية، ولم يعد مجديا لا العويل على الأيام الخوالي، ولا الاكتفاء بترديد سلبيات وجود عمالة غير مهيأة في منازلنا، بل الحل هو في التعامل مع الخدم كواقع موجود، كواقع استمر لسنوات ويبدو أنه سيظل قائما لأعوام قادمة. لا بد لنا من قبول التغير الذي حصل لدور المرأة في المنزل، فبعد أن كانت تقوم "بيديها" بأغلب الأعمال كالطبخ والغسيل وتربية الأبناء، فيما كانت الخادمة تساعدها فقط، اليوم تبدل الحال، فالخادمة تقوم بكل الأعمال، فيما نجد أن المرأة تُوجهها فقط. أنا أعتقد أننا إذا نجحنا في إكساب المرأة مهارات الإشراف والتوجيه والمتابعة ةشيئاً من الممارسة للعمل المنزلي، أي أننا إذا نجحنا في جعل المرأة مديرة حقيقية للمنزل، فإننا نكون قد نجحنا في تجاوز الكثير من السلبيات التي نراها اليوم في بيوتنا، ونكون قد وصلنا إلى "تسوية" مع المرأة التي لا تريد الاستغناء عن الخدم والاعتماد على نفسها في أعمال منزلها.

إن إكساب المرأة مهارة "الإدارة المنزلية" تحتاج إلى تظافر الجهود، من جهة لا بد لنا من الضغط على المتزوجات الصغيرات لاكتساب وممارسة هذه المهارات إذ أنهن مسؤولات عن تكوين النواة الأولى والأساسية للمجتمع، ولا بد لنا في المقابل من تخصيص أماكن ومعاهد تقدم هذه البرامج التدريبية العملية، والاستشارات الأسرية، ليسير المجتمع بصورة صحيحة.

وإنني أدعو وزارة التربية إلى إعادة مقررات "الأمومة والطفولة" إلى مدارس البنات اليوم، وأدعو إلى تدريس مقرر مشابه للأولاد ليهيئهم لدورهم الأسري كآباء، كما أرجو من وزارة الإعلام تخصيص ساعتين أسبوعياً للأسرة وقضاياها، فالأسرة لا تكاد تحظى بأي برامج توجيه ودعم لمسيرها من قبل أي جهة في وطننا الحبيب.

سبتمبر

2006

الحرية السلبية

إنّ الحوار مع جيل الفتيات ضروري لكل العاملين في قضايا المجتمع، ومن يحاور فتياتنا اليوم، يجد أنّه أمام ثقافة جديدة مبنية على مبررات مختلفة عمّا عهدناه من قبل، وهذا يجعلنا كعاملات في الجمعيات النسائية أمام معادلات اجتماعية جديدة. فمثلاً في حوار مع إحدى الفتيات تفاجأتُ بقولها "ألا تعتقدين أن الرجل أجاز لنفسه خلال القرون الماضية مجموعة من التصرفات غير اللائقة بحجة أنّ "الرجل غير"، وأنه "شايل عيبه"، وفي المقابل قرر أن هذه التصرفات "تدمر" سمعة المرأة في حال لو أقدمت عليها، حيث أن سمعة المرأة هي رأس مالها". وتكمل الفتاة "أنّ المنطق يقول أنّ العيب هو العيب سواء أمارسته امرأة أم رجل، وأن الحرام هو نفسه للمرأة والرجل، وأنه ليس من المنطقي أن نسامح الرجل إذا فعل شيئاً ما، ونغضب كل الغضب على المرأة إذا فعلت نفس الشيء، بل إن ما يقوله الدين والعقل هو المساواة في تجريم الأفعال الخطأ للطرفين". وتصل الفتاة إلى نتيجة مفادها (أنّ المعادلة الاجتماعية الجديدة هي إما أن العيب عيب على الجميع أو أن الأمر ليس بعيب بتاتاً، وأن الكيل بمكيالين غير مقبول).

ونعلم جميعاً أن من الحريات السلبية التي استأثر بها الرجل لنفسه هي حرية التدخين، فقد ظل الرجال لسنوات يعتبرون التدخين مظهراً _وإن كان سلبياً_ من مظاهر الرجولة، حيث أنّه يمنحهم الشعور بالاستقلال والحريه والتمرد والتنفيس عن الإحباط، إلا أنه عندما تحررت المرأة، بدأت الفتيات يقبلن على التدخين، اعتقاداً منهن أنّ التدخين هو ميزة ومكسب، وكأنهن قد اكتشفن كنزاً أو مغنماً. إنّها ظاهرة مخيفة وبأعداد متزايدة.

ومن الحريات الخطيرة كذلك أن يكون للفتاة علاقة مع شاب، معتبرة أن حالها حال الرجل، وإذا كان للرجل الحق في علاقات قبل الزواج فللمرأة حق كذلك. وبدت بعض الفتيات تتباهى بمعرفة شباب تماماً كما تباهى الشباب لسنوات بمعرفة الفتيات. وفي تقرير غريب قرأته، أشار إلى انتشار بيوت للدعارة في الفلبين زبائنها نساء سائحات، وموظفوها الفقراء من الرجال من أهل البلاد، في انتكاس غريب للفطرة والمنطق، حيث لم يكن من المتوقع أن تقلد النساء الرجال حتى في هذا الارتياد لبيوت الدعارة.

وهناك عشرات المظاهر الأخرى كالسهر إلى وقت متأخر خارج المنزل للهو والسمر، وكالحديث بصوت مرتفع في الأماكن العامة، والخز والبحلقة في الجنس الأخر، والقيادة المتهورة والمسرعة والتي باتت وفيات الشابات فيها تناهز وفيات الشباب.

ختاما، لطالما أغضبني منطق الرجل الذي يقول إن "الرجل شايل عيبه"، ولكني اليوم أشعر بغضب لمنطق المرأة الذي يقول "حالي حال الرجل"، فكلا المنطقين خطأ وخطير اجتماعياً. وإنني في هذا المقال أنبه إلى خطورة ما نحن مقبلون عليه، وأنّ الحجج القديمة التي بررت الترخيص لبعض الشباب بالخطأ أيا كان شكله لم تعد تقنع الكثير من فتياتنا، وأن الخطر قادم لو استمرينا في الكيل بمكيالين، وذلك بأن نبيح للرجل ما نحرمه على المرأة من تصرفات. إنني أدعو إلى ضرورة تجريم وتأثيم مثل هذه التصرفات لكلا الطرفين، حتى لا نخسر الكثير من فتياتنا كما خسرنا الكثير من شبابنا، وحتى لا يصبح هذه الأيام مقبولاً وعادياً ما كان بالأمس عيباً.

مايو 2006

علموا أبناءكم حب الوطن

مضت علينا سنوات ونحن نتحدث عن حب الوطن على أنه فطرة لا تحتاج أن نعلمها لأبنائنا، وكل ما علينا أن نعلمه لهم هو كيف يعبرون عن هذا الحب ويعلنونه. اليوم نحن نعيش في زمان نحتاج فيه إلى أن نعلم أبناءنا كل ما كنا نعتقد بفطريته، سواء أكان حب الوطن أو حب الوالدين أو حب الأقارب، إنه زمان عجيب.

علينا أن نذكر أبناءنا بمعنى أن حب الوطن واجب وفطرة، وأن نقول لهم أن أجدادهم أحبوا هذه الأرض عندما كانت بواراً جدباء لا زرع فيها ولا نفط ولا ماء كاف، فكيف وهي اليوم معطاءة سخية، تُجبى إليها ثمرات كل شيء بفضل من الله وكرمه.

علينا أن نذكّرهم بفضل الوطن عليهم، فقد آواهم ورباهم، على أرضه شهدوا أفراحهم وأحزانهم، خوفهم وأمنهم، وولدت على أرضه مجاميع من يحبون، ودُفن في جوفه مجاميع من يعرفون ولا يعرفون، شهد الوطن ذكرياتنا وطفولتنا وشبابنا وشيخوختنا، فحبه وفاء وإيمان، ومن لا يحب الوطن لا يعرف الوفاء ولا الإيمان.

علينا أن نعلمهم احترام الرموز، فالعلاقة بالوطن ليست فقط علاقة قانونية ورسمية، بل هي علاقة حب واحترام نعبر عنها لرموز الوطن، ولا رمز كالعلم والأمير. إنّ تقدير الرموز من تقدير الوطن وحبها من حبه والحديث عنها له ضوابطه ومسؤولياته. إن الدول التي تقدر رموزها تحمي في الحقيقة استقرارها واستمرارها.

وعلينا أن نعلمهم كيف يعبرون عن هذا الحب. إن الحب اللفظي ضروري ولكنّه لا يكفي، ما نريده هو حب فعلي ومزيج من الإيثار والعطاء، ومن الاجتهاد والعلم والعمل المخلص، وما عطاؤنا للوطن مقابل عطائه؟ وما حبنا له مقابل حبه لنا؟ لقد سبقنا الوطن بالحب والعطاء والاحتواء دون أن يطلب منا مقابلاً.

وعلينا أن نربيهم على أن الكويت بيتنا الكبير، فما ترضاه لبيتك من حفظ وحسن تدبير ونظافة فإنك ترضاه لوطنك. وما ترضاه لإخوانك فإنك ترضاه لإخواننا أفراد هذا الوطن. ختاماً، لا بدّ لنا من تعليم أبنائنا حب الوطن، وضرورة هذا الحب، وكيفية التعبير عنه. أدام الله عز الكويت وأبقى علَمها عالياً يرفرف فوق رؤوسنا، وكل عام والجميع بخير.

مارس 2007

المرأة والرياضة

من الجيد عندما نتحدث عن الرياضة أن نبدأ بالإشارة إلى التغير الذي طرأ على مفهومها خلال سنوات طويلة. فعندما بدأت الرياضة قديماً كانت تنافساً شبابياً يهدف إلى زيادة مهارات القتال لدى الرجال، لذا انحصرت الرياضة آنذاك ما بين رمي بالنبل وضرب بالرمح وتسابق بالخيل، وأوجه عديده مشابهة. بعد ذلك بأزمنة بدأ الحديث عن الرياضة بمفهوم جديد، على أنها تنافس بين الشباب من أجل إذكاء روح العمل الجماعي والتنافس الشريف وشغل وقت الفراغ وكذلك زيادة اللياقة الجسدية، وربما تدعيم الروح الوطنية،عندها بدأت تظهر الرياضات غير القتالية والتي يدور أغلبها حول الكرة، سواء أكانت تلك الكرة تضرب بالقدم أو باليد أو بالمضرب أو غيره. وأما اليوم، فبدأ يظهر مفهوم أكثر حداثة للرياضة، وهو أنّ الرياضة بأشكالها يجب أن تكون للجميع، لما ظهر لها من أثر هام في حماية الإنسان مما سمي بأمراض العصر.

فقد وُجد أنّ صحة الإنسان – سواء أكان رجلاً أم امرأة– باتت تتراجع أمام وسائل الراحة الحديثة. فمما يثير الضحك والاستغراب، أنّ أجسادنا تتعب بكثرة الراحة كما تتعب تماماً بزيادة الإرهاق. وحين بالغ الإنسان في إراحة جسده، هروباً من أمراض الإرهاق، وجد أنه قد أضر بذلك الجسد، حيث أوقع نفسه في أمراض مرتبطة بالراحة والجلوس المتواصل، ما يجعل الرياضة هي الحل.

وتشير البحوث إلى أنّ طبيعة الحياة والعمل في السابق كانت تجبر كُلاً من المرأة والرجل على الحركة اليومية من الصباح إلى المساء، ما لم يدع مجالا للحديث عن الرياضة. أما الآن، وبحكم تغير طبيعة أغلب الأعمال من أنشطة جسدية إلى أنشطة ذهنية وإدارية، فقد ظهرت الحاجة إلى الحديث عن الرياضة كمفهوم عام، وتعريفها في نظري على

أنها "حركات مفتعلة غير منتجة" تجعل الإنسان يتعرق ويتعب حتى يحمى نفسه من أمراض الكسل والراحة.

والمرأة بالذات لها قصة مع الرياضة، حيث يبدو أن جسدها أكثر تضرراً بالسكون والجلوس من جسد الرجل. والطريف أنّ المرأة حين ارتاحت من الطحن والعجن والمسح والتنظيف والجري خلف أطفالها، أصبح من الضرورة أن تعوّض ذلك بالرياضة، فالمرأة كما يبدو يجب أن تبقى مخلوقاً منتجاً ومعطاءً. ومن هنا نستطيع القول بأنّ الحديث عن المرأة والرياضة لا يأتي من باب المتعة والتسلية فقط، بل من باب الصحة والعافية كذلك، ولحماية المرأة من العديد من الأمراض كالسمنة وهشاشة العظام وغيره.

ولكن عندما تلتفت المرأة إلى واقعها، تجد أنّ هناك تحيزاً ضدها في قضية الرياضة. والدليل أنه في حين يلقى الرجل كل الرعاية والتشجيع الرياضي، لا تجد المرأة المحافظة الا القليل من الاهتمام والمساحة لممارسة رياضتها المفضلة ككرة السلة أو الطائرة أو غيره، مما جعل الكثيرات من السيدات يتوقفن عن مزاولة هذه الأنشطة. ويبقى السؤال الهام: أين تذهب النساء لممارسة الرياضة؟

كل ما نتمناه كنساء هو أماكن مستورة لممارسة الرياضات النسائية، ضمن إدارة واعية حتى تبتعد هذه التجمعات عن أي سلبيات محتملة، وفي مثل هذه الأندية سنقضي على الفراغ والسمنة والعديد من المشاكل الصحية الأخرى، ولعلّ التجربة الإيرانية في الرياضة جديرة بالمتابعة، لأنها قدمت نموذجا محافظاً حقيقياً ويُحتذى به

أبريل 2006

المرأة وقيادة السيارة

لقد مضى على قيادتنا كنساء للسيارة في الكويت أكثر من ثلاثين عاماً، وبالرغم من ذلك فلم نكتب بأقلامنا النسائية حول تلك التجربة الثرية، وما حملته من تغيرات للعلاقة بين أفراد الأسرة في مجتمعنا. فمن الطريف مثلا أن نتحدث كأمهات عن تجربتنا في قيادة السيارة العائلية، تلك السيارة التي تستوعب الأم وجميع الأطفال والخدم، وكأن البيت قد أُختزل في غرفة واحدة لها دواليب تذهب هنا وهناك. واللافت للنظر هو أنّ السيارة العائلية كشفت عن تعدد مهارات المرأة، فالأم تقود تلك السيارة الكبيرة في نفس الوقت الذي توجه فيه ملاحظاتها لابنها المراهق الذي يجلس إلى جوارها والذي قد يحرص على استفزازها في كل دقيقة، في نفس الوقت الذي تحل فيه خلافات بين من يجلس من أبنائها في المقعد الأوسط، وفي نفس الوقت الذي توجه فيه الخادمة الجالسة في المقعد الأخير لحسن رعاية الطفل. هذا فضلاً عن قيام الأم بالإجابة عن بعض الأسئلة، والتعليق على المناظر على جانب الطريق، وربما تكون الأم أثناء كل ذلك تكلم والدتها أو صديقتها على الهاتف. على الرغم مما سبق فإن النساء في الكويت يسجلن معدلاً أعلي في مخالفات السرعة ومعدلاً أقل في الحوادث والوفيات. ألا تعتقدون معي أنّ المرأة تستحق تحية إعجاب لمهاراتها المتعددة؟

لكننا كأمهات عندما نقود السيارة نظن أنّنا في جو أسري، بينما الواحدة منا محرومة من مشاهدة وجه أطفالها، ومن التواصل الجسدي معهم بسبب انشغالها بقيادة السيارة، أما الأبناء فلا يرون إلا ظهر أمهم طوال الطريق. وقد تضطر الواحدة منا أن تختلس النظر إلى وجه طفلها في المرآة الأمامية لعلها ترى فرحته، بل وقد تضطر للكلام مع

أطفالها طول الطريق لتعوض غياب تواصلها معهم عبر الحواس الأخرى والتي تستخدمها لقيادة السيارة، ألم أقل لكم إنها تجربة تحتاج إلى حديث حولها.

كذلك فقيادة المرأة للسيارة جعلتها المسؤولة عن كل احتياجات المنزل، ليس فقط لأن الرجل اتّكل عليها في ذلك، بل لأنها هي كذلك تفضل شراء أغراضها بنفسها لأنها أعلم باحتياجاتها، وتفضل توصيل أبنائها للمدرسة حتى تتابع تفاصيل اهتماماتهم. لقد أراحت المرأة زوجها من كل أعباء الأطفال والمنزل، وفي المقابل زاد إرهاقها وزاد اعتماد الأبناء عليها، وهذا أيضاً من القضايا الجديرة بالبحث والمتابعة.

ختاما، فقد حققت قيادة السيارة لنا كنساء إيجابيات كثيرة جداً جداً، أبرزها استقلاليتنا وحريتنا وقدرتنا على إنجاز أكبر. إلا أنّ قضية قيادة المرأة للسيارة قضية ما زالت مثيرة وتحتاج لمزيد من المشاركات النسائية، ولعل ما سبق هو البداية، وبانتظار أن نسمع أو نقرأ تجارب أخواتنا للاستمتاع بها والاستفادة منها ما أمكن.

مايو 2007

وزارة التربية أم وزارة التعليم

تُعدُّ المدارسُ عموماً والحكومية منها خصوصاً مصدراً رئيسياً من مصادر تربية الأبناء على السلوك الحميد الذي يعكس الوجه الحضاري للبلاد. ولقد كانت المدارس في السابق تتباهى بإنجازها التربوي تماماً كما تتباهى بالإنجاز التعليمي، وتحرص على سير الخطان معاً ليخرج لنا الطالب وقد اكتمل تربية وعلماً، فيعكس بأخلاقه وعلمه شخصية المواطن الكويتي التي نريدها. لكن لسببٍ أو لآخر أصبحت الوزارة تهتم بتعليم الأبناء أكثر بكثير من اهتمامها بتربيتهم. بمعنى أنّ كلّ التركيز يكون على المواد الدراسية دون أي اهتمام يذكر بالجانب التربوي والسلوكي للأولاد، ما يخل بأهداف المسيرة التربوية والتعليمية ويسبب الكثير من الظواهر السلبية التي يتم الحديث عنها هذه الأيام.

ويطول الحديث عن مظاهر هذا الخلل التربوي، فتقول إحدى الأمهات "لم تبقَ شتيمة ولا تصرف سيئ ولا معنى ساقط إلا وتعلمه ابني في المدرسة، أشعر ببساطة أنني أربي والمدرسة تخرب". وأود هنا أن أقول أنّ ادعاء البعض مبدأ أنّ تربية الأبناء مسؤولية الأسرة وليس مسؤولية المدرسة هو ادِّعاء مردود، فالدولة لا تستطيع أن تشرف على ما يدور داخل الأسر ولكنها تستطيع أن تتابع ما يدور في المدارس وتستدرك تقصير الأسر وإهمالهم. ويقال أن تسمية وزارة التربية قد تدرجت في العديد من الدول العربية، فقد كانت تسمى في البداية "وزارة التعليم"، ثم أصبحت "وزارة التربية والتعليم"، ثم أصبحت "وزارة التربية" دون التعليم لأن التربية أشمل وأسمى وأهم، ولكن بحسب متابعتي لما يدور داخل المدارس تجعلني أميل إلى أن يعود اسم الوزارة إلى "وزارة التعليم" لاعتقادي بضعف الدور التربوي للمدرسة هذه الأيام.

ولقد تحدثت إلى مجموعة من النظّار والمعلمين الأفاضل الذين وافقوني على أنّ الاهتمام بالتعليم وما يتبعه من علامات الطلبة وأساليب الامتحانات والتزام المعلمين بوقت المنهج أكبر من الاهتمام بأخلاقيات الطلبة وسلوكهم وتعاملهم، وأن ضيق الوقت يجعل المعلم لا يجد المجال لمتابعة الطلبة أخلاقياً، كذلك فالكثير من الأهالي يمنعون المعلمين من توجيه أبنائهم. وإنني أعلم أنّ الحديث في هذه القضية يطول، ولكني آمل أن تعقد وزارة التربية مؤتمرا حول دورها التربوي، وأن تضع آليات حقيقية تهدف إلى رفع الدور التربوي للمدرسة، وذلك لأّن جيلاً دون تربية سليمة هو جيل لا يرتجى الخير من ورائه، وأسأل الله أن يحفظ أبناءنا ويرشدهم إلى ما فيه الخير والصواب.

ديسمبر 2006

المرأة والعمل

ربة البيت

في أحيان كثيرة، تختار السيدة منا ألّا تتوظف، بل أن تكون ربة بيت، لتتفرغ لاحتياجات زوجها وأولادها، شعوراً منها بصعوبة الجمع بين الوظيفة ومسؤوليات المنزل، وهذا اختيار نحترمه ونقدره. ولكن تشكو ربة البيت من نظرة البعض إليها كامرأة محدودة القدرات والإمكانيات، ولولا ذلك لما قبلت أن تكون ربة بيت، ولخرجت للعمل في الوظائف المختلفة. ويتضح ذلك جلياً في ما يردده البعض من مقولات، فمثلاً إذا شاهدوا فتاة ضعيفة في دراستها فإنّ والديها سرعان ما يرددان (ما تصلح بنتنا إلا ربة بيت، لا بد من تزويجها المبكر). أما الفتاة المتميزة فيقول والداها (حسافة عليها تتزوج، سنتركها تدرس). صحيح أنّ الوطن بحاجة إلى الفتيات المتميزات للعمل في مرافقه، لكن تربية أبنائنا وإدارة بيوتنا تحتاج إلى قدرات كبيرة كذلك.

ولقد قرأت منذ سنوات استبياناً ما زلت أذكره في إحدى المجلات، تضمن الاستبيان مقابلات مع مجموعة من المحاميات والطبيبات، وسألوهن (أيهما أسهل: الأمومة ورعاية المنزل أم الوظيفة التي تقومون بها؟) وكان الجواب أن أوضحت الكثيرات أن الأمومة وأعمال المنزل أصعب بكثير من وظيفة المحاماة والطب، والسبب أن عمل المنزل لا يرتبط بوقت، بل يستمر طوال النهار، كما أنه يكون بدون مقابل مادي أو معنوي، إذ لا أحد يحس بإنجاز من تعمل من النساء في البيت، بينما الجميع يشعر بإنجازات الطبيبة والمحامية ويدفع لها.

ومن القصص الطريفة التي قرأتها على الإنترنت ما روته إحدى السيدات فقالت: "كنت أعمل مثل زوجي موظفة، وكان دائماً يتعاطف مع تعبي وجهدي. بعد سنوات من الزواج أنجبت طفلين وتفرغت لهما، وعرفت كم هو متعب أن أقضي النهار بين مهام البيت وصياح الأبناء. وفي يوم من الأيام دخل زوجي المنزل متعباً من العمل، فالتفت لي قائلاً: يا بختك، مرتاحة طول النهار، يا ليتني مثلك! تقول الزوجة: عندها شعرت بغضب جعلني أقفز من الكرسي الذي كنت أجلس عليه وقلت له: تبادل؟ لقد جربت تعب المنزل وتعب العمل، ووالله ما أنت فيه من إرهاق أقل بكثير مما أشعر به الآن".

علينا جميعاً أن نرد اعتبار ربة المنزل، وذلك بإدراكنا للجهد الكبير الذي تبذله هذه المرأة ، وعلينا أن نحترم المرأة في أي موقع تختاره، داخل المنزل أو خارجه فهي أدرى بقدراتها وباختياراتها.

مارس 2006

المرأة بين البيت والعمل

بالرغم من مرور سنوات طويلة تتجاوز المئة منذ بدأت المرأة بالعمل خارج منزلها، الا أن الحوار حول كيفية تحقيق المرأة للتوازن بين واجبات العمل والمنزل ما زال مطروحا على المستوى العالمي والمحلي، وتتعدد الإجابات والآراء حول هذه القضية، ولي في هذا المقال بعض التعليقات.

أولاً: من الضروري التأكيد على أنّ العمل حق للمرأة إن رغبت فيه، فيما يكون لرجلها سلطة المشورة والنصح، دون التدخل والإجبار. فإذا اختارت المرأة أن تكون ربة بيت فهذا شرف لها، وإذا اختارت أن تعمل فهذا حق من حقوقها. إنّ المرأة الغربية والتي طالما اتهمناها بالتفريط في رعاية بيتها بسبب عملها تترك اليوم أكبر المناصب في سبيل رعاية أطفالها، فقط أعطوا المرأة الفرصة وهي أدرى بقدراتها وأعلم بما ينفعها.

ثانياً: لقد لعب راتب المرأة دوراً هاما في ضمان حياة كريمة لها، وعزز من مكانتها في الأسرة، سواء وهي متزوجة، أو وهي مطلقة أو أرملة، أو عندما لا تتزوج. فكم من مرة وجدت المرأة العاملة نفسها في حماية الله ثم راتبها حين تعرضت للعنف المنزلي، بل وكم من مطلقة ربت أبناءها براتبها حين تنصل الأب عن مسؤوليته.

ثالثاً: دعونا نتحدث عن فوائد العمل الكثيرة للمرأة سوى الراتب، مثل إكسابها الخبرة الإدارية والاقتصادية وحتى السياسية، وكذلك دوره في تعزيز مكانة المرأة في المجتمع. إنّ عمل المرأة هو مشاركة فاعلة في بناء الوطن الذي علمنا ودرسنا وربانا.

رابعاً: هل هناك إثبات أنّ أبناء النساء العاملات في الكويت بالذات يعانون مشكلات نفسية أو دراسية أو اجتماعية أكثر من أبناء ربات البيوت؟ ولماذا لا نكون صادقين ونتحدث عن عشرات الأسباب وراء تدهور وضع الأسرة الكويتية بخلاف عمل المرأة؟

خامساً: لقد كان غياب الأب الكويتي مفهوماً عن بيته وأسرته حين كان مشغولاً بالغوص أو بالعمل المضني، أما اليوم فغيابه غير مبرر عن بيته، فهو إمّا في شاليهات ومزارع الأصدقاء أو في الديوانيات. يجب أن نتحدث عن المسؤولية المشتركة للوالدين في التربية، ما يخفف العبء عن الأم ويجعلها أكثر قدرة على الموازنهة بين البيت والعمل.

سادساً: أوافق تماماً على الرأي الذي يدعو الأم العاملة إلى اختيار عمل قليل الساعات مثل العمل الحكومي أو العمل بدوام جزئي. إن العمل المضني الطويل كما هو في بعض الشركات الخاصة لساعات طويلة أو بدوامين هو عمل يتسبب بغياب طويل للأم عن بيتها، ويشكل صعوبة في تحقيق التوازن.

سابعاً: هناك الكثير من التشريعات التي من الممكن أن تساعد المرأة على الموازنة، منها إنشاء حضانات في أماكن العمل أو البدء في تنفيذ العمل الجزئي أو إعطاء المرأة الفرصة للعمل من منزلها ما دام لديها أطفال، إن الدول الأخرى قد أنجزت الكثير في هذا المجال فيما نحن لم ننجز شيئاً يذكر.

ختاماً، فإن المجتمع بحاجة إلى المرأة العاملة، بل إنّ المرأة نفسها كثيراً ما تكون بحاجة إلى أن تكون عاملة، ويبقى دور المجتمع في مساعدتها ما استطاع على الموازنة بين عملها وبيتها، من خلال الوعي والتخطيط وسن القوانين وتصحيح شيء من الثقافة الذكورية الموجودة.

أغسطس 2007

المرأة وتحرشات العمل

إنّ الحديث عن تعرض النساء للتحرش من قبل الرجال في العمل ليس بالشيء الجديد، ولقد اعترفت الكثير من الدول صراحة بوجود هذا التحرش، ونظمت الدورات لتوعية المرأة بحقوقها وبكيفية التبليغ في حالة وقوع أي تحرش بل ووضعت القوانين لمعاقبة المتحرش. في الكويت يتم الحديث همساً بين بعض السيدات عن وجود تحرش يتعرضن له أثناء العمل، ونقصد بالتحرش أن يقوم شخص ما، مستغلاً منصبه أو ما لديه من قوة وظيفية بالسماح لنفسه بمضايقة امرأة ما مضايقة جنسية، سواء كأن ذلك بكلمة أو بفعل، معتمداً على أنّ المرأة الأضعف منه في قوتها الوظيفية ستصمت ولن تبلّغ أحداً. المشكلة في قضايا التحرش أنّ المرأة تتردد في التبليغ عن هذه المضايقات إما خوفاً من فقدأن وظيفتها، أو خوفاً من أن ينتشر الخبر بين الناس، أو اعتقاداً منها أن أحداً لن يستطيع أن يوقف المتحرش، أو اعتقادا منها أن بعض التحرش مقبول علي أساس أن هذه هي طبيعة الرجال .

والحقيقة أنني لا أستطيع الجزم بأنّ التحرش هو ظاهرة في الكويت، وخاصة أنّنا في بلد ليس فيه استبيانات ولا أرقام، ولكني أقول أن هناك مشكلة حقيقية تعاني منها بعض السيدات وهي جديرة بالمتابعة. وتشير الدراسات عموماً أنّ الوظائف الأدنى في السلم الوظيفي (سكرتيرة أو موظفة استقبال أو ظناً منها أنّ بعض التحرش مقبول على أساس أن هذه هي طبيعة الرجال. ممرضة أو كاتبة أو غيرها) والتي غالباً ما تشغلها النساء هي الوظائف التي تبرز فيها هذه الظاهرة بصورة أكبر من غيرها من الوظائف، ولقد نشرت مجلة زهرة الخليج قبل مدة دراسة أجريت في مصر حول الزواج العرفي بين بعض المديرين وسكرتيراتهم، ومن يقرأ التحقيق يجد أن هؤلاء المديرين

يغرون السكرتيرات بأنهن إذا قبلن بشيء من العلاقة معهم فإن السكرتيرة في المقابل ستستفيد من منصب المدير ومكانته في العمل بالحصول على ترقيات أو مكافآت أو غيره، وأشارت المجلة إلى أنّ هذا الزواج لا يستمر في الغالب والسبب هو كونه علاقة فيها الكثير من الاستغلال لضعف المرأة وحاجتها، لذا فهو مبني على أسس غير متكافئة ولا صحيحة، وهذا شيء مؤلم حقاً.

لقد اقتنع بعض الرجال أنّ العمل مكانهم الطبيعي وأنّ المرأة هي كائن متطفل، وأعتقدوا كذباً أنهم غير مسؤولين عن تصرفاتهم لأنّ ميلهم تجاه المرأة ميل فطري، بل واقنعوا أنفسهم أن كل امرأة يتم التحرش بها فهي لا شك ملومة وليس الرجل إذ لا بد أنها أغرت الرجل بطريقة أو بأخرى، بينما نحن نعلم أن ما سبق مفاهيم غير مقنعة ولا مقبولة، خاصة ونحن نعيش وفق دين وقانون يلزم كل منا بنتائج أفعاله. إنّ نظرة الرجل إلى المرأة في العمل على أنها "مشروع علاقة" هي نظرة خطيرة، والحديث عن مفهوم غض النظر والعفة والاحترام وزمالة العمل هي مفاهيم راقية وتحتاج إلى من يدعمها. نريد للمرأة أن تعمل وهي كريمة ومحترمة وآمنة على عرضها ونفسها، من خلال نشر وعيٍ اعام وتشريعات رادعة وحديث واضح حول المرأة كشريك في التنمية.

ديسمبر 2006

المرأة بين واجبات العمل والتزامات الأسرة

استضافتني لجنة شؤون المرأة والأسرة في مجلس الأمة للحديث ضمن محور الحقوق الوظيفية للمرأة. وقد كانت ورقتي محاولة لتوضيح الجوانب النفسية والاجتماعية التي يجب أن تراعيها قوانين عمل المرأة، لتكون قوانيننا راشدة ومتوازنة.

عند الحديث عن المرأة والعمل يبدو المجتمع وكأنه يتحرك ضمن تيارين أساسيين، الأول يتحدث عن حاجة المجتمع إلى المرأة كقوة عاملة، ويدعو لتشجيع المرأة للانخراط في العمل لما له من أثر إيجابي في صقل مواهبها وقدراتها، ويرى ضرورة النظر إلى عمل المرأة بمنظار مماثل للذي ننظر به إلى عمل الرجل، فالمرأة تتلقى نفس التعليم ولديها نفس الطموح والمصداقية والرغبة في الإنجاز، ويرى هذا الفريق أن ارتباط المرأة بأسرتها قد أسيء استخدامه من قبل المجتمع، فاستأثر الرجل بالمناصب القيادية وأبقى المرأة في أكثر الوظائف إرهاقاً وأقلها في الميزات، كالسكرتاريا والتمريض، بحجة قدرة المرأة المتميزة على المتابعة والرعاية. ولا بد هنا أن ينتهي التمييز ضد المرأة على أساس النوع (أي الجنس)، وأن تنال المرأة فرصتها الكاملة في العمل والمنافسة الوظيفية والبدلات والمناصب القيادية.

التيار الآخر في المجتمع له منحى مختلف في الحديث عن هذه القضية، فهو يرى أنّ الأسرة هي أساس استقرار المجتمع، وأن الأم هي أساس استقرار الأسرة، وأن إغراء الأم بوظائف أخرى سوى دورها الطبيعي في الإنجاب والتربية هو إضرار بالمجتمع، والحل لديها يكمن بتشجيع المرأة للعودة لدورها الأُسري ولو استلزم الأمر صرف راتب لها مقابل هذا الدور، ورفض أيّ وظائف أخرى باستثناء ما لا غنى عنه من الوظائف كالتمريض والتدريس. هذا الحوار العالمي وليس المحلي يبدو أقل حدة لدينا في الكويت،

لعدة أسباب:

الأول: قدرة أغلب الأسر على استقدام الخدم، ما أوجد دعماً للمرأة عند غيابها للعمل، وإن كان قد خلق بدوره مشاكل أخرى.

ثانياً: قلة ساعات عمل المرأة في القطاع الحكومي، وهو القطاع الذي يستقطب المرأة بصورة كبيرة، كما يتصف هذا القطاع في الكويت بكثرة الإجازات مع وجود الكثير من التسيب والبطالةالمقنعة، ما سهل للمرأة أن تتواجد مع أطفالها لفترات أطول.

ثالثاً: أنّ الرجل بدوره في الكويت لا يعمل في الغالب إلا لدوام واحد، وليس دوامين كما هو الحال في الكثير من الدول الأفقر، ما جعله أقل إرهاقا من نظيره في الدول الأخرى، وساهم بدوره في تواجده لساعات أكبر –ولو أراد الرجل–فإنه من الممكن أن يدعم فيها توازن الأسرة واستقرارها.

إنّ السيدة منا – وعندما تخوض معترك الحياة– تجد الكثير من الحقائق التي تجعل كلتا وجهتي النظر صحيحتين، وتتأكد أنها تريد أن يسن المجتمع من القوانين ما يجعل المرأة قادرة على أن تجمع بين العمل وتربية الأبناء.

هناك الكثير من الأمور التي يجب علينا وضعها بعين الاعتبار حين نسنُّ قوانين المرأة والعمل:

1. أن نضع أمام أعيننا مختلف الشرائح النسائية، المرأة ذات الأطفال ومن ليس لديها أطفال، والمرأة التي تريد الحد الأعلى من العمل والتي تريد الحد الأدنى منه، ونطرح أشكالا مختلفة لعمل المرأة كالعمل الجزئي والعمل بالتناوب والعمل من المنزل وبرامج عديدة للعمل عرفتها الدول الأخرى ولن نحتاج أن نبتدعها، ما يجعل هذه الاختيارات حلاً للمرأة في فترات حياتها.

2. أن نحرص على ألا يقع الظلم على المرأة على أساس النوع أو الجنس، فتضمن قوانيننا عدم إساءة استخدام مهارات المرأة في التنظيم والرعاية والترتيب ضدها وإنما لصالحها. كما نحرص على أن تتم مساواة المرأة بالرجل في المناصب القيادية والترقيات الأساسية.
3. أن نهتم بتوفير حضانات في أماكن عمل المرأة لتوفر لطفلها الرعاية المطلوبة، وليجعلها أكثر تركيزاً واستقراراً في عملها.
4. من حق المرأة التي لا تعمل أن نسنَّ القوانين لدعمها في أداء دورها الأسري الهام، لكن مع التأكيد على أن يكون هذا الدعم مدروساً ومرتبطاً بعمر الطفل وألاّ يضر بجهود المجتمع في تشجيع المرأة على العمل والمساهمة في بنائه.

ختاماً، التوعية بمهارات الجمع بين العمل والأسرة قضية ضرورية للمرأة والرجل، علينا أن نتناقش فيها ونعلمها الأبناء ونؤكد أن الأسرة تأتي أولاً ثم العمل، مع التوازن بينهما وحاجة المجتمع لكليهما.

مارس 2010

العمل دورة حياة

كثيراً ما شعرتُ بأنّ دوافعي للعمل واحتياجاتي من الوظيفة تتغير بتغير عمري وتجربتي وظروف أسرتي، وسعدتُ حقيقة حين قرأت دراسات تتحدث أن هذه الظاهرة ليست فقط ظاهرة حقيقية يشترك بها أغلب الناس، وإنما أيضاً من الضروري أن نأخذها بعين الاعتبار حتى لا نخسر موظفينا الأكفاء بجهلنا لاحتياجاتهم الوظيفية، وأورد هنا خلاصة ما قرأت ممزوجاً بتجربتي الخاصة.

تكون بداية تجربتنا في العمل في العشرينيات من أعمارنا، وفيها يكون الموظف حريصا على رضا مسؤوليه مستجيبا لما يجده من قوانين، ولا يجد في تلك الفترة الشجاعة للنقد والتعليق لأنه يجد نفسه قليل الخبرة، كما يكون الموظف حريصا على التعلم واكتشاف قدراته. أما الموظفة المرأة فغالبا ما تتزوج في تلك الفترة، ما يجعلها تعيش أياما صعبة وهي تؤسس عملاً جديداً في الصباح وبيتا سعيدا في المساء، وأصعب ما في الموضوع هو إنجاب أول طفل أو ربما طفلين في هذه السنوات، وما يتبع ذلك من حمل وولادة وأمومة، ما يجعل الموظفة مضطرة لاختيار عمل مريح غير ضاغط كالعمل في الحكومة مثلاً، وهو ما يفسر تكدس السيدات في هذا القطاع.

في الثلاثينيات إلى الأربعينيات من أعمارنا يبدأ الموظف بالعمل جاداً من أجل تحقيق إنجاز في عمله أو الحصول على مسمى وظيفي جيد. ويشعر الموظف أنه قادر على تطوير العمل بعد أن ألمّ بكل تفاصيله، وأنّ لديه القدرة على طرح حلول جديدة لمشاكل قديمة.

وكذلك يجد الموظف نفسه بحاجة إلى الاستقرار الوظيفي والإجابة عن سؤال مفاده هل هذا المكان هو الأنسب لكي يستقر فيه أم يبحث له عن عمل آخر. أما المرأة فهي في هذه السنوات تكون أفضل حالا مما سبقها، فبيتها قد استقر بصورة أكبر، وأصبح انشغالها بالتنافس الوظيفي لا يقل عن زميلها الرجل.

في الأربعينيات وما بعدها يكون البحث عن النجاح في العمل هو الأهم، فمن يجد نفسه راضيا عن إنجازه فإنه ينشغل بتثبيت نفسه وتدريب غيره، ومن يجد أنّه لم يحقق ما يصبو اليه فإنه يدخل في حالة إحباط وظيفي (أزمة منتصف العمر). وفي هذه المرحلة كذلك يعيد الموظف النظر فيما قدمه لوظيفته وفيما تعلمه خلالها، ويعيد ترتيب أوراقه، وقد تنتهي الأمور إما بالرضا ثم الاستمرار في العمل، أو بالسخط ثم الانسحاب. وهنا تأتي خطورة إعطاء الفرصة للتقاعد المبكر للنساء، وذلك لأنه يتحول إلى مهرب للمرأة عند أول شعور بالإحباط في هذه الفترة.

في أواخر الخمسينيات يكون حديث الموظف عن قضيتين أساسيتين: الأولى كيف ينقل ما لديه من خبرة لمن معه تاركا ذكرى طيبة في عمله، والثانية ما هي مشاريعه لما بعد التقاعد، وهي مشاريع تختلف من ثقافة إلى أخرى.

ختاماً، قد تختلف دورة حياة العمل من فرد إلى آخر، ولكنها تظل ذات ملامح عامة مشتركة، ويأتي دور القائمين على العمل في التخطيط والتنظيم الجيد لما فيه خير مؤسسة العمل والموظف.

سبتمبر 2007

المرأة في بادية المخيال

في كل مجتمعٍ على مر التاريخ، قامت المرأة بالدور الأكبر في رعاية هذا المجتمع، لكنها كانت تعمل دوماً في الخفاء، إما داخل المنازل أو من وراء الكواليس، فلا يرى عملها إلاّ ذو البصيرة والرؤية الصافية.

ولقد شعرتُ دائماً أنّ المرأة البدوية هي إحدى تلك النماذج، وكنت أقرأ أنها قدّمت وما زالت تقدم الكثير باستمرار وإتقان في جو حار ومناخ متعب، لكني كنت أحتاج إلى معاينة ومشاهدة لحياة تلك المرأة المعطاءة، حتى أسعدني الحظ بمطالعة إنتاج فني رائع يحمل اسم (بادية الصحراء)، قام فيه السيد عبد الله حمد المخيال بالسيناريو والإخراج، مصوراً حياة أهل البادية ومُظهراً إياها في شريط فيديو وكتاب مصور. ويعدُّ هذا العمل رائعاً، لأنه يذهب بنا إلى أماكن لطالما تجاهلها الآخرون، فيدخل إلى الصحراء مستعينا بالتكنولوجيا الحديثة ليجعلنا نشعر أننا هناك مع هؤلاء الأحباب، ونرى الماضي حاضراً مستمراً أمام أعيننا.

استوقفني في الشريط كثرة وصعوبة المهام التي تقوم بها المرأة في البادية، حتى أنّ المطُّلع على حركتها اليومية لا يتمالك إلا أن يسأل نفسه (هل هناك عمل لا تقوم به المرأة البدوية في مجتمعها؟) يقول السيد المخيال: "المرأة البدوية هي عماد الأسرة وركن أساسي من أركانها لا سبيل لإنكاره أو تجاهله، فهي تشرف على إدارة شؤون بيتها، وتقوم بأعمال كثيرة متنوعة وقاسية، كحياكة البيت ونسجه وبنائه، ولها وظائف تربوية وثقافية واقتصادية في حياة الأسرة والمجتمع البدوي، وتتحمل المشاق وتتجشم الصعاب، فامرأة البادية عاملة منتجة في حركة دائمة")

ثم يكمل مفصلاً " أنّ مهام المرأة البدوية أكثر من أن تُحصى، فهي تغزل وتبرم كما تقوم بجمع الحطب وحمله على ظهرها، وهي عملية شاقة تأخذ الكثير من الوقت والجهد لتقوم بالطبخ والخبز عليه عند إعداد الطعام. كما تقوم النساء بحلب الأغنام، وتخض اللبن وتستخرج الزبد عن طريق وعاء جلدي تصنعه هي من جلود الضأن والماعز، كما تستفيد من اللبن عن طريق تحويله إلى لبن جامد يسمى الأقط عبر عملية غلي وتبريد طويلة".

ويختم قائلاً "إنّ الكسل لا يعرف للبدوية طريقاً، فهي ترد الآبار وتملأ الروايا وتورد الأبل. إنّ أقل ما يقال عن المرأة البدوية أنها امرأة عظيمة كابدت مع البدوي مشقة الصحراء، بل لعلها تحملت الجزء الأكبر من هذه المشقة على كاهلها، فهي راعية للغنم والإبل وربة للبيت وأمه الرؤوم".

إنّ قدرة المرأة على العطاء والتضحية هي قدرة مبهرة، رأيناها في المرأة البدوية في هذا المقال، ونراها كل يوم في كل امرأة صادقة عرفت واجبها وأدته كاملاً خدمة لأسرتها ولمجتمعها ووطنها.

أبريل 2006

نشاط المرأة الريفية

كتبتُ في يوم الاثنين السابق عن نشاط المرأة البدوية، وأتناول اليوم عطاء المرأة الريفية في مجتمعها الزراعي، لنعلم عظيم الدور الذي تقوم فيه المرأة في كل مجتمع.

يعرض الدكتور خضر زكريا في كتابه (عن الوضع الاجتماعي للمرأة العربية) نموذج المرأة في الريف فيقول "إنّ للنسوة في الريف تاريخُ حافل بالعمل، ولكن للأسف لا أحد يذكره ولو بلمحة بسيطة تظهر معاناة تلك النسوة. فقد كانت المرأة الريفية تشارك الرجل في الزراعة والسقي والحصاد والدرس والذراية ونقل الزرع إلى البيدر، هذا عدا زراعة خضار المنزل مثل البطاطا واللفت والبندورة، وقطفها وتصنيعها وتسويقها، وتصنيع بعض المحاصيل كالمشمش الذي تعالجه المرأة لتصنع منه المربى وقمر الدين". ويكمل "وكذلك هناك دور المرأة في تحضير إفطار البيدر الذي يجب أن يكون شهياً، أما بالنسبة لوجبة الظهر والعشاء فعلى المرأة أن تحضر الكبة أو أنواع أخرى من الطعام الذي يحتاج إلى جهد كبير".

ويستطرد الكاتب مشيراً إلى منحى آخر من عطاء المرأة تلك فيقول "وللمرأة دور مهم في بناء المنازل، حيث تحمل النساء اللبن على رؤوسهن لتقديمها إلى معلّم البناء، وقد تقوم النساء بمسح اللبن وهي عملية شاقة، وكم من عروس ساعدت زوجها في بناء غرف زواجهم". ويكمل "كذلك كانت المرأة تغزل الصوف والشعر وتحوك البسط والسجاد، وتجمع أوراق الأشجار كوقود يستخدم في التنور ولسلق الحنطة وصنع الدبس. كما تقوم برعي الأبقار في الصيف والشتاء وتحت الثلج والمطر، كما أنّها تنظف الحظائر وتفرش تحت الأبقار ما يلزم من تبن وغيره، وكانت كذلك تجلب لها المياه وتحلبها وتصنع الحليب وتسوقه".

ويستمر الكاتب بقوله "كانت المرأة أيضاً تُغسّل أولادها وتساعد زوجها في اغتساله، ثم تقوم بغسل ثياب الأسرة مجتمعة، ويجري الغسل باليدين، إذ تعتمد عليهما المرأة في فرك الأوساخ المتراكمة، ما يسبب لها الإرهاق الشديد". ويلخّص الكاتب ما سبق قائلاً "وبذلك تكون المرأة قد ساهمت في أعمال البيدر على قدر المساواة مع الرجل، إضافة إلى العديد من الأعمال المنزلية من تحضير الطعام ورعاية الأطفال وخياطة الملابس ورقعها وإزالة الفتوق وتثبيت الأزرار. وأثناء تلك الأعمال المنزلية يكون الرجل موجوداً في البيت دون عمل، أو خارج المنزل يمارس نشاطاً ما".

والحقيقة أنّ نموذج المرأة الريفية الذي قدمه المؤلف مليء بالتفاصيل التي توضح الأعمال المتعبة والمضنية التي عايشتها تلك المرأة البطلة في الريف، ومن قبلها المرأة في البادية. ولعلّنا بحاجة إلى الحديث عن هذه النماذج المشرقة مع الأجيال الأصغر، لنستنهض الهمم للحركة والنشاط.

إبريل 2006

المقالات السياسية

المرأة بين الانتخاب والترشح

كوني إيجابية

إنّ حصول المرأة على حقها في الانتخاب لا يعني الكثير، ما لم تمارس المرأة هذا الحق وتشارك بالتصويت بفعالية. وما زالت بعض النساء سلبيات، ويتساءلن، هل من الضروري أن أشارك بالتصويت؟ وماذا سيضيف صوتي للعملية السياسية؟ لكلّ هؤلاء أقول:

❖ لقد دفع أجدادنا الكثير لأجل الوصول إلى ما نتنعّم به من ديمقراطية وحرية. وإنّ مشاركتك اليوم هي دعم لمسير الآباء وتخليد لذكراهم. لو لم يدرك آباؤنا قيمة الديمقراطية لما ناضلوا من أجلها، وكلنا مسؤولون عن هذا الإرث الذي تركوه لنا.

❖ التفتي إلى من حولك من الرجال وتساءلي، لماذا كل هذا الاهتمام بالانتخابات؟ إنهم لا يتحركون عبثاً، بل هم يعلمون تماماً كيف أن هذه المشاركة ستحدد شكل الكويت لأربع سنواتٍ قادمة. تعلمي من الرجل واعلمي أنّه لو لم يجد الخير في هذا الأمر لما نازع عليه.

❖ إنّ المواطنة الحقيقية وحب الوطن لا يكون فقط بمعرفة حقوقنا بل وبممارسة واجباتنا أيضاً. إن تصويتك في الانتخابات هو واجبٌ تجاه الوطن، لأنه دعم للعملية التشريعية.

❖ لطالما ردد البعض أن المرأة غير قادرة على المشاركة السياسية لقلة وعيها وضعف إدراكها لدورها السياسي. ولقد آن الأوان لتثبتي العكس.

❖ تذكري ما ستكسبه المرأة إذا أثبتت فعاليتها في الانتخابات. تذكري مطالبنا الطويلة من تعديل القوانين التي تضر المرأة المطلقة أو المتزوجة من غير كويتي أو المظلومة في عملها وغيرها. إنّ تعديل القوانين لن يتم مالم نمارس التصويت بايجابية.

❖ لا تستخفي بصوتك. فأحياناً يكون الفرق هو صوت واحد فقط بين مرشحين.

❖ عندما تصوّتين فإنّ مشاعر الانتماء والمسؤولية والالتزام ستكون عندك أقوى. أما عندما تمتنعين عن التصويت، فإنك ستشعرين بالسلبية طوال السنوات الأربعة القادمة.

أختي الكريمة، إنّ المرأة تنظر إلى العالم بأعينٍ مُغايرة عن أعيُن الرجل، إنها تنظر إلى العالم وهي تحمل طفلها على كتفها، وهذا ما يجعلها ترى الأمور من جانب لا يراه الرجال. كما وإنّ عدم مشاركة المرأة في الانتخاب سيجعل مسيرة المجتمع عرجاء، وسيجعل قضايا المرأة والأسرة والأمومة بعيدة عن الاهتمام، وعندها سيظل التركيز على السياسة والاقتصاد أكثر من الأسرة والمجتمع. إنّ هذه الانتخابات هي مواسم تمر مرة كل أربع سنوات، فلا يضرُّنا أن نغتنمها ونتفاعل معها، واضعين الله والوطن نُصبَ أعيننا جميعاً.

مايو 2006

تحفيز المرأة الناخبة

عاشت المرأة الكويتية أياماً هامة من تاريخها، حين مارست ولأول مرة حقها في الترشيح والانتخاب في الانتخابات التكميلية للمجلس البلدي. ويمكن للمرء أن يلاحظ الكثير من خلال متابعة تلك الانتخابات، ومن أبرز ما يلاحظه هو ضعف إقبال المرأة على الانتخاب، وما يلي ذلك من أسئلة هامة حول سبب ذلك الضعف وسُبل علاجه. بداية يعلم القارئ أنّ ضعف الإقبال قد يبدو طبيعياً، أولاً لحداثة التجربة، وثانياً لأنّ انتخابات البلدي تظلُ أقلّ استقطاباً للناس من انتخابات مجلس الأمة، بدليل أن مشاركة الرجال بلغت فقط 51 %. وثالثاً لأن الإحباط العام السياسي والضجر من أداء المجلسين البلدي والنيابي بل ومن أداء الحكومة نفسها قد أدى إلى تساؤل الكثيرين حول جدوى المشاركة والتصويت.

أمّا مقالي هنا فهو لطرح سؤال هام مفاده: ترى ما هو مضمون الخطاب الذي من شأنه أن يحفّز المرأة لمزيد من الإيجابية في ممارسة حقها كناخبة في انتخابات مجلس الأمة القادم؟ والجواب هو ما يلي:

1. من الضروري استخدام خطاب شرعي يؤكد حاجة المرشح الجيد اليوم إلى كل دعم ممكن، وإلاّ فإنّ المرشح غير الجيد هو الذي سيصل إلى مجلس الامة. لقد أثبتت التجربة استجابة المرأة للخطاب الشرعي وعلينا أن نستثمره لخدمة قضايا المرأة والمجتمع.

2. من الضروري الحديث مع المرأة حول قيمة حصولها على حقها السياسي، وأهمية هذا الحق. ولقد لمسنا كنساء كيف التفت الجميع لمطالبنا بعد حصولنا على حقنا، وكاننا لم نكن موجودين قبل ذلك. إنّ الحق السياسي يعني القوة والمكسب إذا أحسنت المرأة الاستفادة منه.

3. لا بد من التأكيد أنه بدون مشاركة سياسية من المرأة، فإنّ تحقيق الكثير من مطالب المرأة المعلقة، ومطالبها المستجدة، سيكون مستحيلاً. ومن تلك المطالب قوانين لإنصاف المرأة في العمل وأخرى لحماية المرأة من العنف المنزلي، وقوانين حول حق المطلقة في السكن، وحق الكويتية المتزوجة بغير كويتي في ضمان حياة كريمة لأولادها، وعشرات من التشريعات الأخرى. لذا ما لم تخوض المرأة العملية السياسية وتساوم، فإن الظلم الواقع عليها لن يتغير.

4. لقد لمسنا جميعاً بأنّ المرأة التي لديها مشاكل هي أحرص على المشاركة السياسية من تلك المرأة المستقرة في حياتها. وأسأل كل امرأة في هذا المجتمع: هل يجب أن تعاني المرأة شخصياً حتى تتحمس لممارسة حقها السياسي؟ الجواب لا. فأكثرنا كمناضلات لنيل الحق السياسي ليس لنا ألمٌ خاص أو معاناة شخصية، بل إننا نعلم أنّ أي مكسب للمرأة الكويتية هو مكسب لنا جميعاً كنساء.

5. ثم لا بد من التأكيد أننا جميعاً شركاء في مركب الوطن، وأنّ الأزمات والحروب وكل نتائج القرار السياسي لا تميز بين رجل وامرأة، لذا فالسياسة شأن كل مواطن رجلاً كان أم امرأة وليست قضية الرجل فقط.

6. ليس المطلوب فقط هو تحميس المرأة للانتخاب، بل المطلوب كذلك التوعية وتعميم المعرفة لتجيد المرأة ممارسة حقها عندما تمارسه، مثل الحديث عن شروط الناخب الجيد وحرمة بيع الصوت الانتخابي وغيره. وبغير هذه التوعية ستطول المسافة على المرأة لتصل إلى ممارسة صحيحة وفاعلة لحقوقها الجديدة.

ختاماً أقول، إنّ مشاركة المرأة السياسية هي مسؤولية كل المجتمع وليست مسؤولية المرأة وحدها، لذا أرجو من ذوي الأقلام الساخرة من أداء المرأة السياسي أن يمدوا يد المساعدة للتوعية بدلاً من التعليقات الممجوجة، وكل مشاركة سياسية والجميع بخير.

أبريل 2006

تعس عبد الدينار

ربما تكون الحسنة الوحيدة في مشاركتنا كنساء في العملية الانتخابية على أساس الدوائرالخمس والعشرين هي أنه أتيحت لنا الفرصة بأن نعاين بأنفسنا الفساد الانتخابي الذي اعتدنا أن نسمع عنه في السابق من إخواننا الرجال، ونخرج من هذه العملية ونحن أكثر إصراراً على دعم مشروع تقليص الدوائر على أمل التخفيف من أشكال الفساد الكثيرة، ولعله يأذن لنا بأن نرى وجوهاً جديدة بدلاً من بعض الوجوه البغيضة التي لن ترحل إلا بتقليص الدوائر.

والعجب ليس من وجود المفسدين، فهم يتربصون الفرص دائماً وفي كل المجتمعات، ولكنّ العجب من سلبية الحكومة بالرغم من تواتر الروايات حول الفساد، ما جعل الحكومة في نظري تخسر في ثلاثة أمور: أولها تخسر شيئاً من ثقة المواطنين بها لأنها صمتت حين كان المطلوب منها أن تتحرك، والثاني أن بعض منظمات المجتمع المدني مشكورة أثبتت كفاءتها أكثر من الحكومة في تلمس مواطن الفساد ورصده واضعة بذلك الحجة على الحكومة، مما بدوره يشعر المواطنين أنّ عليهم الاعتماد على أنفسهم لا على حكومتهم في كثير من القضايا، وثالثهما أنّ حكومتنا ظهرت بمظهر غير لائق أمام العالم الذي يتابع الشأن الكويتي باهتمام ويرى الحديث الصريح عن وجود فساد انتخابي. والسؤال هو: ماذا تكسب الحكومة مقابل كلّ هذه الخسائر؟ ولصالح من تقدم هذه التضحيات؟ وهل هي مُختطفة من آخرين؟

والقضية الثانية التي لفتت نظري هي تدنّي نفوس الكثيرين وقبولهم بالمال حتى وهم يعلمون بحرمة ما يقومون به. وإذا كنا في السابق نتوقع من بعض المحتاجين مادياً أن يبيعوا أصواتهم، بل وأحياناً نحصر هذا التوقع في فئات بعينها اعتدنا أن نتهمها بالتواطؤ والتخاذل، فإنّ الأمور تبدلت اليوم، وأصبح من يقبل أن يبيع صوته مقابل المال أو الوظيفة أو المنصب كثيرين ومن مختلف المستويات الثقافية والاجتماعية، وهذا يقود إلى سؤال هام: ماذا حدث للناس؟ وما الذي قادهم إلى الحال الذي هم فيه؟ هل هي مشكلة أُناس تربوا على الاستهلاك والصرف حتى أنهم مستعدون للحصول على المال من أي مصدر كان؟؟ أم هو إحباط سياسي عام جعل البعض يرى أنّ العضو المرتشي لن يختلف في أدائه السياسي عن العضو غير المرتشي، فكلاهما يغرق في البحث عن حظوظ نفسه أربع سنوات ثم يفيق بعدها ليكرر وعوده بأنه سيفعل ويعمل. إنّها ظاهرة غريبة حين يبيع أحدهم مكتسبات الأجداد بحفنة من الدنانير.

إنني أعتقد أننا بحاجة إلى مؤتمر وطني للإصلاح، لا نتدارس فيه فقط كيف نصلح من هم في القمة، بل كذلك من هم في مختلف مستويات الهرم، لأنّ البلاء عم وانتشر، وتقويم النفوس هو جزء من أي خطة إصلاح وطنية حقيقية.

يونيو 2006

انحازوا للمرأة

يتحدث المجتمع اليوم عن إعطاء المرأة فرصة مكافئة للرجل في مجال العمل السياسي والوظائف. ولكن هل إعطاء المرأة هذه الفرصة المكافئة سيجعلها فعلاً تنافس كتفا بكتف الرجل سياسيا ووظيفيا؟ أم أنّ الرجل يتفوق على المرأة بعشرات السنوات من الاحتكار والخبرة، ما يجعل هذه المساواة غير حقيقية؟ إنّني أجد أنّ الإجابة على هذا السؤال الهام ضرورية، وخاصة عندما نتحدث كنساء عن ضرورة معاملتنا معاملة خاصة لفترة من الزمن في القضيتين المذكورتين، وعندما نسمع بعض الرجال يسخر من هذا الكلام، ويظنٌ أن المرأة الكويتية "المترفة" تريد أن تصلها حقوقها على طبق من ذهب، أو أنّ الكويتيات يردن دخول عالم الرجل دون أن يبذلن أي جهد يذكر.

إنّ مثل هذا الحديث تم في أوروبا وأمريكا في مرحلة ما بعد إعطاء المرأة حقوقها في كلا المجالين، حيث وجد أن فتحَ الباب أمام المرأة لا يكفي، ما لم تتم مساعدة المرأة لسنوات عديدة بالتدريب والرعاية، لتعوض المرأة ما فاتها من سبق الرجل وخبرته، وحتى يكفر المجتمع عمّا مارسه لسنوات طويلة من الانحياز ضد المرأة في قضايا السياسة والعمل، وحتى يصبح الحديث عن المساواة واقعاً وليس ضحكاً على الذقون.

إنّ فكرة الانحياز إلى المرأة وتمييزها بمعاملة خاصة، تشبه إلى حد كبير ما يمارسه المجتمع من تمييز للمبدعين لخصوصية قدراتهم، أو من رعاية للمرضى لصعوبة أوضاعهم، أو من عناية بالمعاقين لإنسانية قضيتهم. وفي حالة قضية المرأة يكون التمييز لها فقط لسنوات قد تقصر وقد تطول، حتى يثبت بالإحصائيات والدراسات حقيقة التكافؤ في الفرص السياسية والوظيفية بينها وبين الرجل.

وللدلالة على وجود ظلم واقع على المرأة في العمل السياسي، فإننا نجد أن أيّا من التجمعات السياسية لا تعلن تبنيها لنساء ضمن مرشحيها، علما بأن المرشح الرجل لا يفوز بالانتخابات إلا إذا كان لديه تيارات سياسية تدعمه، فكيف إذاً نطلب من المرأة المرشحة أن تفوز في عصر يجمع الكل على أنه زمن التكتلات؟ وأين الإنصاف عندما يكون للمرأة نقطتان ليستا لصالحها: استقلاليتها وحداثة تجربتها كامرأة؟

ومثال آخر هو أنّ المرأة المرشحة تسير وسط تيارات من التحبيط والموروث الاجتماعي والضغط من الأقارب، وتجد نفسها مضطرة لاستعمال آليات ترشيح بلورها الرجل بمواصفات ذكورية لا تجد لنفسها فيها مكانا، وكلما تحركت خطوة غضب الرجال لتصرفها. وأتساءل هنا: ألا تحتاج المرشحة لمساعدة المجتمع؟ لماذا لا نساعدها في خلق بيئة للتواصل مع الناخب الرجل خاصة وأنها لا تستطيع أن تدخل الديوانية؟ لماذا لا يتحرك المجتمع لوضع مواصفات جديدة للمرحلة المقبلة، بدلاً من ترك المرشحة تجتهد وقد تخطئ وقد تصيب؟ ولماذا لا نفكر جديا بالكوتا كتعويض للمرأة على سنوات التهميش السياسي الطويلة.

أما المرأة الناخبة فهي تحتاج إلى الكثير من المعاملة الخاصة، مثل الخطوة الذكية التي قامت بها الحكومة بتسجيل كل النساء في الكشوف الانتخابية بصورة تلقائية، لتحمي المرأة من ظلم محتمل بمنعها من ممارستها لهذا الحق، أو تحمي المرأة من جهلها شخصياً بأهمية ممارسة حقها هذا، نحتاج كنساء إلى الكثير من مثل هذه الخطوات المشكورة.

أما ما يدل على وجود ظلم واقع على المرأة في الوظيفة فهو حديث يطول. فما زالت بعض النساء غير قادرات على اختيار ما يردنه من عمل بسبب منع الأهل، وما زال البعض منهن يوكل إليهنّ الأعمال غير المرغوبة من قبل الرجال كالبدالة والاستقبال والسكرتارية، بينما يستأثر الرجال بالأعمال الإدارية الأفضل، وما زالت المتزوجات غير قادرات على الجمع بين العمل ورعاية الأطفال، وذلك لنقص التدريب والتأهيل للجمع بين هاتين المهمتين، وما زالت النساء أقل من الرجال في المناصب القيادية، وغيره كثير.

لقد وجدت الدراسات أنّ السنوات التي قضتها المرأة بعيدة عن ساحة العمل الخارجي، أورثتها ضعف ثقة بنفسها وبقدرتها على مثل هذه المشاركة، كما أنّ نظرة الرجال للمرأة "كمتطفلة" على هاتين الساحتين، وعرقلة البعض منهم بمشاركتها هذه، تجعل المرأة بحاجة إلى الكثير من التدريب والتأهيل والتعويض عما فات.

لذا أقول للجميع، انحازوا لصالحنا كنساء فهذا هو العدل والانصاف.

يناير 2006

ساعدوا المرأة

تتحدث الكثير من الناشطات في قضايا المرأة عن صعوبة –إن لم يكن استحالة– وصول المرأة إلى مقعد في البرلمان إن ترشحت كمرشحة مستقلة في الانتخابات القادمة. ويعود ذلك لسببين، أولهما أنّ عصر المرشح المستقل قد انتهى وحل عوضا عنه عصر التكتلات، وثانيهما حداثة تجربة المرأة السياسية، حيث تنقصها الخبرة من جهة، وقبول الناس لفكرة دخولها المجلس من جهة أخرى. وتعلمون جميعاً أنّ مجرد إعطاء المرأة فرصة مكافأة الرجل في مجال العمل السياسي لن يجعلها فعلاً تنافس الرجل سياسياً كتفاً بكتف، لأنّ الرجل يتفوق على المرأة بعشرات السنوات من الممارسة، ما يجعل هذه المساواة غير حقيقية.

ومن هنا بدأ الحديث بين الناشطات عن بديلين لا بد منهما:

الأول: نظام الكوتا، وبموجبه تخصص مقاعد معينة في مجلس الأمة للنساء اللواتي خضن الانتخابات وحازوا على أكبر عدد من الأصوات، سواء نجحن في الانتخابات أم لا. إن الكثير من الدول الاوربية والعربية اتبعت هذا النظام لضمان وصول المرأة إلى البرلمان، ووجدت تلك الدول أن هذا النظام أخلاقي ومبرَّر، حتى يكفِّر المجتمع عما مارسه لسنوات طوال من انحياز ضد المرأة في قضايا السياسة، وحتى يصبح الحديث عن مشاركة المرأة السياسية واقعا وليس ضحكا على الذقون.

إن فكرة رعاية المرأة وتمييزها بمعاملة خاصة، تشبه إلى حد كبير ما يمارسه المجتمع من تمييز للمبدعين لخصوصية قدراتهم، او من رعاية للمرضى لصعوبة أوضاعهم، او من عناية بالمعاقين لإنسانية قضيتهم. وفي حالة قضية المرأة يكون التمييز لها فقط لسنوات قد تقصر وقد تطول، حتى يثبت بالإحصائيات والدراسات حقيقة التكافؤ في الفرص السياسية بينها وبين الرجل.

الحل الثاني: هو أن تتبنى التيارات المختلفة نساء ضمن أسماء مرشحيها، وهذا معناه استفادة المرأة من الخدمات الانتخابية والتسويقية التي تقدمها التيارات لمرشحيها، وكذلك استفادة التيار من وجود امرأة تشارك بعطائها ورؤيتها، كما أن ذلك يعتبر تقديرا لكافة الناخبات من النساء في التيارات المختلفة.

لقد ساعدتنا الحكومة بالأمس لنيل حقوقنا السياسية رغم رفض الرجال من أغلب التيارات، فهل آن الاوان أن نرى أي بادرة دعم ومساعدة من إخواننا الرجال في كافة التيارات. للجميع نقول: ساعدوا المرأة!

مارس 2006

معايير نسائية للمرشح الجيد

لا شك أن دخول المرأة إلى الحياة السياسية سيكون له نتائجة وتبعاته، وسنلاحظ الكثير من التغيرات في العديد من الأمور. فمثلا أتوقع أن الحياة الشخصية للمرشح، وعلاقته الطيبة مع زوجته، وحسن أخلاقه مع أسرته، من المعايير الإضافية التي ستفرض نفسها عند اختيارنا كناخبات للمرشح الرجل. صحيح أنه لن يكون المطلوب من المرشح أن يمسك بيد زوجته ويدور بها من مكان إلى آخر، وليس المطلوب من المرشح أن يستعمل زوجته كمفتاح انتخابي تجلب له الأصوات، ولكن لا شك أن المطلوب من المرشح أن تشهد له زوجته باحترامها وحسن تعامله معها ومع أبنائه، إذ أنه من غير المعقول أن أعطي صوتي كامرأة لرجل لا يحترم زوجته ولا يقدرها، فكيف له أن يقدرني كامرأة وأن يسمع مطالبي؟

إنّ القيادي الأجنبي يتعمد أن يسير حيثما سار ومعه امرأته، ليؤكد أنه يحترم قيم الأسرة، وأن زوجته مواكبة لنجاحه، وأنها تستطيع الحوار في كل القضايا السياسية التي يتابعها، وأنه لولا دعمها وجهودها لما حقق ما حقق من نجاح. نحن في دولنا لا نريد للمرشح أن يفعل كل ذلك، ولكن في المقابل نريد أنه لو حصل والتقينا بزوجة المرشح، فإننا نلتقي بامرأة يحيطها زوجها علما بأنشطته، ويستشيرها بهمومه، ويتحاور معها في آخر التطورات، ويطلب دعاءها لتستقيم حياته، وأخيراً نريدها أن تشهد لزوجها باحترام حياته الأسرية، أو على الاقل نريد مرشحا لا تصل أخبار شراسته الأسرية لتكون قصصا يتداولها الناس.

إنّ الشخص الذي يرشح نفسه للانتخابات عليه أن يقبل بشيء من التساؤل حول حياته الشخصية، فهذه طبيعة الأمور، لإدراك الناس أن الشخص الذي يحقق السلام في بيته قادر على أن يحقق السلام في مجتمعه، وأن المرشح الذي يمارس الاحترام لقيم أسرته، سيمارس نفس الاحترام لتلك القيم وهو يسن التشريعات والقوانين. لذا أقول: ليس كثيراً علينا كنساء أن نطالب بشعار (خيركم خيركم لأهله) ليكون معياراً شخصياً اجتماعياً غير سياسي لاختيار المرشح القادم، أعتقد ذلك.

مارس 2006

بجانب كل مرشح امرأة

من الأمثال القليلة التي أنصفت المرأة المثل القائل (وراء كل عظيم امرأة) والمثل الآخر (فتش عن المرأة). وكلا المثلين يحمل معنى جميلاً مفاده أنّك حيثما وجدت رجلاً ناجحاً، فلا شك أنّ هناك امرأة تقف خلف نجاح هذا الرجل، وهي التي ساعدته في الوصول إليه، وكوننا لا نرى تلك المرأة، فهذا لا يعني عدم وجودها، بل إنها كعادة النساء تعطي في الخفاء، في حين لا يرى الناس إلا الرجل الناجح. ولطالما كنت أسأل نفسي: هل من الضرورة أن تكون المرأة وراء العظيم، مغمورة ومجهولة ولا يعرفها أحد؟؟ وما المانع أن تكون بجانب العظيم تشاركه هذا النجاح علانية وجهراً.

تذكرت ما سبق وأنا أرى في الصحف –ولأول مرة–زوجات المرشحين لمجلس الأمة، رأيت هؤلاء السيدات يجلسن بجانب أزواجهن في اللقاءات النسائية، ولسان حال المرشح يردد: هذه زوجتي، اسألوها عن الوجه الآخر لي كمرشح، اسألوها عن إنسانيتي في المنزل وسلوكي العائلي، إنّها هنا تدعمني وتشهد لي، وأنا فخور بها وهي فخورة بي. بل ورأينا كذلك دور زوجة المرشح وهي تدير حملته الانتخابية، وتتصل بالآخرين وتشهد بمناقب زوجها وإخلاصه لعمله وبيته، وكلها تغيرات إيجابية ورائعة.

والحقيقة أنّني أتوقع الكثير من المكاسب المرجوة لصالح المرأة في المستقبل من التغيرات السابقة، فالرجال وبالذات وخصوصا من سيكون له رغبة في ترشيح نفسه، سيهتم أكثر بمواصفات زوجة المستقبل الثقافية والحوارية أكثر من مواصفاتها الجمالية والشكلية، وسيهتم بتنمية مهارات زوجته خطوة بخطوة لتهيئتها للعب دور زوجة المرشح بنجاح، وسيحرص على التحاور معها ورفع وعيها السياسي والاجتماعي لتكون داعمة لنجاحه في النهاية، وربما سيقل تعدد الزوجات غير المبرر عند البعض ممن تعود على

مكافأة نفسه بزوجة جديدة عند نجاحه في أي عمل، وذلك رغبة منه في استكمال صورته كرجل جاد ومخلص لزوجته.

لقد كنّا دائماً نردد أنّ إعطاء المرأة حقها السياسي سيسدد مسير الأسرة، وسيرفع من قيمة المرأة كأم وزوجة وابنة، وسيزيد من الحوارات المنزلية البنّاءة، وسيرفع من الوعي العام السياسي، واليوم نرى هذا قد تحول إلى حقيقة، فلله الفضل والمنة.

يونيو 2006

المنظمات غير الحكومية
والتمكين السياسي للمرأة

بدعوة كريمة من وحدة دراسات المرأة بجامعة الكويت، شاركت بورقة حول دور المنظمات غير الحكومية في التمكين السياسي للمرأة، وعندما يتم الحديث عن تمكين المرأة السياسي فالمقصود به زيادة تواجد المرأة في مختلف مراكز القرار، سواء كان ذلك القرار السياسي أو الإداري أو الاقتصادي، وبالتالي زيادة تواجد المرأة في عضوية مجلس الأمة ومجلس الوزراء ومجالس إدارة الجمعيات التعاونية والخيرية والأهلية والبنوك والشركات وغيره.

وأشرتُ في ورقتي إلى العوائق التي أراها أمام تلك المشاركة، وهي في الغالب عوائق تتعلق بقيم ومفاهيم وطريقة تفكير، وتتماثل تجربتنا في ذلك بتجربة سوانا من الدول الأخرى. فمن الاعتقادات الخاطئة والسائدة بين الرجال والنساء على السواء أنّ السياسة ليست مكاناً للمرأة، وأنها لن تجيد اللعبة السياسية مهما حاولت لأسباب لها علاقة بتركيبها، وفي هذا الإطار يتم تضخيم أخطاء السيدات اللواتي شاركن في التجارب السياسية والإدارية للتأكيد على ذلك الضعف في القدرة، ويتم التندر بالمرأة القائدة، كما يتم استخدام الفتاوى الدينية للتأكيد على عدم جواز تلك المشاركة. والعائق الثاني يتمثل بالتأكيد على أنّه ما دام القانون قد أجاز للمرأة الترشح في المجالس المختلفة، فإنّ عدم نجاحها في الوصول لمراكز القرار دليل ضعفها المشار إليه، مغفلين القيم السلبية التي تعيق مشاركة المرأة مثل التشكيك بقدرتها السياسية، ومغفلين إبعاد المرأة لقرون عن المشاركة السياسية مما أضعف خبرتها في ذلك، ومغفلين هيمنة وسائل التواصل

السياسية التي أسسها الرجال خلال السنوات السابقة والتي لا تدخلها النساء إلا على نطاق ضيق كالديوانية مثلاً. ثالثاً اعتقاد الكثيرين أنّ تمكين المرأة هو عمل منوط بالمرأة وبالجمعيات النسائية بالذات، وليس للآخرين دور فيه، وهذا المفهوم نراه حتى لدى الحكومة التي لا تمتلك خطة أو رؤية لتمكين المرأة على الإطلاق.

واقترحت أن تقوم الجمعيات النسائية بالتالي: أولاً تخصيص لجنة خاصة لقضية تمكين المرأة في كل جمعية نسائية ضمن رؤية وبرنامج عمل سنوي. كذلك ضرورة إنشاء شبكة علاقات مع جمعيات النفع العام غير الحكومية الأخرى ومع الحكومة والبرلمان لتعزيز تمكين المرأة. كذلك التعاون مع وحدة دراسات المرأة التي تستضيفنا اليوم للاستعجال باستكمال إنشاء مركز معلومات خاص بالمرأة يرسم خريطة إحصائية لواقع المرأة في مراكز القرار، ويراجَع ضمن دراساته القوانين الكويتية للتنبيه على أماكن الخلل والتميز ضد المرأة، وربما طرح القوانين البديلة. كذلك لابد من إنشاء مراكز لتدريب المرأة ورفع كفاءتها السياسية والقيادية، وأخيراً لابد من وضع خطة توعوية جادة وواضحة لها جناح إعلامي وآخر اجتماعي لعمل تغيير حقيقي في ثقافة المجتمع.

ختاما، فإنّ التغيير يحتاج لوقت وعمل دؤوب وتكاتف للجهود، وبغير ذلك فهو لن يثمر، وإن أثمر فإنّ ذلك سيحتاج إلى أضعاف الوقت الذي يحتاجه التغيير المدروس المنظم، متمنية أن ينال تمكين المرأة ما يستحقه من اهتمام ورعاية.

مارس 2012

المرأة في البرلمان

وقفات مهمة في المسيرة السياسية للمرأة الكويتية

أول تلك الوقفات تتمثّل في اعتقادي أنّ حصـــول المرأة الكويتية على حقوقها السياسية كان طلباً مشروعاً لولا أنه سُوِّق تسويقاً سيئاً، وهذا ما جعله يتحول إلى نقطة صراع بدلاً من كونه نقطة اتفاق وعمل مشترك بين التيارات المختلفة. ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى أنّ أول عريضـــة نســـائية قُدمت لمجلس الأمة وطالبت بإعطاء المرأة حقوقها السياسية تضمنت في نفس الوقت طلباً بمنع تعدد الزوجات، ما خلق رد فعل غاضب على تلك العريضة شملت كل بنودها، وأعطت انطباعاً لدى الناس أنّ الفكر الذي يدعو لإعطاء المرأة حقوقها هو نفس الفكر الذي يهدف إلى تعطيل الشـــريعة الإسلامية. كذلك فقد كانت بعض السيدات المطالبات بتلك الحقوق آنذاك يُعتبرن في عرف المجتمع "متحررات" من حيث اللبس والتفكير، ما جعل المجتمع يزداد في تحفظه تجاه تلك القضية ويصنفها مع الوقت على أنها أداة من أدوات التيار الليبرالي لإفساد المرأة المسلمة، وأنّ الوقوف في وجه تلك المطالب هو واجب شرعي. كما لا يخفى على القارئ وجود أسباب أخرى منها أنّ التعليم في السبعينيات والثمانينيات كان في بداياته، وأنّ القاعدة المثقفة والواعية النســـائية والتي ســـتمارس تلك الحقوق كانت مغيبة إلى حد كبير.

ولكن بعد تحرير الكويت تغيّرت النظرة إلى حقوق المرأة الســـياســـية، حيث بدأت المطالبة بالمشاركة السياسية تتوسع وتزداد شعبية. لقد علّمنا الغزو كنساء أنّ السياسة

ليست حكراً على الرجل، والدليل أنّ تبعات السياسة من حرب وتشريد تطال كلا من الرجل والمرأة، وما دمنا شركاء في النتائج فلا بد من أن نكون شركاء في اتخاذ القرار. هذا هو الحوار الذي دار في ذهني أثناء الغزو ودار في ذهن الكثير من النساء الكويتيات، ودفعنا للتعاطف أكثر مع فكرة المشاركة.

ثم كان أكثر ما دفع بالأمور إلى نقطة التسخين هو الرغبة الأميرية السامية عام 1999 بإعطاء المرأة حقوقها السياسية، لقد جاءت تلك الرغبة بداية النهاية لحصولنا كنساء على حقوقنا، فقد كنا في المرحلة السابقة بلا سند قوي سواء من المجتمع أو من السلطة، أما اليوم فقد أصبح لنا شركاء أقوياء وبدأ الفرج يلوح بالأفق. لكنّ المشكلة التي واجهتنا وواجهت الحكومة آنذاك كان إقناع المعارضين الرجال بأنّ إعطاء المرأة حقوقها السياسية ليس مكسباً لليبراليين فقط ولا للحكومة فقط ولا للمرأة فقط، بل هو مكسب للمجتمع بأسره ودفع بالتنمية والاستقرار الاجتماعي إلى الأمام، وللأسف كان المعارضون غير قابلين رافضون للحوار، ولم يكن هناك حل إلا أن تفرض الحقوق السياسية فرضاً، وهذا ما فعله سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الصباح آنذاك حين كان رئيسا لمجلس الوزراء، فهندس الأمور بحكمة القائد وكياسته. ولا بد لنا هنا أن نخص بالذكر أمير القلوب نصير المرأة الشيخ جابر الأحمد رحمه الله، ونصل بالشكر إلى مقام سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الذي وعدنا آنذاك بأن نتمهل ونثق بقيادته ونبشر بالخير وفعلنا ما أمرنا به فأنجز ما وعدنا به.

شهدت البلاد العديد من ورش التدريب والتأهيل للمرأة لتكون قادرة على المشاركة السياسية الكاملة، ولقد شهدت هذه الورش إقبالاً كبيراً فاق التوقعات، ودارت خلاله حوارات كثيرة بنّاءة وهادفة. وقد كان للجمعيات النسائية نشاط ملحوظ في ذلك، وبذلك أثبتت الجمعيات النسائية أنّ دورها لم يقف عند المطالبة بالحقوق السياسية بل استمر إلى ما بعد

تلك المرحلة. ومن الضـــروري أن يعلم القارئ أنّ الجمعيات النســـائية هي جمعيات نفع عام غير سياسية ولولا ذلك لكان لها حركة أكبر وأوسع.

سارع العديد من أعضاء مجلس الأمة إلى تكوين ديوانيات نسائية لتدارس احتياجات المرأة في المنطقة ومطالبها، وتخلّلت تلك اللقاءات محاضرات توعوية وثقافية وسياسية في ذات الوقت، وهذا كله في صالح المرأة. ولطالما كنّا كناشطات نبشّر النساء بأنّ الاهتمام بهن سيزيد وقضاياهن ستصبح ذات ثقل إذا نلن الحق السياسي، وها هنّ اليوم يرين ذلك بأنفسهن وتتضح لهنّ الصورة كاملة. تقول لي إحدى السيدات"كنت أظن أنّ السياسة شرٌ مطلق استأثر به الرجال لحمايتنا من ضرره، فتغيرت الصورة لدي اليوم وبدأت أرى حجم الفائدة التي نجنيها لو أحسنّا استغلالها".

إنّ حقوق المرأة لم تكن لتصـــلها لولا وجود طليعة بل ونخبة من الرجال والنســـاء ممّن كان لديهم بعد نظر وحكمة، فتتابعوا على تبنّي قضـــية المرأة خلال رحلة مطالبة امتدت ما يقارب الأربعين عاماً، غير آبهين بما يقولـه من حولهم، حتى نـالت المرأة حقوقها وأخذت موقعها الصحيح.

ختاماً، أعترف شخصياً أنّ في قلبي غصة مستمرة حتى اليوم من أن التيارات الإسلامية لم تســتبق الأحداث فتصـــوّت مع حقوق المرأة بدلاً من أن تُفرض عليها الحقوق فرضـــاً، لكنّي أستطيع أن أتفهم الأسباب وراء ذلك. وعلى أي حال فبحصولنا كنساء على حقوقنا السياسية أغلقنا صفحة ساخنة من جدل سياسي ومناظرات وندوات دامت قرابة الأربعين عاماً. لقد اختتم الجدل لصـــالح المرأة ولصـــالح حقوقها ولصـــالح الوطن بأكمله، وبقيت تلك الحوارات للتاريخ والباحثين فيه.

مايو 2006

ما تعلمناه من تجربتنا البرلمانية الأولى

انتهت الانتخابات وضجيجها وصخبها، وبقي لنا ما تعلمناه واكتسبناه من خيرٍ كثير. والحقيقة هي أنّني كنت أتابع هذه التجربة بقلق كبير، لأننا عندما طالبنا بإعطاء المرأة حقها السياسي، كان هناك من يخوّفنا بالأثر السلبي الذي سيعود على المرأة نفسها والأسرة إذا ما مارست المرأة حقها، ويؤكد أنّ هذا الحق لن يغير في وضع المرأة وليس له قيمة، وأنّ الرجل هو من سيستفيد من هذا الحق، وكنت أشعر بالقلق خشية أن يتحقق أي قول من أقوالهم، ولكن لله الحمد قد ثبت العكس تماماً.

فلقد أثبتت الأيام أنّ حصول المرأة على حقها هو مكسب فيه خير كثير للمرأة ، ومن ذلك الخير أنّنا نشعر بالنشوة والسعادة لكوننا لم نعد مواطنين من الدرجة الثانية، بل أصبحنا مواطنين بصورة كاملة نشارك في إدارة شؤون بلادنا. كما نجحنا في أيام الانتخابات في تسليط الضوء على قضايانا النسائية وشرحنا همومنا الكثيرة وتلقينا عشرات الوعود الطيبة، وتعلمنا درساً هاماً مفاده أنّ لغة القوة والمصلحة أقوى من كل لغة أخرى، فقد كانت قضايانا معطلة لسنوات لم يهتم بها أحد، وما إن نلنا حقوقنا السياسية حتى اهتمّ بنا الجميع، وبدأنا نتصدر الندوات واللقاءات وأصبحنا الموضوع الأهم في كلّ برنامج انتخابي.

كما أننا تحدثنا في السياسة كنساء كما لم نفعل من قبل، فقد تحدثنا في الشأن الداخلي ومتطلباته، والخارجي وشجونه، وفصلنا في قضايا الاقتصاد والبيئة والأسرة وغيرها الكثير. وترتب على ذلك وعي أوسع وأشمل يواكبه شعور صادق بضرورة الاستمرار والمتابعة لمختلف القضايا السابقة.

وكذلك فقد أخذنا نفك رموز اللعبة السياسية والتحالفات الناشئة عنها، ونوازن ونقيّم الأمور ونراها من نطاقٍ مختلف. كما عرفنا ما يعنيه الفساد الانتخابي ورأيناه وخبرناه، ونحن اليوم أشد حرصاً ورغبةً في تقليص الدوائر وتصحيح النظام الانتخابي، وتقويم النفوس المريضة التي تدعمه وتؤازره.

كما تدربت الكثيرات منّا على إدارة الحملات الانتخابية وتنظيمها، وفن التعامل مع الآخرين، ومعنى الروح الرياضية، والكثيرمن المهارات الاجتماعية المشابهة. وأخيراً فقد رأينا أحباباً وأصدقاء لم نرهم منذ أيام الدراسة، فتجددت العلاقات وتحركت الذكريات. ولكل ما سبق نقول أننا سعداء بحصولنا على حقنا السياسي ولا بد لنا من تفعيله للوصول إلى مكاسب سياسية جديدة.

يوليو 2006

بعض الأمنيات للانتخابات القادمة

أمنيات أقدمها وأكرّرها بعد هدوء كل عاصفة انتخابات وقبل بدء كل عرس انتخابي جديد:

أولاً: نريد من كل مرشح برنامجاً انتخابياً حقيقياً. ومعنى هذا أننا نريد منه ورقةً مفصلة بما يعدنا أن يقوم به إن نجح في الانتخابات، ولا بد لهذه الورقة أن تغطي الأربع سنوات كاملة، وأن تتناول الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية والصحية والتعليمية، وأن يفصّل تحت كل قضية أهم الأولويات بالنسبة له، وأن يتّسم البرنامج بأربع صفات: أن يكون محدداً وواقعياً وقابلاً للتنفيذ خلال الأربع سنوات وقابلا للقياس. ويهمُّني هنا هو أن يكون قابلاً للقياس، أي مكتوباً في نقاط محددة، فقد سئمنا من الكلمات المطاطة على طريقة سأعمل وسأزيد وسأوسع وغيره. إنّ هذا البرنامج هو أفضل وسيلة لمحاسبة المرشّح بعد السنوات الأربع ومن ثم الحكم على إنجازه، أما الطريقة البدائية التي تم بها التعامل مع الناخبين والتي هي في غالبها خُطَب رنّانة فهي غير مقبولة أبداً.

ثانياً: توقّعت أن تقوم جريدة الدستور التابعة لمجلس الأمة بعد حل المجلس بعمل عدد خاص حول إنجازات كل عضو من أعضاء المجلس تشمل عدد سفراته واللجان التي شارك فيها والاقتراحات التي قدمها وتصويته من القضايا الهامة التي عرضت على المجلس وغيره. هذا الجدول يساعد الناخب على المقارنة بين أداء وإنجاز الأعضاء المختلفين ومحاسبتهم. إنّ الناخب العادي لا يستطيع أن يقوم بمثل هذا العمل دون دعم ومساندة من ذوي الخبرة، ولعلّ جريدة الدستور هي أقدر من يقوم بذلك.

ثالثاً: لقد لعبت استبيانات الأستاذ الفاضل صلاح الجاسم على الإنترنت دوراً كبيراً في استقراء النتائج وهو جهد طيب يثمّن له. لماذا لا يكون لدينا مراكز لتوجهات الناخبين بإمكانيات أكبر وأوسع؟ إنّ من يعيش بلا معلومة إنما يعيش بلا نور ولا يستطيع أن يخطط للمستقبل.

رابعاً: أتمنى أن تقوم التيارات المختلفة باختيار نساء ضمن مرشحيها. إنّنا نراهن على وعي التيارات السياسية في إكمال مسيرة التنمية في المجتمع، ودخول المرأة إلى البرلمان هو جزء من تلك التنمية المطلوبة.

خامساً: لقد أثبتت المناظرتان اللتان أقامتهما معهد المرأة، فائدة المناظرات بين المرشحين وأهميتها. نتمنى تأصيل هذا الأسلوب وتوسيع استخدامه في الانتخابات القادمة.

ختاماً، هناك الكثير ممّا يمكن أن يتم الحديث عنه عند تقييم التجربة الانتخابية، وأنا سعيدة بظهور مؤسسات مجتمع مدني متخصصة بتنمية التجربة البرلمانية الكويتية وتسديدها لعلها تتدارس التجربة بتمعن لتصل بها إلى النضوج الذي نأمله.

يوليو 2006

تفعيل الحقوق السياسية

هل انتهى دور المجتمع تجاه المرأة بعد أن أعطاها حقوقها السياسية؟ أبداً، بل إنّ مشوار المجتمع مع المرأة قد ابتدأ بعد حصولها على تلك الحقوق، إذ لا بد للمجتمع من تفعيل الحقوق وتمكين المرأة من ممارستها كاملة.

وهل تفعيل الحقوق السياسية هو مسؤولية المرأة وحدها؟ أبداً، بل هي مسؤولية المجتمع بأكمله، إذ أنّ المرأة نصف المجتمع، وأيّ تقصير في أدائها هو ضرر للتنمية المجتمعية.

وبعد هذا أتساءل: لماذا تبدو الأمور وكأنّ المجتمع أعفى نفسه من أي التزام بقضايا المرأة بل وشعرَ براحة الضمير ولسان حال رجاله يقول (مو تبون حقوق سياسية وخذتوها، شتبون بعد؟)

حقيقةً، إنّنا نريد الكثير. نريد مثلاً أن يكون لكل مسؤول رفيع مستشارة من النساء لمتابعة شؤون المرأة في وزارته أو قطاع عمله، والحرص على تحسين وضعها وتلمُّس همومها. نريد كذلك زيادة عدد النساء في المناصب القيادية، والتوقف عن توزيع تلك المناصب على الرجال على أساس الحسبة السياسية. كذلك نريد رفع نسبة النساء كوزيرات، إننا نريد أن يتم اختيار الوزير على أساس الكفاءة وعدم التحيز للرجال، وعدم الاكتفاء بإعطاء النساء مقعداً وزارياً واحداً. كما نريد من كلِّ عضو مجلس أمة أن يكون لديه سيدتان لمتابعة احتياجات النساء وقضاياهم وتفعيل أدوارهم. إنّنا نريد بكل بساطة تقاسم السلطة مع الرجال، فالبلد بلدنا جميعاً ونحن شركاء في القرار السياسي.

ختاماً، فإنه حينما يتخلف المجتمع ويتأخر يقوم أفراده بانتزاع حقوقهم بأظافرهم، أما في المجتمعات الراقية فالحقوق تُمنح للأفراد ضمن رؤية عامة لمجتمع متطور يعيش أفراده بولاء كامل وفخر بوطن كريم ينتسبون إليه.

مارس 2007

الآن نوّر المجلس

سعادة بالغة تغمرنا كنساء بدخول أربع سيدات كنائبات إلى مجلس الأمة الكويتي، وهي سعادة مصدرها أننا أصبحنا شركاء مع الرجل في إدارة الوطن بعد أن كنّا متابعات بل ومتفرجات، وأصبح الوطن مسؤولية الجميع بعد أن كان مسؤولية الرجال يشرّعون ويراقبون.

لقد كنّا على وشك المطالبة بالكوتا خوفاً من أن تمُرّ الأيام دون وصول المرأة إلى البرلمان، ولكنّ الواقع كان أفضل ممّا توقعنا، فلم تصل المرأة فقط إلى البرلمان، بل حازت على أرقام قياسية ومقاعد متقدمة دون أن يساندها في الغالب أيّ تيار، فبدا الأمر وكأن المجتمع كافأ تلك الفئة من المرشحات اللواتي سبق أن عرفهنّ المجتمع كناشطات في قضاياه المختلفة، وكسيدات ذوات طرحٍ متميز وحديثٍ مسموع.

لقد سقطت الادّعاءات التي ردّدها البعض بأنّ المرأة عدوة المرأة بل ثبت أنّ الكويتيين نساءً ورجالاً كانوا متعطشين لوجود المرأة في البرلمان وكل ما احتاجوه هو فقط بضع سنوات، وهاهم جميعاً يحصدون ثمرة انتظارهم برؤية المرأة على الكرسي الأخضر.

واللافت للنظر هو أنّ السيدات الأربع النائبات في مجلس الأمة تجمعهن الكفاءة العلمية، فجميعهن حاصلات على درجة الدكتوراة في تخصصات مختلفة، مما سيغني التجربة النسائية والبرلمانية، ويجعل النائبات يوزعن اهتمامهن بين القضايا السياسية والاجتماعية والتربوية المختلفة.

إنّ التحديات أمام النائبات ستكون متنوعة، أولها أن النائبات سبق أن وعدن نظيراتهن من النساء أن يكون لهنّ معالجة جادة للكثير من قضايا المرأة المعلقة، ونذكر من تلك الوعود بالذات وعودهن بأن يقدمن دفعاً سريعاً لقضية الكويتية المتزوجة من غير كويتي

وحقها بالسكن ونقل الجنسية لأبنائها، هذا عدا مجموعة من القضايا الأخرى النسائية، والأنظار متّجهة نحوهنّ كنائبات فيما سيقدمن لأخواتهن نساء المجتمع، ليؤكدن أنّ النائبة ستدعم قضايا المرأة بصورة أكبر وأقوى مما يقدم النائب الرجل.

ومن التحديات الأخرى قدرة المرأة في إثبات تواجدها في قضايا المجتمع المختلفة سياسية كانت أم اقتصادية أم اجتماعية، فقد سبق لنا كنساء أن ادّعينا بأنّ المرأة ستنظر إلى القضايا المختلفة التي طالما عالجها الرجل بنظرة مختلفة تكمّل نظرة الرجل، وأنا على ثقة من أنّ الأخوات النائبات سيكنّ على مستوى الثقة التي مُنحت لهن.

أمّا التحديات "الطريفة" فمنها أن يتعود المجتمع على كلمة نائبات بدلاً مما تعود عليه من كلمة نوّاب، وأن تتوقف النكات التي بدأت تنطلق عن دخول السيدات إلى المجلس وهذه النكات على طرافتها الظاهرة تحمل من التمييز ضد المرأة الشيء الكثير، كما أنّ على الإعلام ألاّ يركز أضواءه المزعجة أحياناً على تفاصيل سلوكيات النائبات، ماذا يلبسن وكيف يجلسن، بل أن يعطيهن الدعم اللازم لتجربتهن الجديدة.

حقيقةً أتمنى أن يكتمل مشهد المرأة السياسي برؤية نائبة في البرلمان تمثل التيار الإسلامي وبالتالي تمثل شريحة لا يستهان بها من سيدات المجتمع، هذا حلمي الشخصي فهل أفرح مرة أخرى عند تحقُّقه؟

مايو 2009

مجلس بلا نائبة.. ولا شك نائبة!

مع انتهاء انتخابات 2012، بدأت عملية قراءة النتائج والتي كان أبرزها عدم وصول أيٌّ سيدة للبرلمان، إذ عاد البرلمان الكويتي كما كان قبل إقرار حقوق المرأة السياسية، نادياً للرجال فقط. ويأتي السؤال: لماذا لم تدخل أي سيدة للبرلمان هذه المرة؟

لعلّ السبب الأول يتعلق بما تمّ ترويجه من ضعف أداء النائبات السابقات، وأنّ أغلبهن لم يكن موفقات في اختيار المواقف التي تعكس رغبة الشارع، بل وارتمى بعضهن في أحضان الحكومة، فجرى عليهن ما جرى على غيرهم من النواب الرجال المشابهين في الموقف السياسي، إذ سقطوا جميعا. هذا التحليل وإن لم يخلو من الصدق، إلاّ أنّ العتب فيه ليس بمحاسبة النائبات على مواقفهن، بل على ترويج مقولة مفادها (وبذلك نكون قد أعطينا المرأة فرصة ولم تثبت جدارتها)، وبالتالي لم تتم فقط معاقبة النائبات السابقات، بل تمت معاقبة جنس المرأة بالعموم.

والسبب الثاني هو الفتاوى التي انتشرت بين الناس والتي تُحرّم التصويت للمرأة المرشحة. هذه الفتاوى كان أصحابها هذه المرة المعتدلين من المشايخ الذين هم محل قبول من أغلب الناس. المؤسف في ذلك أنّ التلفزيون هو الذي أبرز هذه الفتاوي وأبرزتها الصحافة كذلك في صفحاتها الأولى، بل وتم توزيعها على البيوت ضمن مجموعة فتاوى أخرى تحرّم إعطاء الصوت للمرتشين والفاسدين. والسؤال هنا: هل من الإنصاف استخدام الفتوى ضد المرأة في قضية لم يحسمها الشرع، وتتحمل وجهتي نظر إحداهما مؤيدة والأخرى معارضة؟

السبب الثالث هو أنّ هذا المجلس جاء بعد حل المجلس السابق، وترتب على ذلك أنّ ذوق الناس في الغالب توجه لشخصيات كانت فاعلة وبصوت مسموع في ساحة الإرادة، ولمّا كان حراك المرأة ضعيفاً في تلك الأحداث، فقد أثر ذلك على اختيار الناس لها. والسؤال هنا: هل نتعامل في حياتنا السياسية بردود الأفعال؟ ألسنا بحاجة لإدخال عناصر اعتدال كالمرأة، لعل ذلك يطيل عمر هذا المجلس الساخن؟

السبب الرابع يتمثّل في ما يتداوله الناس من أنّ انتخابات 2009 شهدت دعما عاما للمرأة مصدره رغبة الناس في إعطائها فرصة الدخول للبرلمان وممارسة حقها السياسي الذي نالته من فتره قريبة آنذاك. أما في هذه الانتخابات فقد تُركت المرأة بدون هذا التسويق والدعم. إن صح هذا الكلام فالحديث الذي تتداوله بعض السيدات عن ضرورة وجود الكوتا هو حديث منطقي، والانتخابات القادمة ستكون الحاسمة في ترجيح أي من الرأيين.

السبب الأخير هو أنّ المنافسة بين المرشَّح الرجل والمرشحة المرأة دائماً غير متكافئة. ففي حين يتواصل الرجال مع بعضهم طوال العام بالدواوين، لا توجد للنساء أماكن تجمُّع ثابتة ورتيبة، ويبقى دخول الديوانية أسلسَ للرجل منه للمرأة. كذلك فتأثير الرجل على المرأة ما زال قويا بين بعض الفئات الاجتماعية، إذ يستطيع الرجل أن يتحكم بأصوات نساء الأسرة ويتحكم في اختيارهن للمرشح بسهولة، وهو ما يجعل المرأة تؤكد أنّ الرجل يتفوق عليها في الأدوات التي يمتلكها في الانتخابات.

ختاماً، فأمامنا كمجتمع الكثير لنقوم به إذا كنا جادين في دعمنا للمرأة لتكون شريكاً في الحياة السياسية، فالقضية ليست إعطاء المرأة حقها، بل دعمها وتمكينها لممارسة هذا الحق بكل تفاصيله.

مارس 2012

شذرات سياسية

إدارة الجماهير الغاضبة

غضبنا جميعاً –نحن المسلمون– غضباً شديداً لله ولرسوله بسبب الكاريكاتيرات المشينة، وعشنا أيام كرامة وعزة وتناغم على امتداد العالم الإسلامي. وإذا كان لا بد لنا جميعاً اليوم من وقفة تقييم وتقويم لما جرت عليه الاحداث، فالأولى أن يكون للتيارات الإسلامية – التي أخاطبها في هذا المقال– نظرة أعمق وأشمل، حيث كان لهم الدور الهام في أجزاء كثيرة من سير الأمور. ولا بد لي هنا من مجموعة ملاحظات:

1. إنّ الجماهير التي غضبت كانت جماهير محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام، ولم تكن فقط جماهير التيارات الإسلامية، وهذه المعلومة ضرورية وهامة. فلقد شمل الغضب عموم العرب والمسلمين ممن لديهم أدنى درجات الغيرة على الإسلام وعلى رسولنا الكريم.
2. إلا أنّ هذه الجماهير جميعها التفتت إلى الدعاة والوعاظ والتيارات الإسلامية لتأخذ منها التوجيه لكيفية التصرف، وكأنّ هذا هو الدور الأهم لتلك التيارات. ولقد أثبت جميع التيارات رشدها بالدعوة إلى مقاطعة المنتجات الدانمركية، والتأكيد على عدم التخريب والتعرض للممتلكات والسفارات، ما جعل التيارات الإسلامية تبدو أكثر حكمة من بعض الحكومات العربية.
3. إنّ هذه الجماهير كانت غاضبة في الأصل على الغرب من إهانته الدائمة للمسلمين، لكن الغضب كان ناراً تحت رماد، وجاءت الرسومات لتؤجج هذا الغضب وتطلقه، فهو غضب كامن وسابق. إنه غضب بعث برسالة للغرب فحواها

(ألا يكفيكم أن تجرأتم على أرضنا ومالنا ودمائنا، حتى تتجرؤوا اليوم على آخر معاقل كرامتنا، وهو ديننا وإسلامنا).

4. إنها ليست المرة الأولى لتحرك الجماهير الغاضبة المسلمة، فجميعنا نذكر محمد الدرة، والغضب الشعبي العارم الذي اجتاح العالم الإسلامي. لقد كان محرِّك الحدث آنذاك صورة مؤثرة، كما أن محرك الغضب اليوم هو أيضاً صور مغضبة. وكما لم يجد الناس في أحداث الدرة إلا التبرع بالمال، كذلك لم تجد الجماهير اليوم إلا التبرع بمالها لدعم نشر مطبوعات عن الإسلام، والمقاطعة الاقتصادية لمن رسم تلك الرسوم.

5. لقد كتب الكثيرون مقالات كثيرة وقيّمة معلقين على الحدث، فمن الحكمة تجميعها وتحليلها. كما كانت هناك ثلاث أدوات رئيسية كان لها دور هام كوسائط لنقل الأحداث وهي: رسائل الهواتف النقالة، والقنوات الفضائية الإسلامية، والإنترنت، لذا علينا أن ندرس توزيع الثقل بين هذه الأدوات ونقاط نجاحها وتأثيرها.

6. وأخيراً، من الضروري التنبيه على أنّ القيادات الإسلامية تركت الغضب الشعبي الأخير بلا نهاية واضحة، كالنار تُترك بلا وقود فتأكل نفسها وتهدأ، وهذا في نظري مثلب هام، فالناس تسأل: هل نستمر بالمقاطعة؟ وإلى متى؟ وماذا نفعل بعد ذلك؟ إنّ تركَ الجماهير بهذه الطريقة قد يؤثر في حماسها المستقبلي لعمل مماثل.

ختاماً، فإنّ إدارة الجماهير هي أمانة ومسؤولية، وهي أيضاً فن ومهارة، ولا بد للتيارات الإسلامية التي لعبت دوراً هاماً في إدارة تلك الجماهير، أن تدرس الأحداث السابقة بتمعُّن، لعلّنا نستثمر هذا الغضب دائماً في نصرة الله ورسوله.

أبريل 2001

إضاءات للأغلبية النيابية

من خلال متابعتي لنشاط الأغلبية في مجلس الأمة، أود أن أتوجه لهم ببعض النقاط التي أراها مهمة لإدارة العمل النيابي بكفاءة. ومن تلك النقاط، ضرورة تذكُّر الأغلبية أنّ هناك أخرين فاعلين في الساحة، ومن الحكمة أن يحصل هؤلاء على فرصة للحركة وأن لا تستأثر الأغلبية بكل الفرص دونهم. إنّ حرمان الفئة الاخرى من العمل والإنجاز يحولهم إلى خصوم. ثم إنّ لكل تيار نقاط قوته، وإذا أُحسن توظيف تلك النقاط فإن ذلك سيصب في مصلحة الكويت العامه .

ومن الأهمية أيضاً ألاّ تستغل الأغلبية فوزها لتوظيف مساندِيها دون غيرهم في الوظائف والفرص المختلفة، بل تختار الأفضل والأحسن والأجدر للعمل. كذلك لا بد للأغلبية من الاعتراف بجهد من سبقها والثناء عليه ونسبة الشيء لأهله. إنّ الحديث عن السابقين باحترام، والاعتراف بأدوارهم قضية هامة لغرس الود والمحبة. ومن الضروري هنا تنبيه الأغلبية بألا تستخدم الإسلام في تصنيف الآخرين، بمعنى أنّ كونهم تيارات إسلامية لا يعني أنّ سواهم غير مسلم، أو أنه ضد الدين، فنحن في بلد مسلم والكل يعلن فيه حب الدين.

أما في علاقتها مع الجمهور، فعلى الأغلبية أن تتذكر أنّ الجماهير في عالمنا العربي تنحاز تلقائياً لمن يعادي الحكومة، لكنّ ذلك لا يعني انجراف الأغلبية تحت ضغوط الجماهير، فالنزول للساحات ليس دائماً هو الحل الصحيح، والحكومة ليست خصماً دائماً، بل إنّ الفساد والتقصير هو الخصم سواءً كان موقعه حكومة أوأفراد. ثم إنه يجب على الأغلبية أن تقود الجماهير حين تضع الأولويات لا أن تقودها الجماهير

بطلباتها. وعليها دائماً تذكُّر أنه ليس هناك في السياسة خصمٌ دائم، ففي قضية معينة قد نجد أن تياراً معيناً هو الخصم، وفي أخرى نجد أنّ نفس التيار هو النصير. يجب أن تفهم الجماهير وتتقبل فكرة التعاون مع الآخر حسب الموقف.

ومن النصائح أيضاً، ضرورة تواصل الأغلبية مع المجتمع عبر حديث واضح ورتيب ومستمر تعرض فيه ما لديها من تصورات وخطط، فتتحدث إلى الناس عن المستقبل الذي تأخذهم اليه آخذةً بالإعتبار أنّ التصريحات المتناقضة والمتضاربة والمستعجلة وغير المدروسة تضر أكثر من غيرها.

كما أدعو الأغلبية أن تستعمل كل وسائل الإدارة الحديثة من تخطيط وتنظيم ودراسة جيدة للمشاريع التي تقوم بها. من الصعب أن نلوم الحكومة على ضعف انضباطها الإداري والفني بينما الأغلبية لا تستطيع الإلتزام بذلك. ومن المهم أيضاً أن تستفيد من المثقفين والمفكرين في البلاد بغض النظر عن تيارهم السياسي. فقبل اقتراح تشريعات للتعليم أو الأسرة مثلاً، ما المانع من دعوة المهتمين والمتابعين لهذا التخصص في مؤتمر عام علني ؟ لنستمع لآراء الجميع ويستمعوا لنا؟

ختاماً فإنّ استقرار الكويت هو هدفنا جميعاً، والتنمية والإنجاز هما مبتغانا، والوقت يمضي سريعاً. نسأل الله أن يجعل وطننا آمنا مستقراً ويحفظ سائر بلاد المسلمين.

أبريل 2012

تناقض في نظرتنا للبدون

بقدر ما شعرت بالرضا لإعلان وزارة الداخلية عن اعتزامها قبول أبناء الكويتيات المتزوجات من بدون كعسكريين في سلك الشرطة، بقدر ما شعرت باستمرار التناقض الذي تعيشه هذه الوزارة في نظرتها للبدون على مدى سنوات عديدة. أما تناقض الداخلية فيكمن في أنّها تأتمن البدون على أمن الوطن وحمايته ثم ترفض وبشدة تجنيس هؤلاء العسكريين أو حتى تجنيس أبنائهم حين يستشهدون أثناء حماية الوطن، في مفارقة عجيبة غير قابلة للتفسير.

إنّ القضية هي أنّ الإنسان حين يتم قبوله كشرطي فهذا يعني أنه يحمل السلاح ويتابع خفايا أمور أمن الوطن، بل إنه بحكم وظيفته يستطيع لو أراد أن يخرق القانون مستغلاً منصبه، وفي نفس الوقت فإنه عندما تعلن الداخلية عن اعتزامها قبول أبناء البدون من أم كويتية فهذا يعني أن الداخلية تثق في هذه المجموعة من الناس، وأنّ الداخلية تعتقد أنها تستطيع أن تأتمن هذه الفئة من البدون على أسرار الوطن وخفاياه وأمنه، أي أن هذه الفئة محل قبول، بل وإن فئة البدون من أم كويتية هي الفئة التي يتم التفكير بها مباشرة في حال أنّ عدد الكويتيين المتقدمين للعمل كشرطة لا يكفي حاجة البلد، بل ويعني أيضاً أن الأم الكويتية إذا تزوجت من غير الكويتي فهي قادرة على إنجاب جنود للوطن ومدافعين عنه. وهنا يأتي السؤال: لماذا إذًا لا توافق الداخلية على تجنيس هذه الفئة العسكرية وأبنائها مكافأةً لهم على دورهم في حماية أمن الوطن، وتثبيتاً لهم من أي إغراء خارجي، بل ورفعا للغبن الذي قد يشعر به هؤلاء؟ وهل الجنسية إلاّ

إعلان عن الولاء والحب والثقة والانتساب للوطن؟ ثم أليست التضحية بالنفس هي أعلى درجات التعبير عن المواطنة؟

ولقد شاركت قبل شهر أو أكثر في لقاء لتأبين البدون العسكريين الذين استشهدوا أثناء الاعتداء الآثم على موكب أمير البلاد الراحل الشيخ جابر الأحمد رحمه الله، وتفاجأت حقيقة أنّ الدولة لم تجنس أبناء أي منهم، وشعرت بالخجل الشديد من هؤلاء الأبناء الذين خسروا آباءهم دفاعاً عن رمز الوطن وهو الأمير، ثم أنّ الوطن لا يكافئ أباهم في شخصهم كأبناء، إنه فعلاً تناقض غير مقبول.

ختاماً، أدعو دعوة صادقة لتجنيس أبناء البدون الذين استشهدوا دفاعا عن الأمير أو عن الوطن، ودعوة أخرى لتجنيس جميع أبناء الكويتيات المتزوجات من بدون، ودعوة ثالثة لتجنيس أبناء الكويتية التي تتزوج من غير كويتي ومساواة المرأة بالرجل في إعطائها الحق بنقل الجنسية لأبنائها بغض النظر عن جنسية الأب، وحفظ الله وطننا من كل مكروه.

يونيو 2007

نحو ديمقراطية حقيقية

كنا نظن –مخطئين–أنّ الديمقراطية قرينة التعليم، أي إنه بمجرد ارتفاع نسب المتعلمين في مجتمعنا، فإنّ الوعي بالديمقراطية سيرتفع تلقائياً. وكنا نستشهد على صحة تلك الفكرة بأن جيل آبائنا –وهو جيلٌ أقل منا تعليماً من جيلنا – قد نجح في فهم الديمقراطية بالرغم من حداثة معرفة المنطقة الخليجية بها. وبالتالي لا بد أنّ جيلنا والأجيال التي تليه، سيكونُ متمرساً وواعياً بالعمل الديمقراطي، ومتشبعاً بالثقافة التي تحتاجها الديمقراطية، لكن فوجئنا بأننا نحيد عن التجربة الديمقراطية ونتراجع في ممارستها.

ما يجب أن نعلمه هو أنّ استمرار الديمقراطية هو نتاج لعملية تنشئة سياسية واعية أي لتعليم موجّه يحمل فكراً ديمقراطياً واضحاً، فالديمقراطية ليست فقط مقراً للبرلمان وتدريساً لمادة الدستور، بل هي روح وأخلاق وسلوك ووعي، ومن المستحيل أن يصل الناس إلى ممارسة ديمقراطية واعية دون برنامج وخطة ومنهج متكامل يتربى عليه أفراد المجتمع. إنه لمن الخطورة أن يمارس الديمقراطية من لا يعي روحها من جهلة الديمقراطية، حيث أنها ستتحول بيدهم إلى أداة لخدمة منافعهم الخاصة، ضاربين بالقانون عرض الحائط، مرددين دون وعي: هذه مطالب الأكثرية، ولكن هل مجرد مطالبة الأكثرية بقضية هو دليل صوابها؟

وإنني لا أتمالك نفسي لكي لا ألوم الحكومة على ظاهرة نقص الوعي الديمقراطي التي نشكو منها اليوم. فأدوات التربية الاجتماعية والسياسية من مدرسة وإعلام وأندية رياضية كلها بيد الدولة، فلماذا لم تحسن استعمالها طول تلك السنوات؟ ولماذا تأتي

الدولة اليوم لتّبدي سخطها من مخرجات تربيتها وتعليمها؟ وهل من المعقول أن نجد أن الدولة ليس لديها أي تناغم بين مؤسساتها المختلفة في هذا الموضوع؟

نعم الأسرة أبرز أدوات التنشئة السياسية والاجتماعية، لكنّ الدولة بالغت في الاعتماد عليها كأداة للتربية السياسية، بينما دورها اليوم كما تشير الدراسات في تراجع لصالح أدوات التنشئة الأخرى من مدرسة وإعلام وغيره. ثم هل من الإنصاف أن نطالب الاسرة –وغالباً ما نعني الأم– بالقيام بتأهيل أولادها سياسياً واجتماعياً وثقافياً في ظل قضايا متنوعة ومعقدة؟ وهل كل الأمهات قادرات على أداء هذا الدور؟ بل هل كل الأمهات واعيات ومتابعات؟ إنّ ترك قضايا التنشئة للأسرة دون تظافر لجهود المجتمع معها يجعلنا نتوقع أن يكون لدينا عدد من الأمزجة والتوجهات والتباينات الاجتماعية بعدد الأسر الموجودة في الكويت.

إن التنشئة الديمقراطية هي علم جاهز وناضج لدى الغرب، والمطلوب فقط استيراده وتكييفه وفق قيمنا وتطبيقه، هذا العلم هو فن صهر الإنسان وصياغته ضمن قيم المجتمع ورؤيته الديمقراطية، وضمن هذا العلم تتشارك المدرسة والأندية الشبابية والأسرة والإعلام في صياغة الفرد، فتجد الرئيس أوباما مثلاً (وهو ابن لمهاجر جديد) قد دخل هذه المنظومة التربوية منذ ولادته وخرج منها بعد سنوات مواطناً من الدرجة الأولى لا يستطيع أحد أن يشكك بولائه وإدراكه لما يريده مجتمعه.

أقترح على وزارة التربية أن تتبنى بعثات سنوية في درجتي الماجستير والدكتوراة تستهدف أوائل الكويت من المتفوقين وترسلهم لدراسة هذا العلم الجاهز، ليكونوا أداتنا في نقل المجتمع من حالة الديمقراطية الصورية التي نعيشها إلى ديمقراطية حقيقية.

إننا في مفترق طريق خطر، فهل نحن على وعي بذلك؟ يناير 2010

دعوة لاحتواء التوتر الطائفي

لعلّ التوتر الطائفي السنّي الشيعي أصبح واضحاً تماماً في مجتمعنا، بل وأصبح كبركان صامت تنسكب مواده الحارقة في كل مناسبة، وأصبحت الطائفية جزءً مهما من فهم ومعالجة أيّ نزاع سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي. وأنّ ما نراه في الإعلام هو وجه من وجوه هذه الفتنة والتفاعل معها، إذ لا نلبث أن نجد أنّ الكتابات تحولت ليس فقط إلى كتابات طائفية، بل إلى شتم وتخوين ورغبة معلنة في القتل.

إنّ أسباب هذا الشحن باتت واضحة، أساسها انعكاس لأحداث خارجية منها أحداث العراق ولبنان والبحرين وسوريا، وأسباب داخلية منها سفهاء من كلا الطرفين يتكفل كل منهما بإيقاد الشرارة التي سرعان ما تشتعل، يواكب ذلك ضعف معالجة الحكومة لهذا الصراع وتركه ليعالج نفسه بنفسه، ولا أدري من أقنع حكومتنا بأن ترك الجروح يشفيها.

وفي هذا المقال أطرح بعض النقاط التي ربما لها تأثير في استيعاب هذه الحدة الطائفية وتخفيفها، داعية الحكومة إلى تحرك جاد. فمن الحلول السريعة ضرورة جلوس عقلاء الشيعة والسنة لحوار يهدف بالدرجة الأولى لإلزام كل طرف أن يبادر هو بتهدئة من معه وضبطهم. وعلينا هنا أن نتصارح بأنّ الاعتقاد المذهبي شيء والشتم المتبادل شيء آخر، وأنّ ما يقوله سفهاء الطرفين هو ولا شك يعكس ما يدور في الجلسات الخاصة بل والعامة لكل فريق، وهذا مكمن البلاء والتحريض.

ومن الحلول الهامة، ضرورة وضع معالجة قانونية لمن يتهجم على الآخر ويبث الكراهية، داعين أن يطبق القانون بالمثل على المسيء من كلا الطرفين. وكذلك يجب أن تتجه الدولة عموماً إلى العدالة الاجتماعية ورعاية مصالح كل مواطن بعيداً عن انتمائه كأساس من أسس استقرارها، لأن العدل هو أساس الاستقرار. كما لا بد من إنشاء مركز دراسات نفسية واجتماعية لنعرف سبب ازدياد العنف اللفظي والجسدي، وانحدار لغة الحوار والتفاهم.

ومن الحلول طويلة الأمد، وضع خطة تربوية وإعلامية تهدف إلى ترسيخ قيم المواطنة واستيعاب بعضنا لبعض. علينا جميعاً أن نستوعب تعدد أصولنا وتفاوت تاريخ هجرتنا للكويت وتفاوت مذاهبنا وغيره. إن استمرار التجريح والمزايدة والمعايرة الاجتماعية هي جروح قد لا تلتئم بسهولة، وإذا كان هذا الصراع قد أخذ صورة الصراع المذهبي اليوم فهو قد يلبس أي ثوب آخر في المستقبل كما فعل في الماضي. وأخيراً لابد من إشغال الناس بالخير، وفتح أبواب العمل المنتج أمامهم، فالفراغ هو الأرض الخصبة التي ينمو فيها القيل والقال.

ختاماً، أتمنى من نوابنا الأفاضل أن يكونوا أداة خير وبناء وتهدئة، بدلاً من شرعنة الخلافات وتأجيجها وحمايتها، فالمفترض أنهم العقلاء الذين يقودون هذا البلد لمزيد من التنمية والاستقرار، والله الموفق لكل خير .

أبريل 2012

بين نجاح أوردغان وفشل زين العابدين

بدعوة كريمة من مبرة الشهيد الشيخ فهد الأحمد رحمه الله، حضرت حفل تكريم السيد رجب أوردغان رئيس الوزراء التركي وحصوله على جائزة المبرة للعمل الخيري. وقد تميز الحفل بالتنظيم والتكامل، وبكلمة ألقاها الوزير الشيخ أحمد الفهد الصباح أكد فيها إدراكه لدور العمل الخيري في تحرير دولة الكويت، ووعده بحماية العمل الخيري لأنه يعلم الفرق الواضح بين هذا العمل الخيري وبين الإرهاب، مما أثلج صدور الحاضرين واستحق منهم جزيل الثناء.

ثم ألقى السيد أوردغان خطاباً كان أشبه بالموعظة، شعرت معه أنه يلخص للموجودين أسرار نجاحه الديني والدنيوي وشعبيته المترامية، وسأكتب تلك النقاط بألفاظي لا ألفاظه وكما وقعت في قلبي وفهمتها. أشار السيد أوردغان إلى أنه دائماً ما ينظر إلى نفسه على أنه خادم للمسلمين لا حاكم لهم. وعندما ينظر الرئيس إلى نفسه على أنه خادم فإن تفكيره سينشغل بكيفية إرضاء الناس وماذا سيقدم لهم، بينما عندما يرى نفسه حاكما عليهم فإنه سينشغل بمطالبة الناس بخدمته وإظهار الولاء لشخصه. إن الخادم دائماً مهدد بالاستغناء عن خدماته إذا لم يحسن العمل، وهذا قلقٌ محمود، بينما الحاكم مشغول بتحقيق أكبر قدر من المكاسب. وهذا الفهم السليم للسيد أردوغان لدوره هو جزء هام من نجاحه ويفسر تواضعه وأدبه وإخلاصه في عمله.

كما أشار السيد أردوغان إلى أنّ لديه قلب محب ومرهف لهموم الناس كقلب مجنون ليلى، فمجنون ليلى كان من شدة حبه لها يشعر بكل ما تشعر به، ولا يصبُّ شيء في قلبها إلا وصب في قلبه، وهذا تصوير جميل لتفاعل الحاكم ليس فقط مع شعبه بل مع كل الأمة الإسلامية. لقد أكّد السيد أردوغان أنه لم يستطع أن يصمَّ أذنيه ويغلق عينيه

عما يدور في غزة وفي عموم فلسطين كما فعل غيره، كان يشعر بأنه مسؤول ومطالب أن يقدم ما يستطيع لغزة، ومن هنا كانت مواقفه المتميزة في خدمة الإسلام وآخرها مساندته لأسطول الحرية. والجميل أن أوردغان أكد أنه يهتم ليس فقط بالمسلمين بل هو متألم لتفجيرات الكنائس الأخيرة في مصر ومقتل مسيحيين، لأن دائرة اهتمامه تشمل كل من خلقهم الله على اختلاف أديانهم.

وكذلك وأشار السيد أوردغان إلأى أنّه يرى قبراً مساحته مترين دائماً أمام عينيه، ويعلم بأنه لن ينفعه في القبر سوى عمله الصالح حيث ستسقط جميع الألقاب والمسميات، فهو لذلك حريص على أن يرضي ضميره وربه قبل أن يرضي أحدا آخر. ولقد أعجبني في خطاب السيد أردوغان أنه لم يغفل أياً من المفاصل الهامة في تاريخ الكويت وحاضرها، فقد أشار إلى الغزو الغاشم وتفاعل تركيا معه، وأثنى على الشيخ جابر الأحمد وعلى الشهيد فهد الأحمد رحمهما الله ، ولم ينس الإشادة بالشيخ صباح والشيخ ناصر المحمد حفظهما الله، وبارك للكويت بمرور 20 سنة على التحرير و50 على الاستقلال، مما جعلني أعجب حقيقة بذكائه واهتمامه بالشخصيات والأحداث التي تهم كل كويتي.

ختاماً، ليلة كتابة هذا المقال، تابعتُ سقوط الرئيس زين العابدين بن علي، وتساءلت، ما ضر الرئيس التونسي لو وعى دروس السيد أوردغان، وما ضره لو كان حقق لنفسه الخلود الحقيقي، وذلك بأن جمع بين نجاحي الدنيا والآخرة؟ لو فعل ذلك لعاش سعيداً ومات محموداً، ولكنّه الطمع وحب الدنيا فلا حول ولا قوة إلا بالله.

يناير 2011

تعلمت من ثورة الياسمين

بدايةً، لا أدري كيف استطاعت انتفاضة تونس أن تجمع في اسمها بين الثورة والياسمين، إذ أنّ الثورة قاسية ورائحتها دماء وسمتها الغضب، بينما الياسمين رقيق ورائحته عطرة وسمته الهدوء. ولعل من أطلق على أحداث تونس هذا الاسم كان يتمنى من تلك الثورة أن تبذر بذور الياسمين حيثما تحركت. ويقول سبحانه في القرآن الكريم:(نسقيكم مما في بطونه من بين فرث و دم لبنًا خالصاً سائغًا للشاربين).

هذه الثورة العاصفة المفاجئة الرائعة أذهلتني، وكذلك أسعدتني وهي تحمل وعود الحرية والكرامة لشعب تونس الشقيق. تعلمت من هذه الثورة درساً هاماً شغل تفكيري وهزني من أعماقي. وهوأنه بقدر ما علمونا أن التخطيط والتنسيق والتدبير ضروري لنجاح أي تحرك أو مشروع، فإن ثورة تونس نجحت دون تخطيط أو تدبير أو تنسيق. لقد تعجب المحللون السياسيون من أن ثورة تونس لم يقدها المثقفون أو القياديون، ولكنهم التحقوا بها بعد ذلك. ولو أنك سألت أي مثقف قبل أن تنطلق الانتفاضة عن إمكانية نجاحها لكان أجابك في وقتها: مستحيل أن تنجح، إن بن علي متمكن في حكمه تدعمه فرنسا وغيرها، ولن ينجح أحد في انتزاعه. ولكن أراد الله أن تنجح تلك الثورة بتخطيط ورعاية منه سبحانه. بدأت الثورة بجماهير تدفعها العاطفة لا العقل، جماهير لم تحسب حساباً لحركتها، ولو فعلت لتراجعت. واستمرت رحمة الله وفضله إذ قذف الرعب في قلب بن علي، وخذل الجميع عنه. بعدها تحركت جموع المثقفين حين أصبحت احتمالات النجاح موجودة، ونجحت الثورة.

الغريب هو أنّ شعوباً كثيرة سبق أن خططت لإسقاط أنظمتها الظالمة، وكان التخطيط مدروساً وربما شبه كامل، ولكن شيئاً لم يحدث وفشلت الثورة. إنها أقدار الله نراها كل حين. إنّها اللحظة التي نستنفذ فيها كل أسباب الأرض، ويردد العقل بأنه لا يوجد أي مخرج لما أنت فيه فاستسلم، لحظتها يرى الإنسان يد الله تتحرك دون تدبير ولا تخطيط من البشر، فيبلغ بها الإنسان مالم يبلغه بتخطيطه وقوته. تذكرت الآية الكريمة: (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون).

ختاماً، إنني أُشفق على الغليان الذي يعم عالمنا العربي والإسلامي، وأرفع يدي إلى السماء وأسأل الله الذي فرّج عن شعب تونس بفضله، أن يتدارك شعوبنا الباقية برحمته وفرجه، وأن يهيّئ لنا من أمرنا رشداً يعزُّ فيه الصادق ويذلُّ فيه الخائن والمتخاذلين.

فبراير 2011

المرأة وقضايا اسلامية

من الذي أخرجنا من الجنة؟

يؤسفني أنّ بعض الرجال لا زالوا يعتقدون أنّ أمنا حوّاء هي التي أخرجتنا من الجنة، ويظهرون الأمر وكأنّ سيدنا آدم قد ابتلاه الله بزوجة –كشأن النساء– تريد كل شيء لنفسها، فلم يكفها الجنة ونعيمها وخضرتها وسعادتها، بل أرادت الخلود كذلك. وتقول رواية الرجال أنّ المرأة استمرت "تحن" على الرجل البريء حتى رضخ لها، وأكل من شجرة الجنة، وأننا إلى اليوم نكابد ما نكابده من متاعب في هذه الدنيا بسبب النساء واستعجالهن للأمور ورغبتهن في الحصول على كل شيء.

لا شك في أنّ الرواية السابقة هي محضُ خرافة، لا يؤيدها القرآن الكريم، الذي أشار إلى أنّ الشيطان هو الذي أخرج أبوينا من الجنة، في قوله تعالى (كما أخرج أبويكم من الجنة)، وذلك حين أغرى أبونا آدم بالأكل من الشجرة، مستغلاً رغبةً قديمة عند البشر وهي الخلود، هذه الرغبة هي التي تحرك عشرات البحوث العلمية اليوم سعياً وراء كل ما من شأنه أن يطيل عمر الإنسان على وجه الارض.لا شكّ في أنّ مطاردة فكرة الموت للإنسان في كل لحظة هي قلق كبير أدركه أبونا آدم، وأدركه إبليس قبله، حين طلب إبليس لنفسه العمر المديد إلى يوم القيامة، وكأن إبليس يريد لخبرته في إغواء البشر أن تتراكم سنوات تلو سنوات، فيزداد مفعولها وشراستها.

أنا لم أقرأ في أيّ موضع من القران الكريم عتباً من الله على نبيٍّ من الأنبياء، كالعتب الذي عاتب به أبانا ادم، مؤكداً مسؤوليته الأكبر في الأكل من الشجرة، واستجابته لإغواء إبليس، في قوله تعالى (فعصى آدم ربه فغوى). إنّه عتب قاسٍ، ولكن هل يحق لنا نحن النساء أن نلوم الرجل على خطأ ارتكبه _جدلا _أبونا آدم؟ وهل نستطيع القول

أن الرجل لم يكفه أن أكرمه الله بالجنة فطمع بما هو أكثر من ذلك، متحدياً كلام الله وأوامره، وأننا اليوم ندفع ثمن خطأ الرجل؟ أستغفر الله.

ما سبق نموذج لتسخير النص الديني للتقليل من شأن المرأة، وهناك الكثير غيره، إذ يبدو أن الرجال قد سخّروا الكثير من القصص والتراث والأمثال والتعابير التي يتداولها المجتمع لتأكيد تميز الرجل وللانتقاص من المرأة بأكثر من صورة، حتى وصل الأمر إلى إظهارها كما تقول بعض الأمثال كشرٍ لا بد منه.

ختاماً، علينا جميعاً أن نعي بأنّ المرأة هي الحياة والعطاء وهي الريحان لهذه الدنيا، وأنّ استمرار المجتمع في رواية هذه التخريفات يضرُّ بمسيرة المرأة الواعية، فمتى تتأصّل حقيقة تكريم المرأة في قلوب وعقول الجميع؟

يناير 2006

رجال كأبي سلمة

لا شيء تتمناه المرأة أكثر من أن يعدها زوجها بألا يتزوج عليها في حياتها، فكيف لو وعدها بألا يتزوج عليها بعد وفاتها؟ استوقفني أثناء قراءتي لسير الصحابة الكرام رضوان الله عليهم حديث حول الموضوع نفسه جرى بين السيدة أم سلمة وزوجها أبي سلمة رضي الله عنهم. فالصحابية الكريمة السيدة أم سلمة بعد أن اطمأنت كما يبدو أن زوجها أبا سلمة لن يتزوج عليها في حياتها، أرادت أن تأخذ تعهداً منه ألا يتزوج بعدها لو حصل أنها توفيت قبله، في مقابل أن تتعهد ألا تتزوج هي بعده لو حصل وتوفى هو قبلها. القصة بدأت حين قالت له (إنه ليس امرأة يموت زوجها وهو من أهل الجنة وهي من أهل الجنة ثم لم تتزوج بعده إلا جمع الله بينهما في الجنة، وكذلك إذا ماتت المرأة وبقي زوجها بعدها. فتعال أعاهدك ألا تتزوج بعدي ولا أتزوج بعدك). ولعلكم لاحظتم كم هي ذكية ولبقة رضي الله عنها بطلبها، وتعكس أمنيات المرأة الطبيعية.

واللطيف ليس طلب السيدة أم سلمة فقط، بل رد الصحابي الكريم أبي سلمة حين قال (إذا أمرتك بأمر هل تطيعيني؟) قالت (نعم) قال (إذا مت فتزوجي) ثم قال (اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلاً خيراً مني لا يحزنها ولا يؤذيها).... ترى أيُّ رقي وحسن خلق يدفع هذا الصحابي الجليل أن يكلف نفسه مشقة الدعاء لزوجته بأن يرزقها الله بعد موته زوجاً خيراً منه لا يزعجها أو يكدرها كما نقول بالعامية، ويكمل معها مشوار المثالية الذي بدأه هو معها. ويروى أنّ أبا سلمة لما حضرته الوفاة دعا بقوله (اللهم اخلفني في أهلي بخير).

ودارت الأيام ومات أبو سلمة، فقالت السيدة أم سلمة: (اللهم أجرني في مصيبتي وارزقني خيراً منها، ولكن من خير من أبي سلمة؟) وكأنها تشك أنّ هناك من هو أفضل من زوجها بين الرجال. وكان الجواب أن خطبها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء عدتها فأصبحت من أمهات المؤمنين، وصار بنو أبي سلمة في رعاية الرسول الكريم، فاستجاب الله دعاء زوجها لها، وأثابها على احتسابها.

إنّ الحوار بين الزوجين مهم في بناء مودتهم واستمرار حياتهما السعيدة، وإنّ الردود والكلمات التي يقولها كل منهما للآخر تبقى في ذهنه طول العمر، وإنَّ من يتسم بحسن الخلق يسبق الصوّام القوّام يوم القيامة، فلنحرص على الكلم الطيب مع أقرب الناس إلينا كما نحرص عليه مع البعيدين عنا.

أكتوبر 2007

شكراً للفضائيات الإسلامية

تقوم الفضائيات الإسلامية اليوم بجهد رائع ومشكور في خدمة المسلمين وتسديد مسيرتهم. ولعل من أفضل ما تقوم به تلك القنوات هو استضافة عشرات المشايخ والعلماء الأفاضل، ما يتيح للمشاهدين أن يستمتعوا بالمحاضرات القيمة وهم في بيوتهم بين أهليهم. ولو يقارن الناس اليوم بين الجهد الذي يبذلونه في سماع هذه المحاضرات القيمة مع الجهد الذي كنا نبذله في فترة ما قبل هذه الفضائيات، حين كنا نذهب من بيت إلى بيت لسماع درس معين وللتواصل مع داعية معروف، لوجدوا الفرق واضحاً، فاليوم نجد وكأنّ الدعاة في منازلنا، وبضغطة واحدة على جهاز التحكم نستمتع بما يقولونه.

بل وإنّ الفضائيات تتيح لنا تنوعاً في المشايخ يُرضي مختلف الأذواق، فلكل منّا شيخه المفضل وقناته التي يستمتع بها. وكثيرا ما أتلقى رسائل هاتفية من صديقة تحب الاستماع لسين من المشايخ لتذكرني بأن اللقاء معه قد ابتدأ، فيما ترسل لي أخرى رسالة تدعوني للاستماع إلى شيخ آخر، فأجد أنها أذواق الناس المتنوعة لا يرضيها أداء واحد، بل تحتاج إلى تنوع يتناسب مع تنوع أذواقها.

وبالرغم من أنني استمعت إلى دروس الوعظ لسنوات طويلة قاربت الثلاثين عاماً، إلا أن مشايخنا الأفاضل ما زال لديهم الجديد ليقولوه، ولا يعني الجديد بالضرورة أن تكون القصة التي يوردونها جديدة، بل الجديد قد يكون في موقع القصة من الموعظة أو كيفية الاستشهاد بالقصة، في تجديد مبهر يؤكد دائماً أنّ الإسلام دين يلد المبدعين.

ولقد أعطت الفضائيات للمشايخ فرصة رائعة، فبعد أن كان أوفرهم حظاً يُحاضر في بضع مئات من الناس، فإنّ أقلهم حظاً اليوم يسمعه بضعة آلاف، أما أوفرهم حظاً فيصل مشاهدوه إلى الملايين، وهي فرصة رائعة ليكسب هذا الداعية حسنات لا تحصى في كلِّ برنامج تلفزيوني.

إنّ هذا الحضور للقنوات الإسلامية في كل بيت يضع الحجة على كل مسلم لا يعرف تعاليم دينه أو لا يجد لديه الدافعية الكافية للعمل الصحيح. وإنه من فضل الله علينا كذلك أن تكون لدينا هذه الفرصة، لعلّ تيارات الباطل المتدفقة تجد ما يوقفها ويخفف زحفها وهي تلتهم عقول أبنائنا وبناتنا الأحباب.

نوفمبر 2006

مجلة نيوزويك والحجاب

تضمّن العدد الأخير والموجود حالياً في الأسواق من مجلة نيوزويك ثلاثة مقالات هامة عن الحجاب، تم اختيارها بذكاء وعناية لتعكس حقيقة الحوار الذي يدور في الغرب حول هذا الفرض الهام من فروض الإسلام. المقال الأول يدافع عن الحجاب والثاني لا يعتقد بفرضية الحجاب والثالث يهاجم الحجاب. وسأحاول في هذا المقال أن أستعرض أبرز ما ورد في تلك المقالات الثلاثة:

1. المقال الأول كتبته سيدة يبدو أن أصولها غير أوربية، ولكنها تؤكد أنها الآن بريطانية مسلمة، وأنها ترعرعت في أسرة ترفض الحجاب، لكنها تحجبت حين أدركت أن الحجاب مرتبط كما تقول ((بتحديد هويتي وبثقتي بنفسي وبالقيم التي توجهني، ومع مرور الوقت أصبح يعبر عن تديني)). وأكّدت هذه السيدة أنها ستدافع عن الحجاب بل والنقاب لأنه دفاع عن حق الإنسان في ارتداء ما يشاء. كذلك أشارت في مقالها الجميل إلى أنّ الحجاب لا يمنع المسلمات نهائياً من الاندماج في مجتمعهن، وأنّ هذا الاتهام ناشئ عن خوف الأوربيين على ما أسمته "ناديهم المسيحي"، وأنّ عدم تقبل الغربيين لحرية المسلمين باختيار مظهرهم الخارجي يتنافى مع مفهوم المجتمع المتنوع الذي يتحدث عنه الغرب. واختتم المقال بسؤال هام حول قدرة المجتمع الأوربي على تقبل فكرة وجود مواطنين أوربيين ولكن لهم ارتباط روحي بالعالم الإسلامي.

2. المقال الثاني كتبته سيدة أوربية أباً عن جد، تعتقد جهلاً منها أنّ الحجاب لم يفرضه الإسلام أصلاً، بل أنه في بدايته كان وسيلة لتمييز أمهات المؤمنين عن غيرهن من بقية المجتمع، ثم مع مرور الوقت أصبح الحجاب دلالة على الإرث الإسلامي. وترى هذه الكاتبة أنّ ترسيخ الحجاب حصل في القرن الثامن عشر بفعل الحركة الوهابية. ثم تشير إلى اعتقادها أنّ الحجاب في حقيقته إما رمز سياسي أو شكل من أشكال المقاومة للحضارة الغربية.

3. المقال الثالث كتبته سيدة أوربية من أصول إسلامية، تؤكد فيه بحقد واضح أنّ السيدات اللواتي يرتدين الحجاب في المجتمعات الغربية ينتهكن أعراف تلك المجتمعات ويخدشن الذوق العام ويتصرفن بعدوانية، وأنّ الحجاب يعزل المرأة عن مجتمعها ويجعل اندماجها فيه صعباً. ثم تعلن الكاتبة سخطها على الحجاب كفكرة، لأنه –كما تدعي– يظلم المرأة حين يحملها مسؤولية تصرفات الرجل الشهوانية، بدلاً من أن يحمله هو نفسه مسؤولية تصرفاته.

والحقيقة أنّ القارئ لهذه المقالات يدرك مدى معاناة المرأة المسلمة في أوروبا اليوم وهي تدافع عن حجابها الذي هو هويتها الإسلامية، وكون المرأة هناك تجابه نوعين من المعارضة، المعارضة جهلاً بأحكام الإسلام، أو المعارضة مكراً وحقداً على الدين. نسأل الله أن ينصر أختنا المسلمة في أوروبا وأن يكون لنا دور في دعمها وتثبيتها والدعاء لها، إنه على كل شيء قدير.

ديسمبر 2006

أنصاف المحجبات

تشعر المسلمة اليوم بالفرح إذ ترى كثرة انتشار الحجاب بين الفتيات والسيدات من مختلف مراحل العمر، ويزيدها فرحاً وتقديراً علمها بأن المرأة الكويتية المحجبة إنما تحجبت بمحض إرادتها ودونما ضغط من أحد، فنحن في مجتمع ترتدي فيه الفتاة حجابها متى شاءت وتنزعه متى شاءت. ولكن في الوقت نفسه فإن الواحدة منا لا تتمالك إلا أن تشعر بالأسى لما آل إليه شكل الحجاب لدى البعض من النساء، حتى لم يعد الحجاب لدى تلك الشريحة يحقق الأهداف التي فرضه الله لأجلها وهي الستر والحفظ والحماية للمرأة المسلمة.

الحجاب الشرعي بصورته الكاملة والمسمى الجلباب، كان منتشراً في أنحاء عالمنا العربي والإسلامي تحت مسميات متعددة، فكل النساء في الكويت كنّ يرتدين العباءة، وكل النساء في المغرب يرتدين القفطان، وفي سوريا يرتدين الملاءة، وفي إيران يرتدين الشادور أو المانتو، وهكذا. والجميل أنّ كل دولة من الدول اختارت زياً موحداً بلون محدد لنسائها، مع أنّ الدين الإسلامي لم يشترط لباساً خاصاً، وإنما وضع ضوابط ومواصفات عامة. ولو قارنّا بين هذه الأزياء في أنحاء العالم الإسلامي لوجدناها جميعاً تتشابه في كونها عبارة عن ثوب (جلباب) تضعه المرأة فوق ملابسها عند خروجها من منزلها وتنزعه حال وصولها إلى وجهتها المقصودة، ومن أبرز صفات هذا الثوب بالإضافة إلى كونه ساتراً لجسد المرأة، كونه يقلل من الفروق الفردية بين النساء، في تشابه مقصود يهدف إلى حماية المرأة من أن يؤذيها أحد، وحفظاً لها عند خروجها من بيتها.

القضية اليوم لم تعد تتعلق بتراجع العباءة أمام انتشار أزياء واسعة ومستورة، فالتغيير أمر وارد ومفهوم، إلا أنّ مشكلة اليوم هي ظهور مجموعة من أنصاف المحجبات، وهن نساء سترن شعرهن ولم يسترن جسدهن، إذ أنهنّ يرتدين حجاب الرأس مع البنطلون والملابس الضيقة، وأحياناً يظهرن أجزاء كبيرة من أيديهن أو سيقانهن، ما يجعل الحجاب لافتا للنظر ومثيراً للشفقة. كما أنّ الألم يزداد حين نجد البعض من المحجبات وقد أصبح سلوكهن لا يليق مع ما يرتدينه من حجاب، فأفقدوا الحجاب مع الوقت ميزته كمعيار من معايير صلاح الفتاة وحسن أخلاقها.

وإنّني إذ أشكر أخواتي الكريمات أنصاف المحجبات على نصف الحجاب الذي يرتدينه والذي يتمثل بتغطية أغلب الشعر دون ستر الجسم، وسبب شكري لهن أنني أعلم أن ما قمن به من تغطية شعرهن هو أمر شاق وصعب على المرأة، إلا أنّني أدعوهنّ إلى إتمام الجزء الأسهل الذي تبقى وهو توسيع ملابسهن لتصبح أكثر سترة، كما أدعوهنّ إلى الشعور بالوقار والفخار لارتدائهن لباس التقوى وهو اللباس الذي يرضي الله تعالى، وأسأل الله أن يتقبل منا ومنهن كل ما نقوم به من صالح الأعمال.

أكتوبر 2006

الحجاب تاج فخار

إنّ الحجابَ هو من أكبر النعم التي فضّل الله بها المرأة المسلمة واختصها بها، وذلك لأنّه المرأة كلما ارتدت حجابها وخرجت من بيتها فإنه تُذكّر من يراها به بالإسلام، وتنبّه من يلتقي بها إلى كونها مسلمة دون الحاجة إلى أن تتحدث بشيء، بينما قد يكون من الصعب معرفة أنّ الرجل الذي أمامنا مسلم، ما لم تكن زوجته المحجبة بجواره. لذا فقد بدأت مقالي بأن الله تفضل على النساء بالحجاب حين جعلهن مسؤولات عن حمل الهوية المسلمة وإعلان انتمائهن وأُسَرِهنّ للدين العظيم، فهن كحامل الراية في الجيوش القديمة، كلما التفت إليه مَن حوله شعروا أنّه يحمل رمز عزهم ونصرهم، فاندفعوا إلى الجهاد فرحين مستبشرين. في حين نجد أن أدياناً أخرى تجعل الرجل هو من يرتدي ما يشير إلى الهوية الدينية للأسرة، فلله الحمد على ما خصّنا به من مِنّةٍ وفضل.

وتكمن فلسفة الحجاب في أنّ المرأة تتميز على الرجل ببسطة من الجمال والأنوثة، وما يقوم به الحجاب هو أنّه يحجب خلفه – ما يصفه الشيخ البوطي حفظه الله – بالمغري من الأنوثة واللافت منها، في حين يبقي الجانب الإنساني والعقلي والأخلاقي للمرأة ظاهراً. ولذا فإن الحجاب حين يخفف من إغراء تلك الأنوثة فإنه يكون الوسيلة الحقيقية التي تتيح للمرأة أن تشارك بقوة في كل قضايا المجتمع بجانب أخيها الرجل. تقول العباسة (نحن مع الرجال رجال، ومع أزواجنا نساء) وهذا عين الحكمة.

واللافت أنّ هجوم أعداء الدينّ جهلاً كان أو حقداً لم يتوقف على الحجاب والستر والحشمة في يوم من الأيام، بل إنّ التحريض ضده يتخذ عشرات الأشكال ابتداء من تسويق المرأة العارية كنموذج للمرأة الناجحة المحبوبة عبر إعلامنا ووسائل الاتصال، مروراً بالحرص على إبعاد المحجبات عن عشرات المناصب القيادية والسياسية كما يحصل في الكثير من الدول العربية، وانتهاء بما نقرأه اليوم من تصدي السياسيين من قادة دولنا بأنفسهم للحديث عن الحجاب على أنّه مظهر غير مرغوب فيه في المجتمع.

والحقيقة أنني شخصياً لا أخاف على الحجاب من تلك الحملات ضده، وذلك لثقتي بأنه فرض من فروض الإسلام وأنّه محفوظ بحفظ الدين، بل إنني وجدت من تجربتي أن هذه الحملات تشجع الفتيات على الحجاب، ووجدت في المقابل أن الأخطر على الحجاب هو انفتاح الدنيا على المرأة وفتنتها بها وتهافتها عليها، ما يشجعها على أن تبتعد عنه. إذاً نحن لا ندري أين هو الخير لنا ولبناتنا، فقد تحمل هذه الأزمة خيراً كثيراً. ولكني وللأمانة أخاف من رد الفعل الغاضب من قبل البعض على تلك التصرفات الاستفزازية، وأخشى أن تؤخذ تصرفات السياسيين غير المدروسة لتدعم مدرسة العنف والتطرف التي تنظر إلى الكثير من الحكومات العربية كأدوات للغرب وكعائق أمام إقامة الدولة المستقرة.

كذلك فإنّه من الجدير بالملاحظة أنّ تحرك الجماهير الإسلامية ضد التصريحات الغربية الرافضة للحجاب أكبر من تحركها ضد التصريحات السلبية لكبار المسؤولين في بلادنا، ولا أدري ما السبب، ولكن يبدو لي أن الناس قد فقدت الأمل من إصلاح

الكثير من حكّامها. لذا فأنا أدعو إلى تحرك شعبي حقيقي دعماً للحجاب وستر المرأة المسلمة، عبر مطبوعات ومنشورات ورسائل هاتفية ومسيرات سلمية وغيره. كما أدعو الحكومات الخليجية التي عرف عنها التدين وحب الإسلام إلى معاتبة الحكومات العربية الأخرى المقصرة في مواقفها من الحجاب، دعماً لاستقرار شعوبنا وتماسك بنياننا الداخلى.

ختاماً، لا أخفي سعادتي بما تناله المرأة المحجبة في الكويت من تقدير، فيكفينا فخراً أنّ أول وزيرة كويتية هي امرأة محجبة، وأنّ العشرات من قياديات البلاد ومن زوجات القياديين هنّ ممّن يرتدين الحجاب ويفخرن به، ونسأل الله أن يديم الحجاب تاج فخار على رأس كل امرأة مسلمة.

نوفمبر 2006

حجاب خير النساء

يثير حجاب السيدة "خير النساء" زوجة الرئيس المتوقع لتركيا "عبد الله غول" ضجة كبيرة ، حيث يستنكر العلمانيون في تركيا أن تدخل هذه السيدة بحجابها إلى قصر الرئاسة والذي هو قصر أتاتورك مؤسس الدولة العلمانية، ويبدون قلقهم من أن تكون السيدة الأولى في بلادهم محجبة لأنها القدوة لغيرها من النساء. المؤسف أنّ هذا الرفض للحجاب أصبح قضيةً ساخنة ليس فقط في تركيا بل على مستوى العالم، ويتفق هؤلاء المعادون للحجاب في مبرراتهم وحججهم، متناسين كل ما تعوّدوا أن يرددوه حول الحرية الشخصية في اللباس والانتماء.

وفيما يتم الحديث عالمياً عن الحجاب على أنه رمز للإسلام السياسي يجب محاربته ومنعه بالقانون تارة وبالقوة تارة أخرى، يلتفت إلينا بعض أبناء جنسنا من العرب المسلمين بمنحى آخر من الحديث عن الحجاب، مرددين أنّ الإسلام لم يوجبه أصلاً بل هو بقايا عادات وتقاليد قديمة، وأنه ليس له أي مدلول ديني أو قيمي، وأنّ المحجبة لا تمتاز على غير المحجبة بأي ميزة، في تسطيح واضح للأمور ، واضعين المرأة المحجبة بين نار من يجعل الحجاب وكأنه كل الدين وبين من يجعل الحجاب وكأنه ليس من الدين.

إلاّ أنّنا كمحجبات ندرك أن الحجاب هو من أكبر النعم التي اختصّنا الله بها، إذ جعل المرأة هي من يرتدي مايشير إلى الهوية الدينية للأسرة ، في حين نجد أن أدياناً أخرى تجعل الرجل هو من يرتدي مايشير إلى تلك الهوية ،فلله الحمد على فضله . وتكمن فلسفة الحجاب في أن المرأة تتميز على الرجل ببسطة من الجمال والأنوثة، ومايقوم به الحجاب هو أنه يحجب خلفه – ما يصفه الشيخ البوطي حفظه الله "

بالمغري من الأنوثة واللافت منها، في حين يبقي الجانب الإنساني والعقلي والجمالي للمرأة ظاهراً". لذا فإن الحجاب حين يخفف من إغراء تلك الأنوثة فإنه يكون الوسيلة الحقيقية التي تتيح للمرأة أن تشارك بقوة في كل قضايا المجتمع بجانب أخيها الرجل .

والحقيقة أنني شخصياً لا أخاف على الحجاب من تلك الحملات ضده، وذلك لثقتي بأنه محفوظ بحفظ الدين، بل إنني وجدت أنّ التجربة التركية دليل على أنّ منع الحجاب يشجع الفتيات على ارتدائه، ووجدت في المقابل من التجربة السعودية والإيرانية أنّ إكراه النساء على الحجاب يدفعهن لبغضه وتركه، وأن الحل كما أراه هو أن تحث الدولة نساءها على اللبس المحتشم وتترك الحجاب لاختيارهن الشخصي.

ختاماً أسأل الله أن يجعل السيدة خير النساء من خير نساء الدنيا والآخرة، وأهمسُ في أذنها بأنها ليست بحاجة لمصمم أزياء يصمّم لها حجاباً على الموضة، فإن فعلت فهي لن تكسب رضا العلمانيين ولكنها قد تخرج بالحجاب عن الهدف الذي فُرض لأجله، والله الموفق لكل خير.

أغسطس 2007

شهر الفرحة والرحمات

ما زلنا نعيش أيام رمضان الكريمة، وفيه يستحضر الإنسان الكثير من الخواطر بما يتناسب مع مدرسة رمضان الإيمانية. ومن تلك الخواطر ما يلاحظه الإنسان من حجم الفرحة التي يدخلها قدوم هذا الشهر الفضيل في قلوب "الأسوياء" من المسلمين، بالرغم من مشقة الصيام والقيام التي ترتبط برمضان. وتبدو هذه الفرحة واضحة على وجوه الصغار والكبار، وفي جميع أنحاء العالم الإسلامي، ما يجعل المسلمين يلهجون بقولهم "الله يعوده علينا". والجميل أن تلك الفرحة نشأ عنها مظاهر جميلة صنعها الآباء وضيعناها نحن الأبناء، من ذلك أنّ آبائنا قد خصُّوا رمضان بطعام خاص، وزيارات وسهرات وأناشيد وملابس خاصة، ليجعلوا لدخول رمضان عليهم احتفالية يساهمون جميعاً في إنجاحها. اليوم لم يبق إلا القليل من تلك الاحتفاليات، ساهمنا كجيل لاحق في تعقيدها وتحميلها ما لا تتحمل، حتى اختفت حقيقتها وبقي الزيف منها. خذوا مثلاً القرقيعان بفرحته البسيطة وغناء الأطفال به، تحوّل إلى موسم للمنافسة في اللبس والحلو والمظاهر، وكان المفروض به أن يكون فرحة، فأصبح عبئاً.

في رمضان كذلك نشعر بمدى تقصيرنا بحق الأشهر الهجرية، فقد كاد أبناؤنا ينسوها تماماً، بل إنّ بعضهم لا يعرف من الأشهر الهجرية إلا رمضان. ولعل هذا التقصير راجع إلى ضعف ممارستنا للعبادات التي ترتبط بالأشهر الهجرية، فالحج مثلا لا يكون إلا في شهر محدد، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر هجري تستوجب معرفة الأشهر، وكذلك حساب الزكاة يكون بالشهر الهجري وهكذا، فلما ضعفت عبادتنا ضعف اهتمامنا بالأشهر الهجرية. بل حتى مراسلات الدوائر الحكومية والمكاتبات الرسمية قد خلا أكثرها من الأشهر الهجرية، ونحتاج إلى تدارك هذا القصور.

وفي رمضان نعيش العبودية بصورة مختلفة عندما نمتنع ليس فقط عن الحرام بل نمتنع كذلك عن الحلال تقرباً لله تعإلى، فالطعام والشراب حلال ولكنه ممنوع طوال النهار في اختبار لإرادتنا وحبنا لله. إنّ هذه الطاعة العظيمة وهي الصيام لها تأثير عجيب على القلوب والنفوس، مما يخلص المؤمن من العبودية لشهواته مؤكداً أنّ العبودية المطلقة لله وحده.

ختاماً، إن رمضان مدرسة عظيمة نحتاجها جميعاً لنجدد الإيمان والعلاقة بالله، وإذا كان هناك من يريد أن يجعل رمضان شهر الكسل والمسلسلات، فإننا مطالبون أن نجعله شهر الفرحة والرحمات، نسأل الله أن نغتنم رمضان كما يجب ونخرج منه ونحن من عتقاء النار آمين.

سبتمبر 2007

المرأة في رمضان

جاءنا شهر رمضان المبارك، وبسط خيمته على سماء قلوبنا وأرواحنا، فما أسعدنا بقدومه، أعاننا الله على صيامه وقيامه وفعل الخيرات فيه. وعندما نقرأ ما جرت العادة أن يُكتب حول رمضان وآدابه، نجد أن المرأة هي الحلقة الأضعف في تلك الكتابات، فالكثير من تلك الكتابات يكون محتواها عتباً على المرأة التي يرى البعض أن رمضان لا يعني لها أكثر من استعراض مهاراتها في الطبخ وصنوف الحلويات وما يترتب على ذلك من زيارات متكررة للجمعيات، ويلومون المرأة لأنها تقضي الأيام الأخيرة من رمضان في السوق تشتري ملابس العيد لأبنائها، فينقضى رمضان وقد خرجت المرأة بزادٍ من الدنيا أكثر من زاد الاخرة.

الكلام السابق لا يخلو من الصحة إلا أنّه لا يخلو من المغالطة كذلك. فالمرأة لم تقض أكثر وقتها في المطبخ إلا لأنّ وراءها رجلاً يطالبها بأصناف من الطعام والحلويات لمائدة رمضان اليومية، بل أحياناً يطالبها بغبقة وعشاء لأصدقاء الديوانية. وأمّا ملابس العيد فإن إخواننا التجار لا يوفرون تشكيلات العيد إلا قبل العيد بفترة وجيزة، ما يضطر المرأة أن تنتظر إلى رمضان لشراء الملابس. لذا أليس من الحكمة أن تتوجه تلك الكتابات للرجال لتقول لهم أن رمضان ليس شهر الأكل والولائم، بل هو شهر العبادة والاعتكاف والطاعات؟ وأليس من الحكمة أن تظهر تلك المقالات تفهماً أكثر لاضطرار المرأة للذهاب إلى السوق للظروف المذكورة؟ لا يمنع ما سبق أنّ هناك نساء مدمنات على السوق والزيارات والاستقبالات، في مقابل وجود رجال مدمنين على الدواوين

والمقاهي والأسواق، فلماذا لا يكون الحديث موجه للمتسكّعين من الجنسين بدلاً من أن نخصّ المرأة وحدها به؟

وأخيراً، فإن الرجل أقدر على التفرغ للعبادة في رمضان من المرأة لقلة التزاماته، فأمامه أبواب الاعتكاف والصلاة وقراءة القرآن، بينما المرأة ملتزمة ببيتها وأبنائها وواجبات زوجها، ما يجعلها تعتبر خدمة أسرتها عبادة غير مباشرة ، وتجد لديها وقت أقل للقرآن والصلاة، لذا فحث الرجال على اغتنام رمضان أولى من حث النساء، وإن كنا كلنا بحاجة إلى الموعظة بالحكمة والأسلوب الحسن. بارك الله لنا جميعاً في هذا الشهر الكريم، ورزقنا حسن استغلال أوقاتنا فيما يعود علينا بالأجر الوفير.

سبتمبر 2007

المرأة والوقف

أقامت الأمانة العامة للأوقاف في الأسبوع الماضي ملتقاها السنوي الثاني عشر والذي أقيم تحت شعار "المرأة والوقف، إشراقات مضيئة". وقد خُصّص هذا الملتقى لتوضيح دور المرأة الرائد في قضايا الوقف، ولتأكيد تعاون المرأة مع الرجل في تحقيق الخلافة وإعمار الأرض. وقد زاد هذا المؤتمر إشراقاً رعاية سمو الأمير له، وحضور سمو ولي العهد لافتتاحه، وقيام باقة من السيدات الكريمات على إعداده وتنظيمه.

ولقد استمعت إلى المحاضرات القيمة التي ألقيت في هذا الملتقى، وتأثرت بشدة بقيام المرأة الموقفة في الماضي بابتكار مصارف للوقف حسب حاجة الوقت، ومن ذلك تجربة المغرب ومصر والتي بينت أنّه عندما اشتدَ أثر المدارس الأجنبية التغريبية في كلتا الدولتين خلال فترة الاستعمار، حرصت بعض النساء على أن يوقفن أموالهن لبناء مدارس إسلامية بديلة، خوفا على الجيل من ضياع الهوية. كذلك أشارت المحاضِرة الأستاذة خديجة مفيد من المغرب إلى أدب الموقفات مع الله، ومن ذلك أنّ السيدة فاطمة الفهرية قامت ببناء جامع القرويين في المغرب، واستغرق بنيان الجامع ثلاث سنوات كاملة، فقامت الموقفة بالصيام خلال السنوات الثلاث أدبا مع الله ورجاء منها أن يقبل الله عملها.

وإذا كانت جميع المحاضرات متميزة، فإن محاضرة الدكتور فؤاد العمر كانت متميزة ومبتكرة، إذ تحدث عن إمكانية أن يقوم الوقف برعاية قضايا تنمية المرأة، والمقصود ليس فقط التنمية التقليدية من تعليم الخياطة والمهن البسيطة، بل تساءل عن إمكانية

دعم الوقف لدور المرأة التنموي بمفهوم معاصر وضمن أُطُر شرعية، ليكون منافساً لجهود التنمية المبطنة بالتغريب والتي تمارسها بعض المنظمات الدولية.

كما أشار إلى أنّ أمانة الأوقاف أمام خيارين، وهما إما أن تقوم بنفسها بإقامة مشاريع لتنمية المرأة، أو أن تدعم أنشطة نسائية فعّالة وناجحة على الساحة (تنمية تشاركية)، ولكن تبقى –كما أشار الدكتور– العادات والتقاليد من جهة، وضعف تنظيم وربما إدارة الجهات المهتمة بقضايا المرأة من جهة أخرى، هما معوقان أساسيان لتحقيق التنمية المطلوبة. كما تحدث الدكتور عن فكرة قيام الأمانة العامة للأوقاف بإقامة مركز معلومات لقضايا المرأة وسبُل تنميتها، وهي أمنية طالما تمنيناها لدعم مسيرتنا النسائية.

ومن النقاط الهامة كذلك في هذا الملتقى، هي الإشارة غير المباشرة إلى إشكاليات سبق لي عندما كنت عضوة في صندوق الأسرة في الأمانة أن لمستها، منها أنّ الكثير من الموقفين الجدد يفضلون الصيغ التقليدية للوقف وبالذات التي ورد بها نص حديث شريف كسقي الماء وبناء المساجد والمستشفيات، فيما يترددون في الإيقاف لصيغ جديدة عصرية، وهذا يضطر الأمانة إلى الالتزام بصرف أموالهم كما اشترطوا لها. كما وجدت أن بعض الموقفين يترددون حتى في الصيغ التقليدية، إذ يتساءلون: هل من الإنصاف أن ندفع للصحة والتعليم في ظل حكومة غنية؟ هل نصرف على الحكومة في ظل عوائد نفط عالية؟... إنّ هذه التساؤلات على بساطتها هي تساؤلات تدور في أذهان البعض وهي جديرة بالبحث والتمحيص.

ختاماً، ففي حين يغضب المسلمون في بعض الدول الإسلامية حين تقوم الحكومة بالإشراف على الأوقاف خوفاً منهم على استقلالية قرار هذا الصرح الإسلامي الشامخ، نجد أنفسنا في الكويت أمام تجربة يحق للحكومة أن تفخر بها، وهي أنّ ثقة الناس بالمؤسسات المالية التي تخضع للإشراف الحكومي لا تقل عن ثقة الناس في المؤسسات المالية الخيرية التي تديرها شخصيات إسلامية مستقلة ونزيهة. إنّها ثمار الأمن والحرية، فالحمد لله على ذلك كله.

مايو 2006

قضايا في عالمنا الاسلامي

المرأة في الحرمين الشريفين

بقدر ما أعتقد أنّ وضع المرأة في المملكة العربية السعودية هو شأنٌ داخلي بحت، اعتقد بنفس القدر أنّ وضع المرأة في الحرمين الشريفين المكي والمدني هو شأنٌ إسلامي عام، ولذا أرجو أن يأذن لي القائمون على الأمر في المملكة أن أشارك بعتبي على تراجع وضع المرأة في الحرمين، هذا التراجع الذي كنت ألحظه سنة بعد سنة، وتُوج بما بثته رويترز ونُشر على صفحات القبس بتاريخ 29 أغسطس 2006، عن اعتراض سيدات سعوديات وأخريات مسلمات على رغبة رجال دين سعوديين في منع المرأة نهائياً من الصلاة في صحن الكعبة لمنع اختلاط النساء بالرجال، منتزعين بذلك حق من حقوق المرأة لم يتوقف منذ بدء الرسالة. تلا ذلك خبر أوردته صحيفة الوطن الكويتية بتاريخ 8 سبتمبر 2006 بأنً رئاسة شؤون الحرمين حسمت الجدل الدائر وقررت سلب النساء الموقع الحإلى المخصص لهن في صحن الكعبة مقابل مضاعفة الأماكن المخصصة لهن في الدور الأرضي والمطلة على الكعبة.

بدايةً، أود القول بأنّ "ضجر" رجال الدين السعوديين من وجود المرأة بالحرم المكي هو قضية واضحة لكل امرأة منا تزور الحرم الشريف ويأتيها ما يأتيها من كلام وزجر وأحياناً ضرب بقطعة قماش يحملها هؤلاء الرجال. ثم إنّ الحاجز الذي تم بناؤه في صحن الكعبة منذ مدة قريبة لكي تصلي النساء خلفه، كان خطوة غير مقبوله لإخفاء المرأة، فقد بني الحاجز عالياً حتى يمنع الرجال من رؤية النساء، دون أدنى تفكير بأن هذا الحاجز يمنع المرأة من رؤية الكعبة ما لم تقف على أطراف قدميها، وذلك كما روت لى إحدى الصديقات وكما نراه في التلفزيون، وكأنه كان يمهد للخطوة الأخيرة بإخراج

النساء نهائياً من صحن الكعبة. أمّا الادعاء بوجود أماكن تسمح للمرأة برؤية الكعبة فهذا كلام نظري وغير حقيقي، إما لأنّ أماكن النساء هي أماكن داخلية عميقة، أو لأنّ تلك الأماكن تُسوّر بخزائن عالية جداً تحيط بها تمنعنا كنساء – كما رأيت بنفسي – من رؤية الكعبة ، أو لأنّ الأماكن القليلة القريبة المخصصة للنساء والتي تُرى منها الكعبة غالباً ما تكون "محجوزة" من بعض وصيفات عليّة القوم، وبالتالي لا تكفي لأعداد النساء الكبيرة، وللأسف تعود الواحدة منا من العمرة والحج وهي لم تشبع من رؤية الكعبة. ولقد سبق لي قبل أشهر أن التقيت بزوجة السفير السعودي السابق في الكويت، وهي سيدة فاضلة، وطلبت منها أن توصل عتبي وعتب مجموعة من السيدات الكويتيات للمسؤولين في المملكة على صعوبة رؤيتنا كنساء للكعبة اللهم إلاّ عند الطواف، علماً بأن النساء تُمنع من الطواف قبل الفروض الخمسة بنصف ساعة.

أمّا الحرم المدني، فقد حرمت فيه المرأة إطلاقاً من الوصول إلى قبر الحبيب عليه الصلاة والسلام، ولولا ذكريات الطفولة حين كنت أذهب لأقف هناك أمام باب القبر النبوي أسلّم على الحبيب المصطفى لما بقي لي عزاء أعزي نفسي به، فبأي حق تُمنع النساء إطلاقاً من الوصول إلى مواجهة القبر النبوي؟! وكل ما يسمح به للنساء هو الصلاة فيما يُدّعى إنه الروضة المباركة، وأقول (يُدّعى) لأن بعض الفقهاء خارج المملكة يشكك في أن الموقع المخصص للنساء هو الروضة المباركة بل هو منطقة قريبة منها، هذا وتكون زيارة النساء للروضة الشريفة في ساعات محددة جداً لا تساوي الساعات المخصصة للرجال، في تمييز واضح ومزعج ضد المرأة.

ختاماً أتساءل: هل تتألم أخي القارئ الرجل لألمنا كنساء وأنت تقرأ هذا المقال؟ لا أدري. ولكنني لا أملك إلا أن أتمنى على السادة المسؤولين في المملكة السعودية أن يعيدوا النظر في وضع المرأة في الحرمين الشريفين، وكلّي أمل بالقيادة السياسية الحكيمة في المملكة والتي تابعنا جميعاً ما خطته من خطوات جبّارة في تعديل وضع المرأة العام داخل المملكة وإكسابها الكثير من المزايا والحقوق بأن تعدل أوضاعنا كنساء في الحرمين الشريفين. إنّ رشد القيادة السعودية هو أملنا ومحط نظرنا، سائلين المولى أن تؤول الأمور إلى خير ما يُرام.

سبتمبر 2006

الحج والتحديات الجديدة

بعد انقضاء موسم الحج يجد الإنسان لزاماً عليه أولاً أن يحمد الله تعالى على هذه العبادة السنوية التي تجدد الإيمان وتحيي القلوب، وثانياً أن يشكر الجهود الواضحة التي بذلتها المملكة في إنجاح هذا الموسم الكبير. ومن ملاحظاتي كحاجة لبيت الله العظيم أستطيع القول إنه تم عمل الكثير من الأمور الرائعة. أول تلك الإنجازات هي أنّ هذا الحج مر دون أي خسائر في النفوس بسبب التنظيم المتميز للموسم، وبسبب تدارك أخطاء المواسم السابقة ومحاولة منع تكرارها. كذلك فإن انتشار قوات الأمن والشرطة بصورة واضحة ومعهم الكشافة وغيرهم أفاد في تقديم التسهيلات الكبيرة للحجاج. كذلك فإن إطعام الطعام كان من السنن الطيبة الملموسة، وكان الطعام متنوعاً وراقياً، ولعل الكثير من الحجاج لم يذق مثل هذا الطعام وبهذه الوفرة في بلاده. أمّا خيام منى فإنّ تقسيمها كان سلساً، ما يسهل التنقلات فيما بينها، وأما المباني المرتبطة بالمناسك فهي تزداد جمالاً وأكثر استيعاباً كل عام.

وإذا كانت المملكة قد انتهت من التحدي الأول والأكبر وهو تحدي الحفاظ على النفوس والأرواح، فإنه من المفيد الحديث عن تحديات أخرى أبرزها في نظري قضية النظافة وإظهار مناسك الحج بصورة أكثر تنظيماً وحضارة. فمع إدراكي الكامل بأنّ الكثير من الحجيج لديهم وعي ضعيف في قضية النظافة، ومع انتباهي إلى كثرة عدد هؤلاء الحجيج ما يجعل الأمور تبدو أكثر صعوبة، إلا أنني كذلك لاحظت بعض التقصير في جمع القمامة سواء في عرفة أو في أيام منى الثلاث. فأحياناً تكون أعداد حاويات القمامة قليلة، وأحياناً يكون عدد جامعي القمامة قليلاً، بل إنه من السهل عليك

أن تلتفت فترى أحد أفراد قوات الأمن ولكن ليس من السهولة نفسها أن تجد عمال النظافة. كذلك فقد انشغل الكثير من عمال النظافة بالتسول والوقوف عند أماكن يحتمل فيها وجود المتصدقين عن غيرها، كما أنّ نظام النظافة يعتمد على نظرية التنظيف بعد انتهاء المنسك (كما هو يوم عرفة) وليس أثناء المنسك. ومن الأمور الهامة كذلك أنّ المشرفين على عمال النظافة ليسوا عرباً كما لاحظت، ولا شك أنّ العرب بل وحتى السعوديين أقدر على تلمس وتذوق قضايا النظافة من غيرهم.

من الأمور الهامة كذلك قضية المطبوعات التي لا بد من تطويرها وتوفيرها في متناول اليد، والمقصود ليس المطبوعات الشرعية بل المطبوعات التنظيمية من خرائط لتوزيع أبواب الحرمين الشريفين والفنادق التي تحيط بهما وأيضاً توزيع الأسواق والمعالم الهامة، كما أنه من المهم توزيع أو حتى بيع خرائط لخيام منى (رأيت خريطة من هذا النوع بيد رجال الأمن) وكيفية السير على الأقدام بين تلك الشعائر. ولا شك أن كل من سافر إلى أوروبا مثلاً يدرك أنّ الخرائط السياحية الجميلة الموجودة هناك هي بحدّ ذاتها تحف فنية. أتمنى كذلك أن تكون هناك سيارات صغيرة كتلك الموجودة داخل المطارات لتسهيل نقل الحجاج في أنفاق منى والذين اضطر الكثير منهم إلى السير على أقدامهم بعد منع باصاتهم من الدخول، دون أن يستطيعوا توفير وسيلة تنقل آمنة. ثم ما المانع من تطوير هدايا الحج التذكارية بدلاً مما هو موجود من هدايا قديمة مستهلكة. كذلك فإن تضارب المعلومات الموجودة عند شرطة المرور حول الشوارع المغلقة والأخرى المفتوحة أوقعتنا كحجاج في حرج كبير، ما يجعل هناك حاجة إلى انسيابية المعلومات بين الشرطة وقوات الأمن. وأخيراً فإن مطار جدة ومطار الحجاج كلاهما بحاجة للمسات حضارية أوضح.

ختاماً فإن موسم الحج هو مجال حقيقي لعرض الإسلام كدين النظافة والحضارة والتنظيم، ولسنا عاجزين كمسلمين عن القيام بذلك، ومن يرى جمال بنيان الحرمين الشريفين يدرك أنّ هذه العقلية المبدعة التي وقفت وراء إنجاز هذه المباني الرائعة قادرة على أن تكمل نجاحها بما هو أسهل وأبسط، والله الموفق لكل خير ونسأله سبحانه أن يعيد علينا مثل تلك الأيام العظيمة ويتقبل منّا جميعاً.

يناير 2007

أوزبكستان المسلمة

بدعوة كريمة من السيدة نائبة رئيس مجلس الوزراء في دولة أوزبكستان، شاركتُ ضمن وفد نسائي كويتي برئاسة الدكتورة الفاضلة معصومة مبارك وزيرة المواصلات ومجموعة طيبة من السيدات الكريمات في زيارة تلك البلاد والتعرف على أوضاعها العامة والنسائية منها بوجه خاص، وذلك في إطار توثيق العلاقات الثنائية بين البلدين. وقد كانت الزيارة متميزة بكل ما تعنيه الكلمة، والحديث حول الزيارة طويل سأذكر منه في مقالي ما أعتقد أنه يهمُّ قرّاء الحركة.

لقد وجدت أوزبكستان كما تخيلتها دائماً، بلاد القبب الزرقاء، يشتم من يزورها رائحة الماضي الرائع والحضارة الإسلامية التليدة. أوزبكستان هي سمرقند وطشقند وبخارى، وهي تلك المدن التي طالما قرأنا أسماءها وأخبارها في كتب التاريخ الإسلامي. ومساحة أوزبكستان شاسعة جداً لدرجة أنّ التنقلات في أرجائها تتم بالطائرة وخاصة أنّ الطرق بين مدنها غير معبدة بصورة جيدة، وأمّا جوها فشديد البرودة شتاء حيث صادفتنا الثلوج في هذه الأيام، كما أنّه شديد الحرارة صيفاً، حتى أني تساءلت كيف لهم أن يقيموا هذه الحضارة الرائعة في هذا الجو المتباين.

ولعل من أهم ملاحظاتي على أوزبكستان أنه بلد يعيش فترة هامة من حياته، ألا وهي فترة إعادة تشكيل الهوية الحضارية، فقد خرج للتو من حكم شيوعي طويل، وهو اليوم يبحث عن موقعه الحضاري بين الدول الأخرى.

فمن يزور أوزبكستان يجد أنّ هناك مسارين متقابلين هامين، المسار الأول يدفع بالأوزبك لإعلان الهوية الإسلامية ولا شيء غيرها، فالأوزبكيون يعلمون أن أكثر صفحات حياتهم إشراقا هي حين كانت دولتهم إحدى أكبر العواصم الإسلامية، حين بنيت فيها القصور والمراقد الرائعة ومدارس حفظ القرآن التي ما زالت تشهد على تلك الأيام بالخير والعطاء، لهذا فهم فخورون بدينهم وبانتمائهم إلى العالم الإسلامي. كما أنّ حب الأوزبك للإسلام كبير، ولا أنسى تلك السيدة العجوز التي رأيناها تبكي بحرقة لأنها تخاف أن تموت ولم تتمكن من الحج حتى الآن. كذلك ففي لغة الأوزبك الكثير من المفردات العربية على رأسها مقولة السلام عليكم التي يرددها الجميع، كما أنّ اللبس الوطني لجميع الفئات لديهم هو لبس مستور إسلامي. وأخيراً فإنّ هناك دولاً قريبة منهم أعلنت الإسلام منهاج حياة لها. أمّا المسار الثاني فهو مسار يدعوهم إلى أن يخلطوا هويتهم الإسلامية بما هو دخيل عليها، ولقد رأيت ذلك من خلال أن لأوزبكستان علاقات دبلوماسية مع إسرائيل، وتجد البارات والخمارات منتشرة في كل الأماكن العامة، كذلك فإن ارتداء المرأة الأوزبكية للحجاب في تراجع واضح، فالكثيرات يعتقدن أن الحجاب هو زي الكبيرات بالسن أو الفقيرات والفلاحات أو ربما هو زي يناسب من يدرس الشريعة واللغة العربية، ولكنه ليس زي الفتيات والسيدات المثقفات. والغريب أني لم أشاهد أي امرأة محجبة تتقلد منصباً رسميا طوال زيارتي للبلاد وذلك على الرغم من كثرة النساء اللواتي التقيت بهن، حتى أنّي اعتقدت أن الحجاب ممنوع في الأماكن الرسمية بحكم القانون كما يحصل في بعض الدول العربية أو الإسلامية، ولكن تبيّن لي أنّ الحجاب غير ممنوع نهائياً وأنّ النساء اخترن ألا يرتدين الحجاب لاعتقادهنّ أنه يكفي أن يكون الإيمان في القلب كما قالت لي إحداهن. ولا شك كذلك أنّ الهجمة الأخيرة على الإرهاب

والتخوف من أن تكون الجمهوريات الإسلامية بالذات مكاناً خصبا لتلك الجماعات كان من المعيقات الحقيقية لإعلان الأوزبك لهويتهم الإسلامية خالصة.

على أي حال فإنّ علينا تجاه إخواننا في الأوزبك واجب كبير، حيث من واجبنا كأفراد أن نفكر بالسياحة الإسلامية في دولهم، كما علينا أن نفكر كمؤسسات مالية إسلامية في الاستثمار لديهم، كما أنّ العمل الخيري لدعم الأيتام والفقراء مطلوب وخاصة أنّ هناك مكتباً للهيئة الخيرية الإسلامية نشيط في أعمال الصدقات والخير، كما أنّ وزارة الأوقاف في الكويت تستطيع أن تدعم مراكز حفظ القرآن والإدارات الدينية ومراكز تعليم اللغة العربية هناك، وذلك ضمن تعاونٍ رسمي بين الدولتين، ولا أنسى الإشارة إلى أنّه يوجد لدى الأوزبك الكثير من المباني الإسلامية الأثرية التي هي بحاجة ماسة إلى الترميم والتجديد.

ختاماً، كانت هذه مشاهداتي من زيارة رسمية قصيرة، خلاصتها أن أوزبكستان هي جزء هام من أرضنا الإسلامية، وتستحق منا كدول وكأفراد كل الرعاية بما يدعم استقرارها واقتصادها وأمنها وهويتها المسلمة.

ديسمبر 2006

مؤتمر نسائي في تطوان

شاركتُ في الأسبوع الماضي في المؤتمر النسائي العربي الأول في تطوان شمال المغرب، وكنتُ ممثلة للجنة شؤون المرأة في مجلس الوزراء. ولقد كان المؤتمر تجربة متميزة رأيت من الواجب أن أشرك القرّاء الكرام في بعض ملامحها. كان المؤتمر بدعوة من جمعيتين نسائيتين في تطوان هما جمعية الندى وجمعية الأمان، وبرعاية من الأميرة لالّة مريم شقيقة ملك المغرب وبحضور مجموعة من الوجهاء والمهتمين من أنحاء المغرب ومن الدول العربية. وقد كان لنا لقاء مع السيد والى تطوان والذي أشار إلى دور القطاعين الحكومي والخاص في دعم العمل التطوعي، وأشار إلى أنّ جمعيات النفع العام تتكفل بالإنفاق على تكاليف تشغيلها الشهرية، ولكنّها تتقدم إلى القطاعين الخاص والعام بمشاريعها، وكلما كان المشروع واضحاً في أهدافه وأكثر في تأثيره فإنه يكون أقدر على جذب الدعم والمال لصالحه، وهو تفكير منطقي ويدفع إلى التنافس الإيجابي.

وأما المؤتمر فقد ضم أوراقاً جيدة، منها ورقة حول "مدونة الأسرة المغربية"، ولقد أثارت هذه المدونة وما زالت تثير الكثير من الجدل في المغرب، ولا أّدعي أنّني ألممتُ بكافة تفاصيلها حتى أبدي رأيي تجاهها، لكن لفت نظري عند الحديث عن المدونة حجم الجهد والعمل الذي مرّت به منذ التفكير بمراجعة قوانين الأسرة المغربية وحتى إقرارها، ولقد عرضت هذه المدونة على جمعيات النفع العام لإبداء الرأي، كما عرضت على شرائح من عامة الناس، كما شارك في كل مراحل إعدادها نساء قانونيات، عدا الدور الواضح للاتحاد النسائي المغربي في هذا العمل الكبير. أعود لأقول إن المدونة ما زالت

تعاني من إشكالات شرعية وقانونية، لكننا نستطيع أن نستفيد من فكرة مراجعة كافة قوانين الأسرة في الكويت وتعديلها بما فيه مزيد من المكتسبات لاستقرار الأسرة الكويتية.

وبحكم قرب تطوان من إسبانيا فقد شارك في المؤتمر جمعيات إسبانية، وكان أطرف تلك الجمعيات جمعية رجالية تهدف إلى دعم مسيرة المرأة. وقد قام السيد رئيس جمعية الرجال بالتأكيد على ضرورة الحوار الهادئ والحكيم بين رجال ونساء المجتمع من أجل تهيئة كلا الطرفين لتقبل التغيير في دور المرأة في المجتمع المعاصر، كما أكد رئيس الجمعية على أنّ قضية المرأة هي قضية المجتمع وليس قضية المرأة وحدها وأنّ تعاون الطرفين فيه الكثير من الخير لاستقرار الأسرة والمجتمع.

أخيراً، لعلّ المغرب أجمل بلاد العرب في خضرته وطقسه الرائع على مدار العام، وأمّا تطوان فقد نبهنا الدكتور أحمد البستان – وقد كنت بصحبته الطيبة في تلك الرحلة– على أنّه البلد الذي غنينا له لسنوات حين كنا نقول "بلاد العرب أوطاني من شام لبغداد، ومن يمن إلى نجد إلى مصر فتطوان".

مارس 2007

خطاب محب للتيارات الاسلامية

الحلقة الأضعف

تظل قضية المرأة هي الحلقة الأضعف لدى التيارات الإسلامية على اختلاف أطيافها، فحتى الآن لم تنجح التيارات الإسلامية في تقديم تصوّر واضح ومفصل ومقبول للقضايا المعاصرة للمرأة المسلمة، واكتفت تلك التيارات بالتأكيد على أنّ الإسلام هو الحل الأفضل للمرأة. واستندت التيارات الإسلامية في حواراتها حول المرأة على مرتكزين أساسيين، الأول كان الحديث عن وضع المرأة قبل نزول الإسلام، سواء في جزيرة العرب حيث كانت تُوأد وتدفن، أو في حضارات الفرس والروم والهند، حيث كانت تُهان وتُؤذى، ثم كيف جاء الإسلام لينقذها من تلك الشرور، فحقّق الإسلام للمرأة بذلك نقلة نوعية وحضارية وإنسانية. وثاني المرتكزات هو المقارنات المتعبة بين وضع المرأة المسلمة وبين وضع المرأة الغربية، ويرتكز الحوار على أن المرأة الغربية وإن بدت سعيدة فرحة بواقعها، إلا أنها تعيسة حزينة في حقيقة الأمر، لأنها خسرت أمومتها وأسرتها.

ما سبق من مرتكزات وأسس لمناقشة قضية المرأة هي أسس – وإن كانت هامة– إلا أنّها اسُتهلكت من كثرة الترديد، حتى حفظناها جميعاً، وآن الأوان للتغيير في الخطاب الذي يتناول قضايا المرأة.

من الأسس الجديدة التي اقترحها للنهوض بقضية المرأة، أولاً: زيادة من الخطاب المشترك للمرأة والرجل، ونقلل من الخطاب الموجه للمرأة بمفردها، فالمرأة شريكة في الخلافة على الأرض، ولطالما اعتبرت المرأة أنّ كلمة (يأيها الذين آمنوا) تشملها هي والرجل معاً، فلماذا يعتقد البعض أنّ المرأة بحاجة إلى توجيه خطاب خاص بها، حتى عندما يكون مضمون الخطاب عاماً؟ لا أخفيكم أننا كنساء أرهقنا مما سمعناه من مئات المواعظ

والخطب المخصصة لنا، والتي لا نجد ما يقابلها من مواعظ للرجال، حتى كأننا كنساء أضعف فهماً وأحوج للتكرار. وثانياً: من الضروري أن نبدأ بتناول واقع المرأة المسلمة اليوم، والإجابة على عشرات التساؤلات التي تواجه المرأة في مسيرها، وأن نقدم لها حلاً أفضل من مقولة (عودي إلى بيتك وأغلقي بابك لتنعمي بالسعادة التي تريدين). إنّ الواقع صعب، وتحتاج المرأة أن تخوض متاعب الحياة لتعيل أسرتها أو لتنهض بوطنها، فماذا تستطيع التيارات أن تقدم لها من مساعدة؟ وثالثاً: لا بد من تشجيع نماذج لنساء ملتزمات ومتميزات، ليكون للجيل القادم القدوة التي يستطيع تقليدها. أتساءل كم شاعرة لدينا، وكم كاتبة وكم صحفية وكم امرأة نستطيع أن نتحدث عنها كقدوة للآخرين؟ العدد قليل، وذلك ليس لضعف قدرات المرأة، بل لتسلط الرجل في كثير من الحالات وحيلولته للمرأة من الظهور إلى العلن.

نتمنى أن يأتي اليوم الذي تصبح فيه المرأة هي الحلقة الأقوى لا الحلقة الأضعف في مسيرة التيارات الإسلامية، فنسير معاً رجالاً ونساء لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

مارس 2006

التغيير يبدأ من الداخل

أعتقد جازمة أنّه يمكن أن يكون للتيارات الإسلامية مزيد من الأيادي البيضاء على المرأة في المجتمع الكويتي بوجه عام، وذلك بجعلهم لواقع المرأة داخل المؤسسات الإسلامية نموذجاً مشرقاً ناجحاً وواعداً، ثم نقول بعدها للجميع: هذا حال المرأة لو طُبقت الشريعة الإسلامية. فعلى سبيل المثال، لو تناولنا موقعين هامين هما المؤسسات المالية والخيرية الإسلامية من جهة، والمؤسسات الإعلامية الصحفية الإسلامية من جهة أخرى، فإنهما سيكونان نموذجاً طيباً لتحقيق هذه الفكرة. إنّ ميزة هذين الموقعين هو كونهما موقعين جديدين، وبالتالي فمن السهولة بمكان أن نبني ثقافتهما كمؤسسات كما نريد، ونعامل المرأة الملتزمة الموظفة داخلهما كشريك في العطاء. ولكنّ هذا لم يحصل على أرض الواقع، ففي حالة المؤسسات المالية والخيرية، التي بنيت على أسس من الشريعة الإسلامية، وتوفرت فيها جميع الضوابط الشرعية، نجد أن المرأة تعاني، وعلى رأس معاناتها أنّها لم تصل إلى المناصب الإدارية العليا كعضوية مجالس الإدارات والمناصب الأخرى العليا كما حدث لشقيقاتها في المؤسسات الربوية، بل أُبقيت المرأة في قسم يسمى قسم النساء، مع السماح لها إذا أرادت أن ترفع توصياتها وملاحظاتها للرجال في مناصب التخطيط والتنفيذ والإشراف والمتابعة العليا. والسؤال، لماذا يرأس الرجل المرأة في تلك المؤسسات ولا ترأس المرأة سوى المرأة؟ هل هذا ما نعد به نساء البلد لو طبقت الشريعة الإسلامية؟ هل نعدهم بخسارة الكثير مما كسبوه على الكثير من المستويات؟ فنؤكد بذلك ما يخوفنا به الآخرون من أن التيارات الإسلامية هي تيارات لا تعمل لصالح المرأة.

كذلك الحال في العديد من مؤسساتنا الصحفية الإسلامية، التي لا أجد المرأة فيها إلا في صفحة ما يسمى المرأة والأسرة. جميل أن نعتني بالأسرة، ولكن لماذا لا نجد المرأة في صفحات السياسة والاقتصاد سواء كمضيفة أو كمضافة؟ كصحفية أو كمحللة وناقدة؟

إنّ تأهيل المرأة السياسي يبدأ من مثل هذه المؤسسات، بل إنّه ليس فقط تدريباً سياسياً، بل هو تدريب اجتماعي، يرى فيه المجتمع عموماً ما يمكن أن نسميه "الاختلاط المحدود" بأدبه وضوابطه.

لا بدّ لي ختاماً أن أقول إنني متفائلة ببوادر تغيير لا بد لي من الإشادة بها، فها أنذا امرأة، ومع ذلك أكتب في الصفحة الاخيرة لصحيفة إسلامية. وكذلك ففي زيارتي الأخيرة لمبنى بيت التمويل الكويتي في الفيحاء، وجدت أنّ التصميم الجديد قد نقل مدخل النساء من باب في جانب المبنى إلى الباب الرئيسي للمبنى، في رمزية واضحة إلى ارتفاع شأن المرأة، وأنا أعلم أن تغيير المباني لا بد أن يشير إلى تغيير المعاني. فالحمد لله أولاً وأخيراً، وبانتظار المزيد.

مارس2006

السكوت عن الظلم

بداية نقول أنّ الظلم يقاسُ بمقاييس الشريعة الإسلامية، فما أقرّته الشريعة للمرأة فهو الحق، وما خالفها فهو الظلم. ومن هذا المنطلق يحق للمرأة في بعض القبائل أن تعتب أيّما عتب على التيارات الإسلامية، فهذه التيارات بالرغم من نفوذها بين تلك القبائل بشكل كبير، إلا أنها سكتت على الكثير من العادات والتقاليد الظالمة للمرأة، بل والظالمة للمرأة والرجل، سكوتاً غريباً لافتاً للنظر.

فمثلاً، من العادات الظالمة عند بعض القبائل، عادة عدم السماح للمرأة بأن ترى زوجها إلاّ بعد عقد القران، بل وأحياناً إلى يوم العرس، وهذا ما يخالف الشريعة التي تدعو إلى الرؤية قبل العقد. ولعل القارئ يتصور الحزن والأسى والترقب الذي يملأ قلب الزوجين، والمرأة بصورة أكبر، من هذا الزواج الغامض، وقد يكون ذلك السبب وراء عدد غير قليل من حالات الطلاق.

وهناك كذلك إغفال حق البنت في الزواج من خارج القبيلة حتى لمن يَحسُن دينه وإيمانه، بل وإلزام الفتاة بالزواج من قريبها، وهذا يتنافى مع روح الإسلام في الزواج. وكذلك إغفال حق البنت في اختيار نوع الدراسة والعمل الذي تريد، حيث تلزم الفتاة بدراسات محددة وعمل معين خوفا عليها من الفتنة والفساد. ولا بد لي من الوقوف كذلك عند عشرات الألفاظ والتعابير والكلمات التي يتداولها بعض الرجال هناك وتنتقص من المرأة، وكذلك هناك التمادي في تعدد الزوجات دون أي ضوابط تضمن قدرة الرجل على العدالة بين زوجاته أو رعاية أبنائه، أو التخيُّرُ لنطفة.

والسؤال هو: هل لاحظت التيارات الإسلامية أنّ انتشارها هناك يكاد يكون بين الرجال فقط ودون تحقيق مكاسب واضحة على صعيد الحركة النسائية؟ ولماذا لم تستغل التيارات الإسلامية نفوذها بين تلك القبائل لتحسين وضع المرأة ضمن أطر الشريعة الإسلامية؟ وكم خطبة جمعة خُصّصت لمساعدة المرأة في رفع الظلم عنها، وكم لقاء تنويري أو مؤتمر عقد لمثل تلك القضية؟ وهل يخطئ من يردد أنّ بعض التيارات الإسلامية لم يفتح نهائياً ملف تلك المظالم لأنّ لسان حال القائمين عليها يقول (لن نخسر ولاء القبائل الديني والسياسي من أجل تصحيح قضية "تافهة" كقضية المرأة).

هذا وإنني أعلم أنّ رفع الظلم عن المرأة مسؤولية كل أفراد المجتمع، ولكنني أخص التيارات الإسلامية بالذكر لأنني أعتبرهم أداة التغيير الراشد في المجتمع، ولأنني أعلم أنّ العادات والتقاليد السلبية لا يغلبها إلا صوت الدين. وختاماً، لا يفوتني أن أسجل إعجابي بالمرأة في تلك القبائل حيث أنّها أنصفت الإسلام، فلم تحقد على دينها، بل نسبت ما وقع عليها من ظلم لسوء تصرف المسلمين وموروثات العروبة. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

مارس 2006

مركز لدراسة الحركات الإسلامية

لقد استحوذت الحركات الإسلامية على اهتمام مراكز البحوث العالمية، وذلك لحيويتها وارتباطها الشديد بالجمهور وتأثيرها الفاعل على الأحداث. ولقد كتب الكثيرون عن نشاط تلك التيارات ومدى تأثيرها، ولكن غالباً ما كتبت مثل هذه الدراسات بيد آخرين من خارج التيارات الإسلامية، ما جعل هذه الكتابات في كثير من الأحيان لا تفهم ما يدور في الداخل.

أما التيارات الإسلامية، فقد انشغلت لعقود متواصلة بالكتابة الدعوية الحماسية الأخلاقية، لمخاطبة جماهيرها وتوعيتهم وتثبيتهم، مع قليل من الكتابة عن نفسها كتيارات، وهذا راجع أولاً لعدم استقرار هذه التيارات سياسيا في الغالب، ما جعل قضية بقائها واستمرار وجودها أهم بالنسبة لها من أي قضية أخرى. وثانياً فإن التيارات الإسلامية اعتبرت –ولها الحق في ذلك– أن مثل هذه الكتابات آنذاك تكشف أوراقها وتسهل على الآخرين ضربها والإضرار بها. وثالثاً فالبحث العلمي والدراسة الجادة يحتاجان إلى الاستقرار السياسي والأمن بالدرجة الأولى، إذ لا تقوم البحوث وتتطور العلوم إلا في مناخ حاضن للثقافة.

ولكن الأمور تبدو مختلفة اليوم وفي الكويت بالذات. فالكويت بلد مستقر، وتعيش التيارات الإسلامية فيه حياة هادئة إلى حد كبير، لذا فالواجب في نظري أن يبدأ التفكير في تحرك جاد لإنشاء مركز معلومات للتيارات الإسلامية ونشاطها وما مر عليها من مد وجزر ومواطن الصواب والخطأ في مسيرها، كما يجب أن يتفرع عن هذا المركز قسم للدراسات، معتمدا على المناهج العلمية الصحيحة من رصد ومقابلات واستبيانات وجلسات حوار وغيره، وهذه الدراسات ستخدم الحركات الإسلامية أول ما تخدم، لأنها

ستمكنها من شرح واقعها الإيجابي للآخرين، كما أن هذا المركز سيجعل الحركات قادرة على رصد موقعها اليوم بين جماهيرها الفعليين وجماهيرها المحتملين، وكيف ينظر إليها من هم داخلها ومن هم خارجها، عدا أنها طريقة للتواصل وتوضيح الرؤية.

إنّ الباحث في المواقع العلمية يجد الكثير مما كتبته بعض الحركات غير الإسلامية عن نفسها ونشاطها ونظم الإدارة داخلها. صحيح أنه لم ينشر كل شيء، بل نشر فقط ما ينفع تلك الحركات أكثر مما يضرها، ولكننا نستطيع أن نفعل مثلها لنؤكد على أننا حركة علمية واعية على الساحة، نشارك بالمؤتمرات بأوراق بحثية راقية، لدينا الكثير لنكشفه، ولدينا الكثير لنحفظه لاستخدامنا الشخصي، وهذا هو ما يدور في كل التجمعات والحركات في العالم.

إنّ إقامة مراكز البحوث والمعلومات هو ضرورة لكل حركة راشدة، وهو رافد هام لمعرفة الواقع واستشراف المستقبل، وهو مكان حضاري للحديث عن الإنجازات والإخفاقات في مسير التيارات الإسلامية شأنها شأن أي تيارات أخرى.

مايو 2006

ناشطات الحركة الدستورية: برافو

من الحوارات المعبّرة التي دارت في مرحلة ما قبل إعطاء المرأة حقها السياسي، وأجده حوارا يقدم وصفا حقيقياً لما يدور على الساحة حاليا، هو ما سبق أن صرح به قياديو التيارات الإسلامية بقولهم (نحن نعلم أننا أكبر المستفيدين من مشاركة المرأة السياسية، ولكننا لن ندعم هذا القرار إيمانا بمبادئنا) فيما رد عليهم قياديو التيارات الليبرالية (نحن نعلم أننا لسنا المستفيد الأكبر من مثل هذا القرار، ولكننا ندعمه إيمانا بمبادئنا). والحقيقة أن كلا الطرفين عبر في تصريحه عن أن إيمانه بالمبادئ أكبر من إيمانه بالمصالح الحزبية، وهذا هو عين الصدق.

ومن ينظر إلى الساحة الانتخابية اليوم، وحتى في هذا الوقت المبكر من الموسم الانتخابي القصير، سيدرك صدق التيارات الإسلامية حين تحدثت عن كونها أكبر مستفيد بل ومستعد لمشاركة المرأة كناخبة (وليس كمرشحة). إن النشاط الملحوظ والتنظيم الواضح لناشطات التيارات الإسلامية، وبالذات الحركة الدستورية، لافت للنظر، ففي أي منطقة يكون فيها مرشح للحركة الدستورية تلمس سيدات المنطقة الفرق الواضح في حجم ونوع الاتصالات والحوار الذي يتم معهن، مقارنة بنظرائهن في المناطق التي لا يوجد فيها ممثل للحركة. والطريف أن المرشحين خارج الحركات الإسلامية يعتمدون على زوجاتهم وأخواتهم في التسويق لحملتهم الانتخابية، بخلاف التيارات الإسلامية التي تقوم عشرات السيدات بمساندة المرشح، خدمة لفكره قبل شخصه، وهذا هو التنظيم الصحيح.

لقد سبق أن كُتبت الكثير من الدراسات حول النشاط اللافت لسيدات الحركات الإسلامية فضلاً عن رجالها، وفي تلك الدراسات كان يشار لهذا النشاط باستغراب، مع تساؤل كبير حول سبب قدرة الحركات الإسلامية على تحفيز أفرادها، مقابل ضعف قدرة التيارات الأخرى على القيام بمثل هذا الدور، وأنا أعتقد أنّ الجواب يكمُن في النقاط التالية:

1. أنّ الإسلام دينٌ إيجابي تفاعلي محفز للبذل والعطاء، وأنّ تبني التيارات الإسلامية للإسلام منهجاً وفكراً يضفي عليها الشيء الكثير من نشاط الدين وحماسه.
2. أنّ قناعة الناشطات بأنهنّ يخدمنَ الإسلام وليس الأفراد يعطي كلامهنّ مصداقية حين يتحدثنَ عن المرشح وقدراته، والحديث الذي يخرج من القلب يصل إلى القلب.
3. إنّ لناشطات التيارات الإسلامية خبرة نقابية طويلة في الجامعات والجمعيات، وهذه الخبرة تم استثمارها بسهولة لصالح الانتخابات البرلمانية.
4. أنّ التنظيم الداخلي لعموم الحركات الإسلامية والمبني على احترام الأكبر والأقدر، وروح الفريق والتعاون، والطاعة فيما لا يتنافى مع العقل والدين، هو مجتمعا ممّا يقف وراء النجاح الملحوظ للناشطات الإسلاميات.

ختاماً، ونحن نعيش أفراح هذه الأيام بما تحمله من خبرة وتجربة جديدة ومصطلحات وتوازنات لم نكن نعرفها من قبل، لا أجد أمامي إلا أمنية صادقة بأن تكافئ الحركة الدستورية بناتها بترشيح إحداهن أو أكثر في الانتخابات القادمة، هذا ما أتوقعه وأرجوه. وبرافو لسيدات الحركة الدستورية.

يونيو 2006

نقد الذات العلنيّ

مـن يتـابع ويقـرأ التـاريخ يعلـم تمامـاً أن الحركـات والتيـارات الناجحـة تغيـرت وتطـورت عبـر الفتـرات الزمنيـة المختلفـة، لأن التغييـر كـان يعنـي اسـتمرار تلـك الحركـات وبقائهـا. ولـم يكـن التغييـر سـهلا علـى تلـك الحركـات، وخاصـة حـين يتعـذر علـى الجيـل الـذي قـاد الحركـة فـي فتـرة مـا أن يتقبـل التغييـر الـذي يحصـل خوفـاً علـى أصـالة الحركـة وفكرهـا، ولكـن تكـون الغلبـة فـي النهايـة لأنصـار التطوير، هذا إذا أراد التيار الاستمرارية والبقاء.

ويـرى المحللـون أنّ التيـارات الإسـلامية أثبتـت مرونـة عجيبـة وقـدرة متميـزة علـى مواكبـة التغيـرات وقيـادة حركاتهـا ضـمن أزمـات عاصـفة فـي أوقـات السـلم والحـرب، وهـذا سـرُّ شـعبيتها المتنامية. مـن تلـك التغيـرات التـي شـهدها العـالم وتجـد الحركـات الإسـلامية أنّهـا لا تسـتطيع الابتعـاد عنهـا هـو مـا يسـمى نقـد الـذات العلنـي، وهـو مفهـوم جديـد علـى عالمنـا العربـي والإسـلامي. أنـا شخصـياً عاصـرت فتـرات سـابقة حيـث كـان نقـد الـذات العلنـي مـن المحرمـات، ويُنظـر لـه علـى أنـه شـق للحركـة الإسـلامية وأنـه ضـرر يوقعـه أبنـاء الحركـة بمسـيرها، والكثيـر ممـا كـان يُقـال وقتهـا. اليـوم تبـدلت الأمـور إلـى درجـة أصـبحت الصـحف مجـالاً لـيس فقـط للنقـد البنـاء، بـل وللتلاسـن والتنـافر بصـورة مزعجـة. ومـن هنـا أود الإشارة لما يلي:

• إنّ النقد الذاتي العلني من دلائل الكمال وليس النقص لأي حركة أو فكر. ولعلنا جميعاً نلاحظ كيف يقوم الغرب بنقد ذاته بصورة عجيبة دون أن يدل ذلك على أنهم يكرهون حضارتهم أو أنهم يريدون إعطاء حجج لأعدائهم. إنّ الموضوع هو علمهم بأنّ

هذه السلبيات لم تكن خافية على أحد، وأنّ قيامهم بنقدِ أنفسهم أفضل من أن يقوم آخرون بنقدهم.

- إنّ هناك فئة كبيرة من الناس قد تكون معجبة بتيار ما ولكن لها عليه ملاحظات وتعليقات، وعندما يقوم التيار بنقد ذاته فهو يُنشّط الفئة المحتارة ويجذبها للجماعة.
- إنّ الأجيال الجديدة لا تحمل الولاء المطلق لتياراتها كشأن أجيالنا القديمة، فنحن كنا نرى الأخطاء ونُعلّق بهدوء ونستمر سواء أُخذت آراؤنا بعين الاعتبار أم لا، لأنّ ثقتنا بالقيادة أكبر. وأمّا أجيال اليوم فلها نقد قاسٍ، ولا تقبل التصرفات غير مدروسة، ولديها سهولة غريبة في الخروج من أي تيار، لذا فإن ربطها بالمشاركة في اتخاذ القرار وتصويب المسير شيء ضروري.
- إنّ التيارات الإسلامية دخلت في السياسية، والسياسة تجعل الآخرين يبحثون عن أي مثلب يعيق مسير الحركة الإسلامية، لذا فإن ضريبة السياسة أن تكون حياة الحركة بكل تفاصيلها تحت الأضواء، بحلوها ومرها. وما دام الآخرون سينقدوننا، فالأفضل أن ننقد أنفسنا بأنفسنا.
- هل يُعتبَر الصامت والمطيع من أبناء الحركة الإسلامية أنفع من المُناقش المُحاور؟ أحياناً يكون الجواب نعم وأحياناً يكون لا. إنّ المحاور يكون أحياناً صمّام أمان للحركة الإسلامية، يستشرف الخطأ منذ لحظة وقوعه، وينبّه له، وهو يعلم أنّ الحركة الإسلامية هي هويته وانتمائه.

ختاماً، لا أحتاج أن أتحدث عن ضوابط النقد العلني، فقد سبق لعلمائنا الأفاضل ممّن كتب حول الحركة الإسلامية أن تحدث عنه بإسهاب، وللعلم فهو فن وتدريب ونية حسنة وحسن ظن بالحركة وقيادتها، وما لم تتوفر كل تلك الشروط فإن ضرر النقد العلني قد يكون أكبر من نفعه.

سبتمبر 2006

تعدد الزوجات

قبل الحديث في هذا الموضوع، إنّني أعلم تماماً كم هو شائك أن أتناول موضوع تعدد الزوجات على صفحات صحيفة إسلامية هي (الحركة)، ولكني لا أجد أن هناك موضوعاً مقلقاً للكثير من النساء داخل التيارات الإسلامية كما يقلقهن هذا الأمر، بل إنّ هذا الموضوع بات كالدُّمل الذي آن الأوان لفتحه. لدي مجموعة نقاط أرى أنّ من الضروري الوقوف عندها:

1. نريد كنساء أن يتم النظر إلى تعدد الزوجات على أنّه مباح، تماماً كما تحدثت عن ذلك كتب الفقه القديمة، لا أن ينظر إلى التعدد على أنه مستحب كما تتحدث بذلك كتب الفقه الجديدة. إنّ من يقرأ مثلاً كتاب "فقه السنة" للسيد سابق رحمه الله ويقارنه بنفس الكتاب بعد أن صححه الشيخ الألباني يلمس الفرق واضحاً بين المدرستين. ففي الكتاب الأصلي أشار السيد سابق إلى أقوال لابن القيم جديرة أن يتم تعميمها وترويجها بين رجال الحركة الإسلامية، مفادها "أنّ الرسول الكريم زوّج الإمام علي السيده فاطمة على ألا يؤذيها ولا يريبها ولا يؤذي أباها ولا يريبه" ولما كان هذا الإيذاء والريبة للسيدة فاطمة وأبيها صلى الله عليه وسلم سيقع لو تزوج عليها زوجها، فقد جرى نهي الإمام علي عن هذا الزواج، ويرى الإمام ابن القيم أنّ ذلك ينطبق على "المرأة إذا كانت من بيت لا يتزوج الرجل على نسائهم ضرة" كالكثير من نساء الكويت، أو إذا كانت المرأة "ممن يعلم أنها لا يمكن إدخال الضرة عليها عادة لشرفها وحسبها وجلالها، كان ترك الزواج عليها كالمشروط آنفا" وهذا حال نسائنا كذلك. والطريف أنّه في تصحيح الكتاب تم حذف هذا الفصل تماماً، واستُبدل بأدلة تحث على التعدد وتؤكد استحبابه، ممّا لم

يرد في الكتاب الأصلي بتاتاً. وما سبق نموذج أوردتُه لما يسمى "لَيّ عنق الفقه الإسلامي" لمصلحة الرجل وتفسير الأحاديث على الوجه الذي يحقق مزيداً من المكاسب له.

2. لا بدّ من إيقاف التحريض على الزوجة الثانية، واستبداله بالتشجيع على الزوجة الواحدة. فتعدد الزوجات رغبة فطرية عند الرجل، وهي رغبة ليست بحاجة نهائياً إلى أي تحريض، بل هي إلى التهدئة أحوج. ترى ما المانع من تشجيع ثقافة الزوجة الواحدة، والحديث عن مكافأة نساء الحركة الإسلامية وإكرامهن بعدم الزواج عليهن؟ ما المانع من الحديث عن الوفاء للزوجة الأولى وهي أم العيال والتي صبرت مع الزوج في سنوات التأسيس والبناء؟ ما المانع من التشجيع على التغاضي عن تقصيرها إن كان لها تقصير؟ وما المشكلة في تسليط الضوء على صعوبة العدل بين الزوجتين وتعاظم مسؤولية تربية الأبناء والتخويف من خسائر تعدد الزوجات بدلاً من الحديث عن لذته ومتعته ومكاسبه؟

3. إنّ ألم تعدد الزوجات ومعاناته هو مما لا تحسن الحديث عنه إلا المرأة، فالمرأة تقلق طالما زوجها يحدثها عن أنّه سيتزوج بأخرى، ثم تقلق بعد أن يتزوج بالأخرى، وهكذا تعيش المرأة بين قلقين، ما يؤثر على صحتها وعطائها لأبنائها وعطائها لمجتمعها، وكذلك يوغر قلب والديها وأسرتها وأبنائها، إنها رحلة لا نهاية لها من الحسرة. كما لا بدّ من الإشارة إلى أنّ زيادة علم النساء اليوم وثقافتهن جعل قبولهنّ بالتعدد أكثر مشقة في مجتمع ما زال يفسر زواج الرجل بثانية أنه بسبب تقصير الأولى.

ختاماً، فإنّ إباحة التعدد ممّا نؤمن به، وأنّ وضع موانع للتعدد مما لانريده ولا نُقِره، كل ما نريده هو التوقف عن التحريض أو على الأقل السكوت عن مثل هذا الأمر، وتركه للذوق الشخصي لأفراد الحركات الإسلامية، والله الهادي إلى سواء السبيل.

أكتوبر 2006

تلميع المرأة الملتزمة

أتيحت لي الفرصة أن أكون على علاقة وثيقة بالعديد من السيدات اللامعات في المجتمع ممّن هنّ من خارج الحركات الإسلامية، ولقد وجدت في الكثيرات منهنّ الكفاءة والقدرة الجيدة على العمل الإيجابي، لكني كنت دائماً أقول لنفسي: لدينا في الجماعات الإسلامية سيدات لا يقللن عن هؤلاء اللامعات بل ربما يفقنهن في العطاء والعمل، وربما آن الأوان أن يبرزن للمجتمع، ويكن قدوة للشابات الصغيرات في زمن تبحث فيه بناتنا عن نموذج.

وفي نظري فإن عزوف النساء الملتزمات عن العمل الخارجي المعلن راجع إلى ثلاثة جوانب، الجانب الاول أنّ سيدات العمل الإسلامي تربين على ثقافة العمل الخفي، وهي ثقافة تقوم على أساس الهروب من الأضواء والشهرة والبروز، لاعتقادهن أنّ البروز لا يتناسب مع شخصية المرأة الحييّة المؤمنة والتي تريد الأجر من الله ولا تريده من الناس، كما يعتقدن أنّ العمل العلني لا يتناسب مع بعض الأحاديث النبوية التي تتحدث عن عمل الخير في السر على أنه أفضل من عمل العلن، وهكذا. ويحضرني هنا ما سمعته من أحد الدعاة المتميزين ينبّه فيه إلى عدم خلط الأمور بهذه الطريقة فيقول: (لقد دأب المؤلفون المسلمون في السابق على تذييل كتبهم واصفين أنفسهم بلقب "الفقير إلى الله"، ثم وفي فترات أخرى أخذوا يصفون أنفسهم بلقب "الغني بالله"، وكلا الصفتين حقيقة. ولعلنا اليوم مطالَبون بالظهور تحت الصفة الثانية "الغني بالله" بدلاً من الفقير إليه، في عصر تكون فيه الدعوات أحوج ما تكون

إلى تقديمها إلى المجتمع بوجهها الغني والقوي).

الجانب الثاني هو أن هذه الفئة من سيدات الحركة الإسلامية يلتفتن ليجدن أنّ أغلب ما يتميزن به هو مما لا يصلح للحديث الإعلامي بنظرهن، فهن إما واعظات أو حافظات ومحفظات للقرآن أو مسؤولات عن أنشطة تربوية أو ما شابه، ويشعرن أنهنّ بعيدات عما اعتدن ظهور النساء فيه. وإنني أستغرب منهن حقيقة، فالكثيرات غيرهن برزن وهن يحملن الزبد من العمل، فيما تحمل نساؤنا ما ينفع الناس من العمل، من تربية الأجيال واستيعاب احتياجاتها وتحفيظها القرآن، فلِمَ التردد وتحبيط الذات؟

الجانب الثالث هو دور الرجال السلبي في منع نسائهن من الظهور الإعلامي، متذرّعين بمبررات لا أجد أنها مقنعة بتاتاً. ولا شك أن تغير مفاهيم إخواننا الرجال ضروري، وهذا يكون بوسيلتين: الأولى الموعظة والتأكيد على ذلك ضمن الدروس الدينية للرجال، والثاني أن يقوم بعض القيادات من الرجال بهذا الدور الريادي من تشجيع بناتهن على الظهور الإعلامي. وإنني كلما شاهدت السيدة الكريمة حنان القطان في التلفزيون تتحدث بحياء وإيمان، شعرت بالامتنان للشيخ الفاضل أحمد القطان على كونه جعل من نفسه القدوة لغيره، وهو السبَّاق دائماً في الخير.

ختاماً، فإنّ القدرة على اقتحام العالم الخارجي بعيداً عن هدوء الدعوات وقلة ضجيجها ليس بالأمر السهل على نسائنا في الحركات الإسلامية، ولكنه في الوقت نفسه هو "فرض الوقت" في هذه الأيام كما أراه، وحتى تستطيع نساؤنا التأهل للدور الجديد، فهنّ بحاجة إلى كل دعم ممكن ليسطع عطاؤهن على المجتمع، ويكنَّ النموذج المحتذى لأجيالنا الشابة.

أبريل 2007

عندما صوّتت المرأة الملتزمة

إنّ التيارات الإسلامية لديها كنز اسمه المرأة، فهي دائماً "تعطي بلا مَنّ وتصبر بلا حقد" كما يصفها أحد الدعاة الإسلاميون. ولعل تصويت المرأة في انتخابات 2006 كان شاهداً جديداً على كونها كنزاً، فلقد كانت مشاركتها رائعة بكل المعايير، حين قامت بحسم المعركة السياسية في تصويت وصفته صحيفة القبس بقولها "صوتت المرأة للإصلاح والاتجاه الإسلامي"، وهو في نظري أصدق وصف وأشمله. ولأن الاتجاه الإسلامي في هذه المرحلة يقود الإصلاح، فكان تصويت المرأة للأول هو تصويت للثاني بطبيعة الحال. ولكن إلى أي مدى يعترف الرجال للمرأة بالرشد السياسي بعدما دعمت الإصلاح وممثّلي الإسلام ؟

خاطب الدكتور الفاضل ناصر الصانع المرأة معترفاً بفضلها عليه حين لعب صندوق النساء الدور الرئيسي في نجاحه بالانتخابات فقال: "أقول لكم بأنّ المرأة وفيّة، فقد صوتت لي مع أني لم أصوت لها"، وهو كلام موفّق وجميل يحمل اعتذاراً مبطناً، ولكن المرأة سامحته وعذرته قبل أن تسمع اعتذاره أو اعتذار الآخرين، لأن الإسلام والوطن أغلى من أي شيء آخر.

ولم تكن مؤازرة المرأة للرجل فقط بتصويتها، بل كذلك بإدارتها للحملات الانتخابية، وهذا يقودني إلى الحديث عن السيدات الست اللواتي أدرن الحملات الانتخابية لمرشحي الحركة الدستورية، فأي قدرات رائعة يتمتعن بها حتى صنعنَ للحركة نصراً لم تنله من قبل؟

بل وكنّ هّن ومن ساعدهن دون مبالغة محطّ إعجاب الناخبات بتميزهن الإداري وتعدد مهاراتهن القيادية، لقد ربتهنّ الحركة واليوم رددن لها الجميل نصراً مؤزراً مفرحاً.

إنّ المرأة في الحركة تستحقُّ كل التقدير، ومن التقدير أن يكون لها سهمٌ في المغنم كما كان لها سهم في المغرم، فتتبوأ مناصب قيادية داخل مؤسسات الحركة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتؤهّل للانتخابات القادمة كمرشحة كما تم تأهيل إخوانها من الرجال، وأن يتم اختيار مجموعة منهن كعضوات لهن مناصب معلنة في مجلس التخطيط والشورى للحركة، ليكون لهنّ دور في اتخاذ وصنع القرار وليس فقط تنفيذه.

ختاماً، ما أخشاه هو أن يستمر البعض من أعضاء مجلس الأمة الإسلاميين في وقوفهم في وجه أي مكاسب قادمة للمرأة بعد أن رأوا أنها معهم في كل الأحوال، مثل تصريح أحد الأعضاء بأنّه لا يريد وزيرات نساء، وهو تصريح مثير للاستغراب. إنّ المرأة هي الأخت والأم والزوجة، ومن حقها أن يكون لها طموح خارج المنزل، ومن حقها كذلك أن تجد من يدعمها ويساعدها عندما تفكر بذلك الطموح، فالحياة تسع الجميع وتحتاج الجميع والله الموفق.

أبريل 2007

المرأة وخبرة التيارات الإسلامية

في إطار الاحتفال بمرور سنتين على حصول المرأة على حقها السياسي، شهد الأسبوع الماضي ملتقى تعزيز مشاركة المرأة السياسية والذي أقامته شبكة المرأة، وقد خرج الملتقى بمجموعة توصيات تهدف إلى إيصال المرأة إلى مراكز صنع القرار، ولقد لفت نظري من التوصيات البند التالي: (فتح الحوار والتفاوض مع الأحزاب والتنظيمات السياسية وبشكل خاص ذات التوجه الديني في محاولة لقراءة متأنية ومستنيرة لخطاب ديني يستند إلى الحقوق المكفولة للإنسان من ذكر وأنثى وفق تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف بعيداً عن استغلال الدين والغلو والفتاوى الصادرة لأهداف وأغراض سياسية)، وإنّني أعتقد حقيقةً أنّ هذه التوصية هامة وجديرة أن تنال حقها من التمحيص.

لقد أثبتت الانتخابات الاخيرة والتي شاركت بها المرأة تفوقاً واضحاً للتيارات الإسلامية، وبدا جلياً للعلَن قدرة هذه التيارات على مخاطبة الجمهور، وقيامها بحصد أصوات النساء والرجال من أتباعها بل ومن عامة الناس، لصالح المرشحين الإسلاميين. واللافت للنظر كان كفاءة نساء التيارات الإسلامية في إدارة الحملات الانتخابية وتنظيمها، معتمدات على الخبرة التي اكتسبنها من العمل النقابي في الجامعة، والحماس الكبير الذي ينشئه الإسلام في قلوب أتباعه لخدمة قضاياه. لذا فإنّ لدى نساء التيارات الإسلامية خبرة كبيرة جديرة بأن تتم قراءتها قراءة متأنية، خاصة وأنّ أكثرهن ما زلن بعيدات عن الإعلام والأضواء، وهو شيء نادر الحدوث في زمن يتقاتل فيه الناس على الظهور في وسائل الإعلام.

كذلك فإنّ تأثر الجمهور بالخطاب الديني هو مما يجدر الانتباه إليه عند أي حديث عن تمكين المرأة سياسياً وإيصالها إلى المجلس. ولعلنا نعلم جميعاً أنّ من أهم أسباب تأخر حصول المرأة الكويتية على حقها السياسي كان الممانعة الشعبية المبنية على الخوف من الشبهة الدينية عند ممارسة المرأة لحقوقها السياسية.. لقد أثبتت التجربة أنّ الجماهير لديها حس فطري إسلامي قوي، وأنّ الاعتماد على الخطاب الديني الشرعي الصحيح الصادر من شخصيات لها قبول، من شأنه أن يدفع بقضايا المرأة إلى الأمام، خاصة وأننا نعلم جميعاً كنساء أنّ الإسلام يحمل الكثير من الدعم لدور المرأة السياسي والاجتماعي والتنموي، وأنّ الظلم على المرأة يقع من الإنسان لا من الأديان، كما هو شعار إحدى الفعاليات النسائية.

على أي حال، فالتحدي أمام المرأة ما زال قائماً، وإذا أردنا كنساء أن نمارس حقوقنا السياسية بفعالية، فإنّ من أهم وسائلنا الاهتمام بالخطاب الديني المستنير، والاطلاع على تجربة التيارات الإسلامية في تحفيز المرأة الكويتية ليس فقط على المشاركة السياسية، بل على إعطاء صوتها لمن صوَّت ضد حصولها على الحق السياسي، في مفارقة عجيبة لفتت نظر وسائل الإعلام حول العالم، وأبرزت بوضوح مدى تأثير الخطاب الديني على الناس وعلى المرأة بالذات.

مايو 2007

مقابلة مع ناشطات إسلاميات

أجرت صحيفة الوسط اليومية يومي 15 و16 مايو الجاري مقابلة مع مجموعة ممن وصفتهن بأنهن "ناشطات إسلاميات"، كان محور المقابلة التعرف على رؤية هؤلاء الناشطات لأوضاع المرأة داخل التنظيمات الإسلامية. وتعلق السيدة رانيا حسام التي قامت بالتحقيق على ما ورد فيه: "في رؤية النساء العاملات في الحقل الإسلامي في الكويت لا يزال الدور المنسوب إليهن دون مستوى الطموح، حتى أن بعضهن فجّرن جملة من القضايا المثيرة للجدل أقل ما توصف به أنها من العيار الثقيل، تراوحت بين المطالبة بإعادة النظر في وضع المرأة بالنسبة إلى النظم الأساسية للجمعيات الإسلامية، والشكوى من حالة التهميش والإقصاء القسري، والمطالبة باستعادة المرأة دورها الصحيح في المجتمع". واليكم مقتطفات مما جاء على لسان الناشطات:

الدكتورة خديجة المحميد (حركة التوافق الوطني) تقول: "إنّ المرأة لا تزال تعيش حالة التهميش والإقصاء القسري داخل التنظيمات الإسلامية... وتكمل: بل وهناك تعمد في إقصائها عن ساحة اتخاذ القرار باستثناء بعض المساحات في الحالة التنفيذية أو الإجرائية، ولم يسمح للمرأة بالمشاركة في أي مجلس إدارة رجإلى في حالة إسلامية، باستثناء حركة التوافق وعمرها أربع سنوات".

السيدة خولة العتيقي (محسوبة على جمعية الإصلاح كما عرفتها الصحيفة) تقول"ما زالت المرأة مُستغلّة استغلالاً محزناً داخل التجمعات الإسلامية، فهي جاهزة ومجهزة بتفانٍ حين يحتاج إليها الرجل في الانتخابات... أما كعضو مشارك فاعل ذات رأي مسموع فهي في أقصى درجات الإقصاء عن مركز اتخاذ القرار. وتكمل: لعلنا نجد طريقاً للتغيير تعطي للمرأة داخل التيارات الإسلامية دوراً حقيقياً رائداً".

أما عنّي عروب الرفاعي (جمعية بيادر السلام) فقد قلت: "لقد سبق لنا كناشطات إسلاميات أن كان لنا حوار طويل تغلب عليه لهجة العتب الأخوي مع إخواننا في التيارات الإسلامية بشأن ضعف إشراكنا كنساء في العمل الخارجي للدعوة، شهدت أغلبه صحيفة الحركة الإسلامية"... وأكملت "إنّ الخوف هو من غياب المرأة الملتزمة في ظل حضور للمرأة غير الملتزمة، وذلك أنّنا كملتزمات نمثل الذوق الحقيقي للمجتمع بتفكيرنا وحجابنا وطرحنا الفكري، ولا يجوز تهميشنا وترك غير الملتزمات يمثلن المرأة في المجتمع".

السيدة سعاد الجارالله (رئيسة اللجنة النسائية بجمعية الأصلاح) تقول: "نطالب بتغيير النظرة إلى النساء في جمعية الإصلاح حتى تتمكن المرأة من أداء دورها المطلوب، واشتكت من غياب الناشطات الإسلاميات عن البروز الإعلامي، وعزَت ذلك إلى التسلط الرجولي والذي اعتبرته أنه يتحمل العبء الأكبر في هذه الإشكالية "

السيدة وفاء الأنصاري (مسؤولة مكتب المرأة في الحركة الدستورية) تقول: "إنّ إعطاء المرأة حقها السياسي دفع بعجلة التطور السريع للمنتسبات في التنظيمات السياسية الإسلامية"... وتكمل "ولم تخف الأنصاري تخوف بعض السيدات من ولوج الحقل السياسي لاعتبارات عدة، منها الخلافات الفقهية والتقليدية التي تنكر وجود المرأة في الخارطة السياسية. وأوضحت أنّه تمّ وضع خطة للتغلب على هذ التخوف"... وأكملت مشيرة إلى "أهمية مخاطبة القائمين على العمل بأهمية إعطاء المرأة حقها السياسي".

ختاماً، أتمنى من إخواني الرجال القراءة المتأنية للتصريحات السابقة، واستدراك ما يمكن استدراكه من تقصير سابق، ثم لا يسعني إلاّ أن أحمد الله على حصولنا على حقوقنا السياسية والتي لولاها لبقينا حيث كنا منذ سنوات طِوال.

مايو 2007

يتساءلون ونتساءل

من يتابع صحفنا اليومية يلاحظ اتفاق الكثير من الكتاب غير الإسلاميين على ترديد شبهة مفادها أنّ الأوضاع الأخلاقية والاجتماعية في المجتمع الكويتي كانت في السابق أفضل بكثير ممّا هي عليه الآن بعد نشاط التيارات الإسلامية، ويتساءل هؤلاء بسذاجة ممجوجة عن العلاقة بين زيادة نشاط التيارات الإسلامية وبين زيادة الانحراف الاجتماعي والأخلاقي بين فئات المجتمع. ويصل هؤلاء إلى خلاصة مفادها أنّ نشاط التيارات الإسلامية لم يعد علينا بخير أبداً، بل تسبب كرد فعل له بتدهور الأخلاق العامة في المجتمع وارتفاع نسبة الانحراف والجريمة، ولعل الحل كما يرددون في ضرورة توقف نشاط التيارات الإسلامية، ليعود المجتمع كما كان في السابق، متراحماً وطيباً ومحباً. والحقيقة أنني لم أكن أنوي التعليق على الشبهة السابقة، ولكن لتكرار تداولها رأيت ضرورة الكتابة عنها.

بداية أقول أنّ هناك ظاهرة واضحة تتلخص بأنّ تيار الفساد ازداد بصورة مضطردة، وذلك بزيادة عدد الجرائم والمشاكل الاجتماعية، وذلك في نفس الوقت الذي ازداد فيه نشاط التيارات الإسلامية، بل وكل مظاهر التدين من عباءة ونقاب وإقبال على البنوك الإسلامية وغيره من مظاهر متعددة، فهل تزامن الظاهرتين دليل على أنّ إحداهما السبب في حصول الأخرى؟

الجواب لدي هو أن ازدياد ظاهرتين في وقت واحد لا يعني نهائياً أن العلاقة بينهما هي علاقة سببية، فمثلاً لو ازدادت مبيعات ملابس البحر في بلد معين بنفس الوقت الذي ازداد فيه سفر سكان البلد إلى دول معتدلة المناخ، فهل يعني ذلك أنّ إحدى الظاهرتين هي السبب في حدوث الأخرى كما يقول الباحثون؟ الجواب لا ولكن تلازم

الظاهرتين يعني أن هناك سببا آخر يقف وراءهما ويدفع بهما إلى الظهور بنفس الوقت وهو في مثالنا هنا قدوم أشهر الصيف وارتفاع درجة الحرارة. وكذلك وبالمثل أقول أنّ زيادة نشاط التيارات الإسلامية وتزامنه مع زيادة نشاط تيار الفساد الاجتماعي كلاهما نتيجة لسبب ثالث وهو تعقد المجتمع الكويتي ونموه وتمايز أفراده. فالمجتمعات مع تمايزها وتطورها تقل فيها المجموعة اللا منتمية، حيث تتمايز الناس في تيارات مختلفة، فمن شاء اختار التدين بأشكاله ومن شاء اختار الفساد بدرجاته ويقل من يقف بين هذين الفئتين. وتوصف العلاقة بين التيارات المختلفة بأنها علاقة تنافسية، ففي حين تحاول التيارات الإسلامية السبق للوصول إلى الجمهور لحمايته وتربيته على الإسلام، في نفس الوقت تنافسها تيارات الإفساد الاجتماعي للوصول إلى نفس الجمهور، وهكذا.

أمّا السؤال الثاني فهو لماذا تزداد مظاهر الفساد وضوحا عن السابق؟ والجواب هو أنّ التيارات الإسلامية اليوم تتزايد بصورة متناقصة عما كانت عليه قبل سنوات حين كانت تزايدها بصورة متسارعة، لأسباب عديدة منها حقد الحاقدين وتشكيكهم بها، وفي المقابل تتزايد تيارات التحرر بصورة متسارعة عن السابق، يدعمها الإعلام الفاسد بأدواته كالتلفزيون والإنترنت والفيديو كليب والأفلام الهابطة، وكذلك يدعمها انفتاح المجتمع الكويتي الواضح بدون توجيه على مختلف الحضارات والقيم، في ظل بلد تسير التغيرات الاجتماعية والتربوية والثقافيه فيه على البركة. ومن هنا فإنّ جهود التيارات الإسلامية بل ومعها التيارات المحافِظة بالكاد تنجح في الحفاظ على ما تبقى من الأخلاق العامة ، وفي تأخير وتعطيل التحول الاجتماعي نحو الفساد.

وإنني أتساءل في الختام: إذا كان كل هذا الفساد منتشر مع وجود التيارات الإسلامية، ترى كيف سيكون حال بلادنا لو خسرنا تلك التيارات ولم تعد تتحرك بنشاط.

يناير 2007

التعاون مع الليبراليين

لعلّ الاعتدال في الصراع بين الإسلاميين والليبراليين (مع إداركي أن المسميات غير دقيقة) في الكويت، وبقاء هذا الصراع ضمن ضوابط الدين والعرف والتقاليد يجعله أبرز خصوصيات الحياة السياسية الكويتية. وللتوضيح أقول أنّ لدينا في الكويت تدافع دائم بين الإسلاميين والليبراليين، وبالرغم من أنّ هذا التدافع بل والتصارع يدور في كافة الدول العربية والإسلامية الأخرى، إلا أنّ أبرز ملامحه في الكويت أن هذا التدافع بين الطرفين لا يمسُّ الإسلام كدين، بل يمسُّ الأشخاص والأفراد المتخاصمين، فالليبراليون مثلاً يؤكدون دائماً أنه ليس لديهم خلاف مع الإسلام كدين، ولكن خلافهم مع التيارات الإسلامية والقائمين على تلك التيارات، بعكس الليبراليين في بعض الدول الأخرى الذين يعلنون أنّ الإسلام كدين غير صالح للحياة. وفي المقابل فإنّ الإسلاميين في الكويت لا يجرؤون على أن يكفروا الليبراليين، بل والمعروف أنّ الكثير من الليبراليين يصلون ويصومون بل وزوجاتهم محجبات.

الشاهد على وجود مساحات كبيرة من الالتقاء بين الإسلاميين والليبراليين في بلادنا كان التصويت الأخير على قانونين يدعمان الأخلاق في الكويت وتقدم بهما النوّاب الإسلاميون، القانون الأول حول "عدم جواز تشغيل النساء ليلاً، وحظر تشغيل المرأة في الأعمال الخطرة أو الشاقة أو الضارة صحيا إضافة إلى الأعمال الضارة بالأخلاق والتي تقوم على استغلال أنوثتها بما لا يتفق مع الآداب العامة، وحظر عمل المرأة في الجهات التي تقدم خدماتها للرجال"، أما القانون الثاني فهو معاقبة "من أتى إشارة أو فعلاً مخلاً بالحياء في مكان عام بحيث يراه أو يسمعه من كان في مكان عام، أو تشبه بالجنس الآخر بأي صورة من الصور"، فاللافت للنظر أنّ التصويت تمّ بالإجماع،

يعني أن الليبراليين يتفقون مع الإسلاميين على ضرورة دعم الأخلاق والهوية الإسلامية العربية المعتدلة في الكويت، وأنّ الليبراليين مقتنعون بأنّ الأخلاق ليست مادة للصراع، وأنّ تدعيمها محل اتفاق وعمل مشترك، وهذا مما يستحق الوقوف طويلاً عنده. أتمنى على إخواني النوّاب الإسلاميين تسليط الأضواء على هذا التعاون الذي تمّ بين جميع أعضاء المجلس، بل وأدعوهم إلى شكر جميع من صوّتوا لصالح هذا القانون، وأدعوهم إلى التفكير جدياً في مزيد من التعاون في قضايا الأخلاق وحماية النشء وتدعيم استقرار الأسرة الكويتية مع الليبراليين وغيرهم من التيارات.

ختاماً، أهمس في أذن النوّاب الإسلاميين وبالذات نوّاب حدس أن يكونوا أكثر دبلوماسية وحكمة حين يتحدثون مع وزيرة امرأة. إنّ الحديث بفجاجة واستعراض مع الوزيرة الدكتورة معصومة لا يدل أبداً على شجاعة النائب أو تميزه، بل هو مما يسجل ضده ويثير استياء النساء الناخبات. إن فكرة "مع أنّها كانت دكتورتي في الجامعة ومدرّستي ولها فضل عليّ إلا أنني سأتطاول عليها وأوقفها عند حدها وأذّكِرها دائماً بأنها امرأة" هي فكرة متناقضة وتثير الغضب والشفقة.

ختاماً، أتمنى على إخواني في جريدة الحركة أن يوزعوا مع الجريدة لوحة ورقية مكتوب عليها "ما أكرمهنّ إلا كريم" لنعلقها جميعاً ولتكون لنا تذكرة، مع تمنياتي للجميع بالهداية والمغفرة.

يونيو 2007

المرأة وأحاديث منوعة

قضايا منوعة

شبابنا ومزارع الأبقار

حصل أن سُألت إحدى الشابات عن الكيفية التي تقضي بها وقتها، علماً بأنها جامعية وموظفة، وكان الجواب أنها تقضي وقت فراغها مساء مع صديقاتها في رعاية مزرعة الأبقار التي تمتلكها. والحقيقة أنّ الجواب أسعدني، فمن الجميل أن يكون للفتاة مشروع تجاري، ولكن ما أثار استغرابي أن ملامحها لا تشير إلى أنها تقضي وقتها تحت الشمس وفي رعاية الأبقار. ولما أدركت الفتاة حيرتي ضحكت وأكملت: لا يروح تفكيرك بعيد، إنه موقع على الإنترنت يسمح لنا بتملك مزرعة ورعاية الأبقار فيها، والفكرة تقوم على أن يقوم الشخص بالدخول المستمر والمتواصل إلى المزرعة حتى لا تغيب عنه أخبار أبقاره وحتى يتدخل لمساعدتها في أسرع وقت، فتجديننا نجلس كفتيات وأمام كل منا كمبيوترها المحمول، نتحدث ونشرف على مزارعنا. ثم ابتسمت قائلة: في إحدى المرات ضاعت إحدى بقراتي وتأخرت عن البيت وأنا أبحث عنها.

لا شك أعزائي القرّاء أنكم تشعرون مثلي بالأسى على الكثير من شباب هذا الجيل الذي لم يحسن استخدام نعمة الفراغ الموجودة لديه، وأخذ يقتلها بالألعاب السخيفة الوهمية التي ليس من ورائها منفعة تُذكر. إنّ جُل ما تسعى له الدول أن تخفف ضغوط الحياة على أبنائها حتى ينشغلوا بالإبداع والعطاء، وما حصل لدينا أننا خففنا ضغوط الحياة على أبنائنا حتى ضلوا السبيل وأخذوا يتفننون في قتل الوقت وكأنّ الفراغ مجرم يستحق الموت .

إنّ المشكلة في حقيقتها لها أبعاد متعددة، لعل منها تأخر سن زواج الفتيات والفتيان إلى أواخر العشرينيات من أعمارهم، وما يحصل أنهم بدلاً من أن يقضون أوقاتهم في رعاية أبنائهم والسهر على راحتهم، فإنهم يقضونها في رعاية حيوانات وهمية. من الأسباب الأخرى للمشكلة أن بعض الشباب لا يدركون قيمة الوقت، فهو لا يعني شيئاً بالنسبة لهم، وإلا لهبّوا لاغتنامه والاستفادة منه. إنّ من يهتم بالفراغ هو إما إنسان متدين يحسب حساب اليوم الآخر وسؤال الله له عن وقته وعمره فيما أفناه، أو إنسان عاقل يفكر بأن يخلد ذكره ويعمل لخير نفسه ومجتمعه، أو إنسان قلق على المستقبل فيعمل باجتهاد في أيام الصحة ليجني الثمار عند كبره. ويبدو أنّ الكثيرين من شبابنا ليسوا من الشرائح الثلاث المذكورة.

كذلك هناك دور لجمعيات النفع العام. إنّ جميع جمعيات النفع العام مطالبة بتبني الشباب وجذبهم لأنشطتها والاستفادة من أوقات فراغهم في بناء الوطن. والملاحظ هو أنّ الجمعيات الإسلامية هي الوحيدة التي نشطت في حفظ الشباب وحمايتهم في فترة المراهقة. ومهما اختلفنا في تقييم دور هذه الجمعيات الإسلامية، فإنها تبقى الوحيدة الفاعلة والتي تقدم رؤيا وبرامج للشباب. شخصياً، لي تجربة رائعة مع جمعية بيادر السلام، وأعلم تماماً أنها حفظتني في فترة المراهقة والشباب وفتحت لي أبواب الخير والعمل الاجتماعي النافع.

وهناك القطاع الخاص، وهو كذلك مطالب بالمشاركة. لقد أثبتت تجربة لوياك المتميزة أنّ الشباب يريد أن يشغل فراغه حتى ولو مقابل مبلغ زهيد، ولقد أقبل الشباب بشدة على تلك التجربة والتزم بها، فلماذا لا تعمَّم طوال العام؟ ولماذا لا يفكر القطاع الخاص بمسؤولياته تجاه الشباب الذين يعتمد عليهم كمستهلكين للغث والسمين من بضائعه؟

خاصة وأن القطاع الخاص متّهم أحياناً بأنه هو من يلقي الشباب في تلك السخافات ليتكسب من ورائهم.

أخيراً، هناك القطاع الحكومي والذي تكفّل بجميع مهام الرعاية الاجتماعية والتربوية للأفراد. هذا القطاع بيده أن يبدأ خطة عامة للشباب ويشارك بها القطاعات الأخرى الثلاثة، فالحكومة اليوم ليست قادرة على إدارة الشؤون الاجتماعية وحدها، بل هي بحاجة للشراكة مع أفراد المجتمع في ذلك.

ختاماً، فإن الشباب هم رأس مالنا الحقيقي وثروتنا الدائمة، وتدريبهم على استثمار وقتهم بالعمل النافع ضرورة، وكلنا مسؤولون بنسبة وتناسب عن ذلك، فهل من مدكر؟

نوفمبر 2011

ارجع لنا سالم

نعترف جميعاً كأفراد بضعفنا في اللغة العربية وارتكابنا للعديد من الأخطاء أثناء استعمالها، ولكنّ المؤسف حقاً أن تخطئ المؤسسات الرسمية في استعمالها للغة العربية وتكتب توجيهاتها هنا وهناك بلغة غير صحيحة، ما يجعل تلك التوجيهات لا تؤدي رسالتها المطلوبة، ولعل جملة (ارجع لنا سالم) دون وجود ألف التنوين في نهاية سالم بدلاً من جملة (ارجع لنا سالماً) هي أوضح نموذج لتلك الأخطاء. فإنك حين تقول (ارجع لنا سالم) بضم الميم فإن هذا يعني أن هناك أداة نداء محذوفة سبقت كلمة سالم وتسببت في رفعها، يعني أن الجملة هي (ارجع لنا يا سالم)، وطبعاً ليس هذا المقصود من هذه الجملة المطبوعة على شوارع الكويت، بل المقصود أن يرجع لنا سائق السيارة أيا كان اسمه سالماً معافى إلى أهله وأحبابه، ولذا فالصواب أن نقول (ارجع لنا سالماً). ولعل النكتة التي تمّ تداولها بين الناس عن شاب اسمه سالم خرج من بيته ثم عاد مسرعاً، وعندما تساءلت زوجته عن السبب أخبرها أنه كلما توجه إلى أحد الشوارع وجد نداء موجها إليه بأن يعود إلى بيته، فيجد نفسه مضطراً للعودة، لا شك أنها نكتة موفقة ومعبرة.

والغريب هو أنّ المؤسسات الحكومية جميعها دون استثناء تمتلئ نداءاتها بالأخطاء اللغوية، وكذلك الحال مع الخطب المخجلة التي يلقيها بعض كبار المسؤولين ويقومون بنصب السطر الأول كاملاً وكسر الثاني كاملاً ورفع السطر الثالث تاركين المجال لمن يسمعهم للضحك والتندر. وأما الإذاعة والتلفزيون وأخطاء المذيعين فحدّث ولا حرج،

وإنني أتساءل: ألا يستطيع هؤلاء تعيين اختصاصي لغة عربية يقوم بتشكيل تلك الخطب بقلم أحمر كما كنا نفعل في السابق حمايةً لأذن المستمع ورحمةً باللغة العربية؟

لقد باتت اللغة العربية بحاجة إلى إنشاء ما يسمى بنادى أصدقاء اللغة العربية لحمايتها والتنبيه إلى ما يُرتكب من أخطاء بحقها، فتارّة يظلمها أبناؤها من خريجي المدارس الأجنبية التي يتعاملون معها كلغز يستحيل فك شفراته، ويستبدلونها باللغة الإنجليزية جملة وتفصيلاً، وتارةً أخرى يظلمها أبناؤها من خريجي المدارس الحكومية الذين ما زال الكثير منهم لا يميز الفعل من الاسم، ولا يعرف التمييز من المنادَى. إنّ المشكلة قد أصبحت حقيقية واللغة العربية باتت غريبة في دارها وبين أهلها، وكلنا أمل بقيام تجمع تطوعي من أساتذة اللغة العربية ومحبيها لتعزيز مكانة لغتنا بين الناس من جديد، وللضغط لاستصدار قوانين من شأنها أن تحمي اللغة من أي عبث أو إهمال أو جهل يمارسه أبناؤها في حقها، بل وأن يقوم هذا التجمع الكريم بعمل دورات تدريبية لمن أراد ليصحّح لغته ويصوّب لسانه. وكلّي أمل بإنشاء نادي لأصدقاء اللغة العربية ونحن بانتظار من يتبنّى هذه الفكرة.

يناير 2007

بين الكتابة في تويتر وكتابة المقال الصحفي

دخلت عالم تويتر منذ ما يقارب الشهرين، واخذت بالتغريد والطيران مع من سبقني. واذا كان الطيران يعني الانطلاق والحرية والخفة في الفضاء الرحب، فهذا ما تجده في عالم تويتر. فانت تقول ما شئت في أيّ وقت شئت ولمن شئت.

الميزة التي حققها لي تويتر مقارنة بالكتابة الصحفية هي أنه يتناسب مع الاحداث الساخنة والمتجددة، والتي تتغير في عالمنا العربي هذه الايام كل ساعة وليس كل يوم، بما له من القدرة على النشر السريع الفوري، ما جعله مناسباً للتعليق على الأخبار. هذا وفي تويتر يحق لك النشر دون أن تمر بالرقابة او تخضع لقوانين الصحيفة التي تكتب بها.

ويتميز تويتر كذلك بالتواصل المباشر مع الجمهور، ففي الصحيفة يأتي الجمهور إلى المقال، وفي تويتر يذهب ما تكتبه إلى الجمهور.

ويتميز تويتر كذلك بسرعة تفاعل الجمهور مع ما نكتب، فيأتيك الرد منهم سريعاً دون عوائق، سواء ممّن يؤيد أو يعارض. ولا شك أن تويتر أوصلني إلى جمهور جديد من الشباب، ومكّنهم من التعرف علي، ومكّنني من التعرف على اهتماماتهم.

ومن مميزات تويتر أنّ كل فرد له الحق في أن يكتب وينشر وليس فقط المتخصص، بل إنّ الجميع يتساوى في المساحة المخصصة دون ميزة لطرف على آخر. ولكن لهذه الميزه وجه سلبي، حيث قد يختلط في تويتر المتخصص مع غير المتخصص. وهنا تبرز قيمة الكتابة في الصحافة حيث العلاقة بين كاتب المقال والجمهور هي أقرب ما تكون علاقة مانح ومستقبل، ما يعطي المتخصص ميزة تفضيلية من حيث المساحة

والأهمية، ويقدم فكر المتخصص على أنه يستحق الاتباع والتصديق، بل وتعطي الصحيفة كتابها هالة من الاهمية والحماية تتناسب مع توجه تلك الصحيفة ومكانتها، فيقدم نفسه للجمهور على أنه الكاتب في تلك الصحيفة أو غيرها.

ومما يتميز به المقال الصحفي أنّ المساحة المخصصة فيه للكتابة أكبر من 140 حرفاً المخصصة في تويتر، مما يجعل تويتر مناسباً لإرسال أفكار مركزة، ويجعل المقال الصحفي مفضلاً للمناقشة الوافية للفكرة وللاستطراد بها. كما تتميز الصحافة بتوثيق المعلومة وحفظها، فيما هي تتبخر في تويتر بعد نشرها بقليل، وتجد الصعوبة في الرجوع اليها.

ختاما، فسيبقى للمقال الصحفي مكانته وسيكون لتويتر دوره دون أن يأخذ أحدهما دور الاخر، كل ماحصل هو أنه في تويتر أصبح لدينا وسيلة جديدة للتواصل الاجتماعي، فهناك الديوانية، ثم الاذاعة والتلفزيون، ثم الهاتف النقال ورسائله، ثم الإيميل والمنتديات والبلوقات، وأخيراً الفيس بوك واليوتيوب والتويتر، والباب مفتوح لأي زائر جديد.

أبريل 2011

حملة لترشيد الاستهلاك

ارتبطت كلمتا ترشيد الاستهلاك عند الكثيرين بترشيد استهلاك الكهرباء والماء، وبالرغم من أننا حققنا القليل في ترشيد استهلاك تلك النعمتين العظيمتين، إلا أنّ المفهوم في حقيقته أوسع من ذلك بكثير. إن ترشيد الاستهلاك يعني أن يصبح الرشد من طبع المواطن في كل ما يستعمله في حياته، وأن يعرف المواطن الحد الذي يفصل بين الإنفاق المقبول وبين الإسراف، إذ لا يمكن أن يكون المواطن مسرفاً في كل شيء، ثم يكون راشداً عند استعمال الكهرباء والماء.

وللتدليل على ما أقوله من أنّ الإسراف أصبح جزء لا يتجزأ من ثقافتنا العامة، سأضربُ مثالاً من حياتنا اليومية، وهو إسرافنا في الحديث عبر الهواتف المتنقلة، وإدمان إرسال الرسائل القصيرة، فقد تضاعفت أرباح شركات الهواتف النقالة في الكويت وتجاوزت الملايين، وما جَنته تلك الشركات من إسراف المسرفين وحماقة المراهقين، وجيوب الآباء المساكين، وبالرغم من تكرار الحديث عن الآثار السلبية الصحية والإجتماعية لتلك الهواتف على الناس، إلا أنّ الإسراف والمبالغة في استعمال تلك الهواتف ما زال مستمراً.

مثال آخر هو الإسراف في الطعام، سواء ما يُطبخ يومياً لاستهلاك الأسرة أو ما يطبخ في عشاء الدواوين والمناسبات والعروس، أو ما يؤكل في المطاعم، حتى أصبح العشاء خارج المنزل من الطقوس العائلية المقدسة عند البعض..... بل ولنأخذ مثالاً أكثر بساطة نراه في كيفية استخدامنا للمحارم الورقية، فنحن نستعمل المحارم بدلاً من

الفوط لتنشيف الوجه واليدين، وبدلاً من المناديل للاستعمال الشخصي، بل وفي كل عمليات التنظيف والتنشيف في المنزل، حتى أصبح الناس يتساءلون عن إمكانية الحياة دون تلك المحارم، بينما في المقابل وجدت في زيارتي لإحدى الدول العربية أنّ المحارم الورقية توجد فقط في غرفة الضيوف لإكرامهم، ويستعمل الأهالي الفوط والمناديل عوضاً عنها. وتجد حتى أطفالنا بدأ بعضهم يتربى على الإسراف، فلدى الكثير منهم من الألعاب أكثر مما يجب، ولعل بعضهم يتسلى بتكسير ألعابه أكثر مما يتسلى باللعب بها.

الشواهد الأخرى كثيرة منها الإسراف في الإنفاق على الملابس والعطور وتغيير أثاث المنازل، وشواهد غيرها أثق أنّ القارئ لديه الكثير منها. لذا أعود في ختام مقالي إلى التأكيد أنّ أي محاولة لتوعية الناس بضرورة ترشيد استهلاك الكهرباء والماء لن تجدي نفعاً ما لم تكن جزءاً من حملة أوسع لمحاربة الإسراف على كل المستويات. إننا اليوم بحاجة إلى حملة إعلامية تركز على زيادة الوعي العام وإحياء الضمير لدى كل فرد منا بحرمة الإسراف مذكّرة إياه بقوله تعالى: (إنّ المبذرين كانوا إخوان الشياطين) والله المستعان.

مايو 2007

الشرطة النسائية

أجرت صحيفة الوطن في الأسبوع الماضي تحقيقاً استمر لعدة أيام حول موضوع الشرطة النسائية ، وكنت إحدى من قامت الصحيفة بمقابلتهم. وبعد استكمال التحقيق وقراءتي لجميع آراء الإخوة المعارضين والمؤيدين لدخول المرأة إلى الشرطة، أود أن أخصص هذا المقال للحديث عن بعض القضايا الهامة المرتبطة بهذا الموضوع.

بداية، إنّ تجربة الشرطة النسائية ليست جديدة على منطقة الخليج، وأسبَق دول الخليج هي سلطنة عمان. فمنذ عام 1972م شاركت المرأة العمانية في الشرطة النسائية، وكان دورها كما يشير الإخوة العمانيون في البداية مقتصراً على العمل في السجون والمطارات، ثم بعد عام أصبحت الشرطة النسائية تقوم بأعمال كثيرة مثل الأعمال الإدارية والتحريات والحاسب الآلي والتحقيقات الجنائية والجوازات والإقامة والجمارك وأمن المطار والسجون، وكلها أعمال تتناسب مع طبيعة المرأة.

كما أنّ الحديث عن الشرطة النسائية يعني مشاركة المرأة في نوعين من الأعمال، الأول هو الأعمال التي لا تحتاج إلى رجال بالضرورة ولا تتنافى مع طبيعة النساء مثل الحاسب الآلي والجوازات وغيره. النوع الثاني هو أعمال نسائية بحتة مثل التفتيش الشخصي للنساء ومطابقة الهويات والتحقيق في حوادث العنف المنزلي والتي تحتاج إلى شرطية امرأة للدخول إلى المنزل والحديث مع المرأة والتأكد من الأذى الذي لحق بها. أما الأعمال العنيفة كالمداهمات والمطاردات فأنا أؤكد على ضرورة بقاء المرأة الشرطية بعيدة عنها، فما نريده هو تكامل الأدوار بين الرجال والنساء وليس تماثلها.

ولأنّ المجتمع الكويتي مجتمع محافظ، فأنا أتوقع منه أن يتقبل الشرطة النسائية بسرعة، لكن بشرط أن يتم تسويق الموضوع تسويقاً صحيحاً، ويتم التأكيد على أنّ
عمل الشرطية لا يتنافى مع الدين أو القيم الاجتماعية، وأنّ هذا العمل لا يتعارض مع أنوثة المرأة ودورها الاجتماعي كزوجة وأم، وأنه سيسد ثغرة هامة واحتياجاً حقيقياً في المجتمع، وهنا فأنا أتفق مع إحدى أخواتي المشاركات في التحقيق والتي أكدت أنّ من ستدخل هذا السلك العسكري في البداية ستكون في وضع صعب، ولكن هذا شأن البدايات دائماً.

كما أتمنى أن يكون لباس الشرطة النسائية مناسباً بأن يراعي رغبة بعض المحجبات في أن يكون جاكيت البدلة الرسمية إلى الركبة، لضمان تحقيق الستر، وهذا بلا شك لا يعيق العمل المطلوب من الشرطية، بل إنه يراعي الحشمة ويشجع الفتيات على الانخراط في هذا العمل.

ختاماً، لا أرى داعياً للربط بين حصول المرأة على حقها السياسي وبين دخولها سلك الشرطة النسائية، ففكرة الشرطة النسائية كانت واردة منذ مدة لوجود حاجة فعلية لها، وربط الأمور بهذا الطريقة يضر أكثر مما يفيد.

يونيو 2007

مركز لدراسات المرأة

لعله بات من الضروري اليوم أن تقوم جامعة الكويت بإنشاء مركز لدراسات المرأة، على غرار عشرات الجامعات الراقية العالمية التي تفعل ذلك. إنّ المرأة تحتاج إلى مثل هذا المركز لتأخذ موقعها الطبيعي في المجتمع، فمثل هذا المركز سيوفر لها المعلومة والرؤية ويعطيها الخيارات لتتعامل مع القضايا المختلفة.

إنني آمل أن يكون لهذا المركز أربعة أقسام:

القسم الأول، لإصدار الدراسات الخاصة بالمرأة، مثل عمل دراسة حول دور المرأة اليوم داخل أسرتها، وأخرى حول مدى قدرة المرأة على الجمع بين مهام الوظيفة والمنزل، وحول معاناة المرأة التي تربي أطفالها بدون زوج وغيرها، وكذلك القيام بدراسات تستشرف صوراً كثيرة للمرأة في المستقبل، على أن يتم نشر نتائج الدراسات في كتب ودوريات ونشرات..

القسم الثاني، ويكون للإحصاءات والرصد الاجتماعي، ويهدف إلى تعريف المجتمع على واقع المرأة بلغة الأرقام والإحصائيات.أودُّ حقيقة أن أعرف مدى انتشار ظاهرة التدخين بين النساء، وظاهرة المرأة المسترجلة، وظاهرة الانفلات الأسري وعشرات من الظواهر الأخرى السلبية والإيجابية.

كذلك لا بدَّ من قسم ثالث يكون مركزاً يجمع كل ما نشر أو كتب حول المرأة الكويتية خصوصاً، وحول المرأة عموماً في مكان واحد. إنّ الدراسات والكتابات حول المرأة مبعثرة، بعضها في الديوان الأميري وآخر في مجلس الوزراء، والبعض في الجمعيات

النسائية أو المكتبات العامة أو مراكز معلومات الصحف، وجمعها وتنظيمها يعدُّ مساعدة قيمة للباحثين والدارسين.

رابعاً، قسم لتدريب وتأهيل المرأة لمواجهة التغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية المستجدة. ويستطيع هذا القسم أن يقترح ويشرف على مقررات دراسية جامعية حول المرأة وقضايا النوع أو "الجندر" كما يسمونها اليوم، وهذا من شأنه تمكين المرأة وترسيخ دورها الصحيح في المجتمع.

ختاماً، فإنّ وجود مركز لدراسات المرأة تحت إشراف جامعة الكويت يعطيه المزيد من الحس العلمي الجاد المحايد، في مثل هذه المرحلة الهامة التي تجتازها المرأة. إنّ الجمعيات النسائية لا تستطيع أن تتبنى مثل هذا المشروع المكلف، ولا حتى الوزارات أو الهيئات الخاصة، وتبقى جامعة الكويت هي المكان الأنسب لمثل هذا المركز. فهل يُكتب لنا أن نرى مثل هذا الصرح العلمي الذي طالما تمنينا وجوده لتكون الحركة النسائية أكثر إنجازاً وأوضح رؤية؟

نوفمبر 2005

برافو للجمعيات النسائية

تلقيت دعوة من قناة العالم التلفزيونية لتسجيل حلقة حول واقع الجمعيات النسائية في العالم العربي والخليج بالذات، وكان التساؤل الرئيسي للحلقة هو: هل حققت الجمعيات النسائية أهدافها، أم شُغِلت القائمات عليها بالأضواء والظهور الإعلامي؟ وقد تذكرت وأنا أسجل هذه الحلقة التلفزيونية التحقيق الذي أجرته جريدة القبس قبل مدة وكان محوره خمول وضعف أداء الجمعيات النسائية، متسائلة بيني وبين نفسي عن السبب الذي يجعل الجميع يتفنن في اتهام الجمعيات النسائية.

وكان جوابي الدائم لمن يتهم الجمعيات النسائية بالأداء الضعيف أن أطالبه بالنظر إلى تلك الجمعيات النسائية ضمن عموم جمعيات النفع العام في وطننا العربي، السياسية منها والمهنية والاجتماعية وغيرها، وأسأله: هل تعتقد أن أداء باقي جمعيات النفع العام أفضل من أداء الجمعيات النسائية؟ وهل نجحت تلك الجمعيات غير النسائية في تحقيق أهدافها؟ ولماذا لا تخصصون حلقات وندوات حول ضعف أداء عمل الكثير من جمعيات النفع العام والتي لا نكاد نسمع عن بعضها نهائياً، بينما تركزون على الجمعيات النسائية؟! هل الجواب لأن المرأة هي التي تقف وراء تلك الجمعيات ولأن المجتمع يستلذ أحياناً بإحباط المرأة ونقدها؟

والحقيقة أنني من المؤمنين بأن الجمعيات النسائية من أنشط جمعيات النفع العام (طبعاً بعد الجمعيات الدينية والخيرية)، والدليل أنّ الجمعيات النسائية يعمل فيها عدد لا بأس به من المتطوعين، وينتفع بخدماتها عدد كبير من الجمهور من الأطفال والكبار،

كما أنها ذات نشاط كبير واضح طوال العام ومتنوع قياساً بسواها من الجمعيات شبه الميتة والتي ما زالت تُصنَّف كجمعيات نفع عام فقط لأن لها مقرّاً وعنواناً.

كذلك من الضروري أن أشير إلى اتهام دائماً يوجَّه إلى الجمعيات النسائية بأنه لا يتم تدوير رئيساتها، والرد هو أنّ الدراسات قد أشارت إلى أن عموم جمعيات النفع العام في وطننا العربي لا يتغير رؤساؤها بالرغم من وجود انتخابات نزيهة، وسبب عدم تدوير منصب الرئاسة في تلك الجمعيات له أسباب كثيرة لا مجال لحصرها في هذا المقال، إذاً فالجمعيات النسائية لا تختلف عن سواها من جمعيات تطوعية. وأما الغمز بالجمعيات النسائية بأنّ أغلب منتسباتها فوق الأربعين عاما فالجواب هو ضعف إقبال الشباب على العمل التطوعي وهي ظاهرة عامة في أرجاء الوطن العربي، وتشير الدراسات إلى ضرورة معالجتها ضمن وسائل التنشئة الاجتماعية من إعلام ومدرسة وغيره. وعلى أي حال، فأنا أشكر كل امرأة تجاوزت الأربعين ووجدت أنّ أعباءها الأسرية تناقصت بعد أن كبر الأولاد واستقرت مسؤولياتها وقررت أن تشارك بعمل تطوعي يعود على المجتمع بالخير.

ختاماً، فلا أحد يدّعي أنّ العمل النسائي عمل كامل، ولكنّ استمرار تسليط الضوء على هذا العمل بلهجة تشكيكية وتحبيطية غير مقبول، والمطلوب هو مزيد من الدعم والتشجيع، والله الموفق لكل خير.

أبريل2007

الشباب والعمل التطوعي 1

يزداد إدراك الدول لأهمية العمل التطوعي يوماً بعد يوم، فبسبب تعقد الحياة تجد الحكومات نفسها غير قادرة على تغطية جميع احتياجات مواطنيها ما لم يقم هؤلاء المواطنون بالتحرك تطوعاً على القضايا المستجدة التي يعتبرونها هامة. والمتطوعون هم فئة تكون أكثر وعيا واهتماماً من غيرها بقضايا مجتمعهم، فيقودهم حسُّهم الديني أو الاجتماعي أو الإنساني القوي إلى التحرك عند وجود خلل ما أو مشكلة معينة أو قضية يعتقدون بأهميتها، ويقوم هؤلاء المتطوعون بالتجمع والعمل بغية التنبيه وإيجاد الحلول، مدركين أنّ نجاح مشروعهم التطوعي يحتاج إلى التنظيم والتخطيط والالتزام وحسن التعامل مع الآخرين.

إنّ بدايات العمل التطوعي عبر التاريخ ارتبطت بالأنبياء والمصلحين الذين وهبوا حياتهم دون مقابل مادي من أجل إصلاح معتقدات الناس وتصوراتهم، واستمر العمل التطوعي والديني والخيري بكونه الأكثر نشاطاً، ثم بدأ بأخذ أشكال أخرى تنموية وبيئية وسياسية، مع بقاء العمل الديني والخيري في المرتبة الأولى في قدرته على استقطاب المتطوعين وبالذات الشباب على مستوى العالم.

لقد أصبح للعمل التطوعي اليوم إطار قانوني يسمّى "منظمات المجتمع المدني"، ويُقصد بها الجمعيات غير الحكومية كجمعيات النفع العام والنقابات المهنية والتجمعات الدينية وغيرها. ومنظمات المجتمع المدني تشابه القطاع الحكومي بكونها لا تهدف للربح وأنها تخدم مجتمعها، فيما تشابه القطاع الخاص بكونها رشيقة وسريعة الحركة والتجاوب مع المتغيرات، ولعلنا نستحضر عشرات القضايا كشاهد على نشاط تلك

المنظمات منها قضايا المعاقين وقضايا المرأة وقضايا البيئة والأمثلة كثيرة. ويعتبر ظهور هيئات المجتمع المدني في أي بلد دليل على وعي الأفراد فيه، فهؤلاء الأفراد ارتضوا أن يعطوا شيئاً من جهدهم ووقتهم لخدمة المجتمع وقضاياه، ما يدل على سمو مشاعرهم وإدراكهم الصحيح لمفهوم المواطنة.

ويقاس نجاح العمل التطوعي بمقاييس عدة أهمها قدرته على اجتذاب الشباب، فهم الفئة الأكثر نشاطاً وحماساً وابتكاراً وعطاءً. وتشير البحوث المنشورة إلى دور العمل التطوعي في تدريب الشباب "على مفهوم التكافل بين أفراد المجتمع، وزيادة شعورهم بالمواطنة والانتماء، وتدريبهم على التنافس السلمي والتسامح، والتأكيد على أنّ العمل الجاد هو وسيلة التغيير الأفضل في المجتمع، وكذلك فمؤسسات المجتمع المدني هي مركز للتدريب على الديمقراطية والتشاور والتأثير المقنع على متّخذي القرار، وأخيراً فهي إحدى وسائل التنشئة الاجتماعية الفعّالة في المجتمع".

ويأتي السؤال الهام وهو إلى أيّ مدى نجحت جمعيات النفع العام في الكويت في استقطاب الشباب، وما هي معوقات إقبال الشباب على تلك الجمعيات؟ هذا هو موضوع المقال القادم.

أغسطس 2007

الشباب والعمل التطوعي 2

يقاس نجاح العمل التطوعي بمقاييس عدة أهمها قدرته على اجتذاب الشباب، ويوصف الشاب الذي ينخرط بالعمل التطوعي بأنه شاب واعٍ ومدرك ولديه حس وطني عال ومفهوم واضح للمواطنة، وارتضى أن يعطي من وقته لصالح الآخرين. وفي المقابل فإنّ التطوع يعود بالفائدة على الشاب، فالشاب يقضي وقته وفراغه في عمل هادف، كما أنه يكتسب الكثير من المهارات الاجتماعية والقانونية والإنسانية، ويكون في المستقبل مؤهلاً للعمل العام بما اكتسبه من خبرة وعلاقات.

وتشير الدراسات إلى أنّ عزوف الشباب عن العمل التطوعي في وطننا العربي عامة يعود إلى عدة أسباب، منها عدم إدراك الشباب لأهمية مثل هذا العمل ومردوده عليهم وعلى المجتمع، وكذلك عدم معرفتهم بما هو موجود من أنشطة تطوعية وجمعيات نفع عام، وعدم قدرة جمعيات النفع العام على تدريب الشباب وتأهيلهم للانخراط ضمن كادرها التطوعي.

وتدرك جمعيات النفع العام أهمية الشباب، فهم يحملون لها التجديد والطاقة والنشاط، ويرفدونها بمهاراتهم المتميزة دون مقابل مادي، كما أنّ الشباب هم الصف الجديد الذي ينتظر أن يكمل مسيرة العمل التطوعي. وبالرغم من احتياج جمعيات النفع العام إلى الدماء الشابة إلا أنّ هناك ما يجعل هذه الجمعيات ضعيفة في قدرتها على اجتذاب فئة الشباب خاصة مقارنة مع الفئات الأخرى الأكبر سناً للأسباب التالية التي لمستها من خلال السنوات الطويلة التي أمضيتها في العمل التطوعي:

1. إنّ دوافع الشباب من التطوع تختلف عن دوافع من هم أكبر منهم سناً، فالشباب يريد من وراء العمل التطوعي أن يحصل على الخبرة والتدريب والمعرفة، بينما الفئة الأكبر يكون لديها أصلاً الخبرة والمعرفة والتي تريد توظيفها لصالح العمل التطوعي، ما يجعل التعامل مع الفئتين مختلفاً، ويجعل من الضروري قيام برامج تطوعية خاصة للشباب.

2. إنّ بعض الشباب يدخل العمل التطوعي وهو كثير النقد لما هو قائم، ولا يعطي العذر لما يلمسه من نقص. كذلك فالشباب يريد عملاً تطوعياً ممتعاً مرناً يسهل الدخول إليه والخروج منه وفيه الكثير من التقدير والاهتمام. بينما يدخل الأكبر سناً إلى العمل التطوعي وهم أكثر إدراكاً لصعوباته وتقديراً للقائمين عليه، كما أنّ الفئة الأكبر لديها صبر ومثابرة واستمرارية أكثر من الشباب.

3. يجنح الشباب إلى الكثير من الأفكار التطوعية صعبة التطبيق لقلة خبرتهم بقوانين البلاد ووضعها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، صحيح أنّ بعض تلك الأفكار يكون إبداعياً غير تقليدي، ولكن بعضها الآخر يكون تطبيقه شبه مستحيل. ثم قد يحبط الشباب لأنّ أفكارهم لم تطبق ويظنون أنّ هذا دليل على عدم الاهتمام.

4. إنّ القائمين على العمل التطوعي كثيرو الأشغال وليس لديهم وقت ومال لتدريب أناس جدد. إنّ الحديث عن استيعاب منظم وواضح للمتطوعين ضمن برامج خاصة يجعل جمعيات النفع العام بحاجة إلى تدريب ومهارات ودعم كبير.

ختاماً، إنّ الساحة لا تخلو من جمعيات وجهات نجحت في استقطاب المتطوعين الشباب، ولكن حتى تعمم التجربة على جميع جمعيات النفع العام، فإن هناك الكثير مما يجب الحديث عنه وإنجازه، وهذا ما سيتضمّنه المقال القادم والأخير حول هذا الموضوع.

أغسطس 2007

الشباب والعمل التطوعي 3

يستطيع العمل التطوعي أن يلعب دوراً متميزاً في التنشئة الإيجابية للشباب الكويتي، وذلك من خلال تحويله لوقت شبابنا الفائض من وقت يُصرف فيما لا ينفع بل وقد يضر، إلى وقت مثمر وموجَّه وإيجابي ويخدم الوطن ويعود على الشباب بالخير والفائدة. وحتى يتم ذلك فإننا بحاجة حقيقية إلى العمل في خطين متوازيين، الخط الأول، هو تحفيز الشباب للتطوع وتوعيتهم بأهميته وقدرته على صقل شخصياتهم وتهيئتهم للعمل العام وإكسابهم مهارات اجتماعية وقيادية منوّعة. والخط الثاني هو تهيئة برامج متميزة مدروسة لاستيعاب الشباب، وهذه البرامج إما أن تكون حكومية أو أن تكون مقدمة من مؤسسات المجتمع المدني المختلفة. وقد سارت في هذين الخطين دول كثيرة قبلنا وأثبتت نجاحاً ملحوظاً يحق لها التباهي به، حتى أصبح التطوع جزءاً من ثقافة شبابها وعنواناً للمواطنة الحقيقية.

ولتحقيق ما سبق، فإننا جميعاً مطالبون كجهات شعبية وحكومية بالعمل الدؤوب، فالجهات الشعبية كجمعيات النفع العام على اختلافها مطالبة بإعادة النظر في ضعف قدرتها على استيعاب الشباب، ولا بدَّ لها من الاجتماع فيما بينها لتتدارس أفضل الطرق لإحياء ما مات من حيوية الكثير منها، ونريدها أن تجيب على سؤال كبير مفاده كيف يمكنها كجمعيات أن تستقطب الشباب وأن تجندهم للعمل العام وأن تستفيد منهم وتفيدهم لما فيه خيرهم وخير الوطن.

ولعله من المفيد هنا أن أقترح إنشاء جمعية نفع عام جديدة هدفها رفع كفاءة جمعيات النفع العام القائمة وتدريبها على كيفية استيعاب الشباب ضمن صفوفها.

أمّا الجهات الحكومية والتي تستطيع أن تلعب دوراً هاماً فهي عديدة، منها الإدارات المسؤولة عن العمل التطوعي في وزارة الشؤون والتي أتمنى عليها أن تتحول من دورها المشرف على جمعيات النفع العام، إلى شريك في تفعيل العمل التطوعي على مستوى البلاد، وهي قادرة على ذلك لو أرادت. كما تستطيع المدارس والجامعات والهيئات تشجيع الشباب على التطوع من خلال عمل أنشطة ومهرجانات تطوعية في فترة العطلات المدرسية كما تستطيع تقديم مقررات دراسية عملية ونظرية حول العمل التطوعي. كما يستطيع الإعلام الحكومي أن يعمل برامج لتشجيع التطوع وتكريم القائمين عليه، كما لا بد من الإشارة إلى أنّ المستشفيات والمتاحف والمكتبات والأماكن الترفيهية هي أيضاً جهات قادرة على المشاركة في استيعاب الشباب المتطوع، وهي أماكن جذّابة ولديها الكثر مما تقدمه لمجتمعها.

ختاماً، فإن تجنيد الشباب في العمل التطوعي يصب في مصلحة الوطن ومصلحة الشباب ومصلحة الكثير من المؤسسات القائمة، ولعلي أكون من خلال مقالاتي الثلاث حول هذا الموضوع ، قد قدمت ما هو أكثر من مجرد النقد للواقع الحالي، والله الموفق لكل خير.

أغسطس 2007

أصدقاء المرور

تصل تكاليف الحوادث المرورية سنوياً إلى نسب مرتفعة من الناتج المحلي للدول، ففي المملكة السعودية مثلاً، وصلت إلى حوالى 61 بليون ريال أو ما يشكل حوالي 8% من الناتج المحلي الإجمالي السعودي وذلك في دراسة نشرت قبل أربع سنوات تناولت الآثار الاقتصادية للحوادث المرورية، وتطرقت الدراسة إلى أن تكاليف حوادث المرور تشمل التكاليف المباشرة كالفاقد الاقتصادي للوفاة والعلاج، وتكاليف الإعاقة والتأمين، والتكاليف القانونية، والإجازات الطبية، والإضرار بالممتلكات العامة والخاصة وتشمل كذلك التكاليف غير المباشرة، وهي تكاليف التحقيق، وتكاليف جهد رجال المرور والدفاع المدني، ورجال الإسعاف والرسوم والمخالفات، وتوقف العمل وتأخر الإنتاج، وفقد الخبرة، والآثار النفسية والمعنوية لمرتكبي الحوادث المرورية .

أمّا في الكويت فإنّ الوضع لا يبدو أفضل، بل إنّنا أمام قضية وطنية تكلف الدولة ملايين الدنانير سنوياً بل وتكلفها الكثير من أرواح أبنائها، ما يجعلنا بحاجة للقيام بحملة توعية وطنية تستفيد من جهود المتطوعين في التخفيف من تلك الحوادث، علماً بأنّ مثل هذا التعاون قد أثبت أنه ناجح في دول أخرى. إنّ أهمية الاستعانة بالمتطوعين في حملات التوعية المرورية تكمن في أنّ المتطوع يتميز بالصدق والحماس والاندفاع والابتكار، وفوق كل ذلك فالمتطوع لا يكلف أي مبالغ مالية إلاّ أن يجد الاحترام والإنصات والتقدير والجدية في العمل.

لقد نظمت الكثير من الدول حملات توعوية أثبتت فعاليتها، شارك فيها شباب كانوا في يوم من الأيام ضحايا الحوادث المرورية، وكانت تجربتهم الأليمة بل وربما إعاقتهم

درساً بليغاً في نتائج القيادة المتهورة. كما تمت الاستفادة من تطوع أهالي ضحايا حوادث المرور، ليعرف الشاب أنّ نتائج السياقة المتهورة تمتد لتشمل أحبابه وأهله. كذلك لا مانع من الاستفادة من الشرطة السابقين ممن لهم خبرة ورغبة بعد التقاعد في دعم العمل التطوعي. وفوق كل ما سبق فإن هناك الكثير من الشباب الواعي الناضج الذي سيتفاعل ويتطوع في هذه الحملة.

وقد اطلعت على دراسة أجنبية أجريت على مجموعتين من المدارس الثانوية، خضعت الأولى لحملات توعية نظمها شباب في العشرينات زاروا تلك المجموعة وعرضوا أشرطة فيديو متميزة عن السرعة والحوادث، ثم تحدثوا مع الطلبة عن تلك الحوادث، فيما لم تخضع المجموعة الثانية لنفس الحملة، وكانت النتيجة لصالح المدرسة التي استفادت من الحملة التوعوية، وانخفضت الحوادث المرورية لتلك المجموعة. هذا ويستطيع من يتصفّح الإنترنت أن يقرأ عشرات الأفكار الطيبة الناجحة التي تظافر فيها الجهد الحكومي والتطوعي لخدمة الوطن.

ختاماً، فقد قرأت لأحد الوعاظ قوله أنّ معارك الإسلام الفاصلة في عهد النبوة لم يسقط فيها مائة شهيد في حين ندفع في كل يوم بعشرات القتلى وآلاف الدنانير بسبب حوادث المرور، فهل آن الأوان لتتظافر جهودنا لإيقاف حرب الشوارع.

يوليو 2007

شبابنا وحوادث السيارات

إذا كانت حوادث المرور ظاهرة عالمية، فإنّ ارتفاع نسبة الشباب في حوادث المرور هو ظاهرة عالمية أيضاً، ويرجع السبب في ارتفاع هذه النسبة إلى خصوصية مرحلة الشباب وما يرتبط بتلك المرحلة من إيقاع سريع للأمور واعتقاد بالتميز وحب للاستكشاف وغيره، ما يحدو الدول جميعها أن تركز على الشباب في حملات التوعية المرورية على أمل أن تحميهم من أنفسهم، وعلى أمل الحد من اندفاعهم والذي كثيراً ما يقودهم إلى الموت أو الإعاقة.

إنّ تجربة السياقة للشاب تجربة مثيرة، فحصوله على مفتاح السيارة يعني الاستقلالية والانطلاق وحرية القرار والتحرر من تحكم الوالدين، كما يعني كذلك الكثير من المتعة بصحبة الأصدقاء. الخطير في الموضوع أن يعتبر الشاب –وهذا ما تشير له البحوث– أنّ قيادة السيارة باندفاع هو مظهر من مظاهر الرجولة، بمعنى أن يعتقد الشاب أنه كلما قاد السيارة بسرعة واستعراض وتجاوز القانون فهو بالتالي أكثر رجولة ومهارة. وبالرغم من أنّ هذا الربط بين الرجولة ونمط القيادة هو ربط غير صحيح، إلا أنه موجود عند البعض شأنه تماماً شأن قيام الكثير من الشباب بالربط بين التدخين والرجولة، أو البلطجية والرجولة وهكذا. ويزداد الأمر سوءاً إذا علمنا بأنّ البحوث تشير كذلك إلى أنّ الشاب يعتقد دائماً أنه أكثر مهارة من غيره في التعامل مع السيارة، بمعنى أنه يثق في قدراته لدرجة أنه لا يتّعظ بحوادث المرور لأنه يعتقد أنه أحذق وأنبه من غيره، وهذا ما يجعله أكثر تفاؤلاً بأنه لن يكون كغيره ضحية للحوادث المرورية.

ولعلاج ظاهرة الشباب وحوادث المرور قامت بعض الدول المتقدمة بجهود كبيرة، من تلك الجهود حملات التوعية التي تهدف إلى تغيير الصورة النمطية التي تربط بين الرجولة والقيادة السريعة الخطرة، والربط بالمقابل بين الرجولة وتحمل المسؤولية، وكذلك بين الرجولة والحرص على أرواح الناس وسلامتهم. كما زوّدت تلك الدول الكثير من السيارات بجهاز يشبه الصندوق الأسود يقرأ تحركات السيارة وسرعتها، وهو جهاز مماثل لما تستعمله بعض الشركات في الكويت لمتابعة سائقي سيارات الشركة، ويستطيع الوالدان عبر الإنترنت وباستخدام هذا الجهاز معرفة مكان سيارة ولدهم في أي وقت وسرعته في قيادتها. كما سنّت بعض الدول قوانين تلزم الشاب ألا يقود السيارة في الفترة الأولى لقيادته بعد ساعة محددة ليلاً، واشترطت تلك الدول أن يكون هناك إنسان ناضج يجلس بجانب الشاب في الأشهر الأولى لأنّ الدراسات تشير إلى أنّ الحوادث تقل إذا كان هناك ناضج بجانب الشاب حديث القيادة. وفي المقابل فقد منعت بعض القوانين الشباب من اصطحاب شباب آخرين معهم في السيارة في السنة الأولى للقيادة لأنّ البحوث تشير إلى ارتفاع الحوادث حين يتصاحب المراهقون.

لقد استعرضت الحلول السابقة التي سنّتها بعض الدول لحماية شبابها، وهناك الكثير غيرها من الحلول التي يعلمها المختصون بقضايا المرور، وأتساءل في الختام، هل قمنا في الكويت ببذل كل ما في وسعنا لحماية أحبابنا الشباب من حوادث المرور؟ الجواب لا، وسأتناول في المقال القادم ضرورة أن يتعاون العمل التطوعي مع العمل الحكومي في محاولة جادة لوقف حرب الشوارع.

يوليو 2007

"حملة ترشيد" لقيادة السيارات

تعتبر مشكلة ارتفاع حوادث المرور من المشكلات العالمية، وتُحسب خسائرها بملايين الدنانير، عدا خسائر الأرواح التي لا تُقدّر بثمن. وتتسبب ثلاث قضايا أساسية في حوادث المرور، أولها تتعلق بكفاءة السيارة أو المركبة، والثانية بالشارع وبيئة القيادة، والثالثة بالإنسان وهو المهم والأهم. ربما نكون في الكويت قد أنجزنا الكثير في قضية السيارة الآمنة، وأنجزنا أقل في بيئة السياقة وإصلاحات الطرق وإرشادات المرور، وأنجزنا الأقل في ضبط الإنسان الذي يقود السيارة.

فيما يتعلق ببيئة القيادة فلا شك أن الواقع العام مقبول، لكن بقليل من التدقيق تتضح سلبيات هي في نظري انعكاس للسلبيات الحكومية في الإدارة، والحقيقة أنه يصعب أن نطلب من قطاع حكومي بعينه أن يكون مختلفاً عن نظام إداري عام بسلبياته وايجابياته. فمثلاً، إنّ إحصائيات حوادث المرور المنشورة على موقع وزارة الداخلية هي إحصائيات بسيطة يحسن وصفها بتحصيل حاصل، وهناك حاجة إلى استخدام الطرق الإحصائية المتقدمة في تحليل الظاهرة المرورية. كذلك فاللوحات الإرشادية في الطرقات غير متوفرة كما يجب، وكمثال سريع تجد نفسك أمام مطب أشبه بالجبل الصغير دون أن تجد لافتة تقول انتبه أمامك مطب، ما يتسبب في تكسير السيارة. كما تختفي المعايير في العمل، فمثلاً تتفاوت أحجام المطبات ما بين صغيرة جداً وحادة إلى كبيرة جداً وعالية وبدون تخطيط، في تفاوت غريب لافت. أما الاختناقات المرورية والإشارات المعطلة وقصص الشرطة المتسلطين فحدّث ولا حرج.

وإذا انتقلنا إلى الجانب الثالث وهو قائد السيارة، فإننا نستطيع القول إن سلوك الناس في القيادة هو في الحقيقة انعكاس للثقافة السائدة في البلد، فحين تسود ثقافة الواسطة

فإنّ الفرد يستهتر في قيادته لأنه آمن من تطبيق القانون، وحين تسود ثقافة الإسراف فإنّ الفرد لا يبالي بما يصيب سيارة لم يتكلف كثيراً في شرائها، وحين تسود ثقافة البقاء للأقوى فإنّ المستهتر يشعر بالقوة الحقيقية والتميز حين يخالف قوانين المرور، وغيره كثير، ولأنّ كيفية تعاون الأفراد مع قوانين المرور هو جزء من الثقافة العامة للمجتمع، فإنّ علاج ضعف التعاون يصبح عملية متشابكة صعبة.

كذلك فقد اشارت الدراسات إلى أن السمات الشخصية للأفراد تلعب دوراً هاماً في تحديد نمط قيادتهم للسيارة، وقد وُجد مثلاً أنّ أكثر المستهترين بالقيادة يتميزون بصفات شخصية ضعيفة كالاندفاع والاستهتار واللامبالاة الاجتماعية، ما يجعل علاج ظاهرة ارتفاع حوادث المرور بدورها مزيجاً من جهود علماء الاجتماع والنفس والقانون والإحصاء وغيرهم.

ختاماً، فإن ارتفاع نسبة حوادث المرور هي مشكلة تحتاج إلى جهد جماعي لحلها، بل هي بحاجة إلى حملة أشبه بحملة "ترشيد" ولكن لترشيد قيادة السيارات، وسأكمل الحديث عن هذه المشكلة في مقالات قادمة. نسأل الله أن يحفظنا جميعاً ونعود إلى أهلنا سالمين بعد كل رحلة إلى شوارع الموت في بلادنا.

يوليو 2007

حملة الكابتن "سمير سعيد" لترشيد قيادة السيارات

تشير إحصائيات المرور في الكويت إلى أنّ أربعة أشخاص يقتلون كل ثلاثة أيام بسبب السيارات، ويكون المتوفى إما مدهوساً بسيارة أو راكباً فيها، مما يجعل قضية المرور من القضايا الأجدر بالرعاية كما أراها في الكويت. ولعلّ وفاة مجموعة من الشخصيات المحبوبة في تلك الحوادث، آخرهم الكابتن الرياضي سمير سعيد، سلط مزيداً من الضوء على حوادث المرور، وهذا شأن الشخصيات العامة، يخدمون المجتمع في حياتهم وكذلك حال وفاتهم.

أقترح في مقالي هذا حملة لترشيد قيادة السيارات تحمل اسم المرحوم سمير سعيد، لما لاحظناه من توافق شرائح المجتمع المختلفة عليه منذ حادث الدهس الذي تعرّض له، والتأبين الواسع الذي حظيَ به بعد وفاته بصفته شخصية دمثة رياضية واقتصادية واجتماعية. وهذه مجموعة نقاط أتمنى أن تتكوّن منها الحملة لعلها تكون ناجعة في التخفيف من تلك الحوادث، وأتمنى أن تُطبّق الحملة بجهود مشتركة بين القطاعات الثلاث الحكومي والأهلي والخاص، لإعطائها مزيداً من الزخم والتأثير.

أول خطوة في الحملة أن يظهر السيد وزير الداخلية أو السيد الوكيل في وسائل الإعلام ليعلن مرحلة جديدة حازمة في تطبيق قوانين المرور، ويؤكد أنّ الواسطة لن تنفع للتعامل مع أي حالة، وأنّ الحزم دون ظلم أو تعدي هو الذي سيسود قضايا المرور. وأقترح أن يحدد السيد الوزير أو الوكيل ثلاثة أشهر يطلق خلالها حملة للتوعية المرورية وإعادة تخطيط الشوارع وتركيب اللوحات الإعلانية الواضحة قبل تطبيق القانون.

الخطوة الثانية تكون بالحملة المرورية التوعوية المكثفة خلال الأشهر الثلاثة، وتشمل مدارس الثانوي بنات وبنين، والجامعات ومختلف أماكن التجمع، وبأكثر من لغة. كما تتم حملة توعية خاصة لسائقي شركات المواصلات الذين يقودون حافلات الموت كما أراها أحياناً وذلك في مواقع شركاتهم، وسائقي الأجرة والوانيتات المتهورين، وأماكن تجمُّع سائقي الشاحنات وسيارات النقل.

الخطوة الثالثة تكون في خلق عقوبات جديدة. فالغرامة المالية توجع قلب الوالدين الموجَع أصلاً على أولادهم المتهورين، ولعلّ الحل بعقوبة يتحملها الأشخاص بمفردهم، مثل تنظيف الحدائق العامة، أو الخدمة في تقديم أنشطة للسجناء، أو حتى تغسيل الموتى وتكفينهم كما فعل أحد القضاة في الإمارات الشقيقة.

الخطوة الرابعة هي في الإعلان اليومي عن ما تم حصره من مخالفات، وما تمَّ إنزاله من عقوبات، مع مقابلات شخصية إن أمكن تُظهر ألم المتضررين وحزنهم لضياع أموالهم وأحبابهم. لدينا كثيرون ممّن لا يمانعون التحدث عن كيفية تغير حياتهم سلباً بسبب الحوادث واستهتار سائقي المرور.

الخطوة الأخيرة بتطبيق القانون بجدية بعد انقضاء الأشهر الثلاثة. نريد أن يرتدي الجميع أحزمة الأمان وأن يتوقفوا عن إرسال الرسائل النصية أثناء القيادة، وألاّ يتجاوزوا حدود السرعة القانونية، وأن يتأكدوا من سلامة المركبات قبل قيادتها ، وأن يعرفوا قواعد المرور جيداً.

ختاماً، نعلم جميعاً أنّ الموت بيد الله وأنّه قضاءٌ وقدر، لكننا نعلم أيضاً أنّ الله قد أمر ببذل الأسباب والأخذ بها، فهل آن الأوان للولوج لمرحلة حازمة في إدارة المرور في الكويت. أبريل 2012

مقالات خاصة جداً

في الأربعين

إذا كانت كلُّ محطات العمر التي تبدأ بالصفر تحمل معنى مؤثراً، فإنّ لسن الأربعين ميزة على كل تلك المحطات. وإذا كانت سن العاشرة تعني بداية التكليف، وسن العشرين تعني بداية الاستقلالية، وسن الثلاثين تعني وضوح الرؤية، وسن الخمسين السباق في تدارك ما فات، وسن الستين كمال الوعي، فإن سن الأربعين هي مزيج من عشرات الأشياء.

بداية، فالأربعين هي السن الوحيد التي خصها القرأن بدعاء مميز، قائلاً سبحإنه (حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إنّي تبت إليك وإنّي من المسلمين) فهو دعاء مؤثر يتضمن الشكر على مضى، والدعاء للآتي، وإعلان الولاء لهذا الدين. تُرى ما المانع من أن نجمع أحبابنا حولنا في الأربعين وندعو بالدعاء السابق ونطلب منهم أن يؤمنوا عليه؟

في الأربعين يشعر الواحد منا وكأنه على قمة جبل، ينظر إلى السفح الأول فيرى طفولته وشبابه ويجد أن مذاقهما لا يزال في أعماقه، وينظر إلى السفح الآخر فيجد ما تبقى من مراحل عمره ويدرك كم هو قريب منها. إنه العمر الذي يكون الإنسان قادراً فيه على أن يفهم كل الفئات العمرية ويعايشها ويتحدث بمشاعرها.

في الأربعين يبدأ الشيب إن لم يكن قد بدأ سابقا، ويبدأ كذلك ضعف النظر فيصبح لكل منا نظارة قراءة يضعها دائماً في جيبه، وفي الأربعين نسمع لأول مرة من ينادينا في الأماكن العامة "تفضلي خالتي" راسمًا على وجوهنا الاستغراب للنداء الجديد، وفي الأربعين يلتفت لنا من هم في الستين ليقولوا لنا: يا بختكم ما زلتم شبابا، فيزداد استغرابنا.

في الأربعين تبدأ أزمة منتصف العمر، يبدأ السؤال القاسي بالظهور أمام الإنسان: ماذا أنجزت في عملك؟ في أسرتك؟ في حياتك؟ في علاقتك مع ربك؟ إنه سؤال يهز القلوب ويشغل التفكير. المشكلة أن الأيام مرت أسرع مما توقعنا، فأثناء طفولتنا كنا ننظر لمن في الأربعين على أنهم شبعوا من دنياهم، أما اليوم فنرى أننا لم نحقق الكثير مما وضعناه لأنفسنا، وأن السنوات تجري بنا ولا تعطينا فرصة لكي نصنع ما نريد.

في الأربعين ندرك القيمة الحقيقية للأشياء الرائعة التي تحيط بنا، ننظر إلى والدينا فنشعر أنهما كنز علينا أن نؤدي حقه، وإلى أبنائنا فنراهم قد غدوا كإخوان لنا ينتظرون صحبتنا، ننظر إلى الإخوان والأصحاب فنشعر بسرور غامر لوجودهم حولنا، كما ننظر إلى تقصيرنا وأخطائنا فنرى أنها لا تليق بمن هو في الأربعين يفترض الناس فيه الحكمة والتوازن.

في الأربعين يبدأ الحصاد، نشعر حقيقة أننا كنا كمن يجري ويجري، واليوم بدأ يخفف من جريه ويلتفت إلى لوحة النتائج ليقرأ ملامحها الأولية، وهو يعلم أن النتائج النهائية لم تحسم بعد، إلا أن التغيير بعد الأربعين ليس بسهولة ما قبلها.

إن الأربعين هي سن النبوة، كانت قبلها الإرهاصات والخلوات والرؤى تهيئ النبي الكريم لتحمل تكاليف النبوة ومشاقها، وكان قبلها حسن سير رسولنا وخلقه وسيرته العطرة، ولكن النبوة بدأت في الأربعين لأنه السن الذي يبدأ بعده الإنسان بنفع من حوله، فهل وعينا كل ذلك؟

تحية لكل من هم في الأربعين أو تجاوزوها بقليل، ولعل كلماتي تحمل العبرة لمن لم يصل للأربعين بعد، فيتذكرها في ذلك اليوم.

فبراير 2005

رحل محمد وترك فؤادي فارغًاً

توفيَ محمد ابني رحمه الله قبل ما يقارب الشهر، عن عمرٍ يتجاوز السبع عشرة سنة بقليل، وتركني وفي القلب غصة وفي العين دمعة وفي القلب فراغ كفراغ قلب أم موسى عليه السلام، أسأل الله أن يملأه بحبه ورضاه. ترددت قبل أن أكتب مقالاً أهديه لروحه، فقد تعوّدنا أن نرثي الشخصيات العامة لا الشخصيات العادية الخاصة، لكني رأيت أنّ من حقه علي كأم أن أعبر عن حبي له بما أملك من الأدوات، ووجدت أنّ الكتابة هي إحداها، فلكم اعتذاري.

بالرغم من أنّ محمد كان وما زال شأنا خاصاً بي وبأسرته، إلا أنه كان جزءاً من الشأن العام مرتين. الأولى حين سافرت إلى الصين في عام 1995 لحضور المؤتمر العالمي للمرأة هناك. ولما كانت الرحلة طويلة لمدة أسبوعين فقد أصريّت على أن آخذه معي، فلم أعتد أن أترك طفلاً من أطفالي في هذا العمر لفترة طويلة. وبالرغم من أن محمد لا يذكر شيئاً من تلك الرحلة لأن عمره كان حينها سنتين، إلا أنه كان يحتفظ دائماً بألبوم رحلة الصين ويتباهى أنه شارك ضمن الوفد الشعبي وصعد سور الصين العظيم والتقطتُ له الصور مع سيدات كريمات كلهن من أعلام الحركة النسائية. أما المرة الثانية فكانت عندما كتب محمد روايته الأولى والأخيرة (رجل بألف رجل) وأصبح بكتابتها أصغر روائي كويتي كما سمته الصحافة اليومية. وقد جلس محمد في معرض كتاب 2009 ووقّع على الرواية لمن رغب بشرائها. المفارقة أن محمد ظل يشكو من ضعف إقبال الناس على القراءة وخاصة عندما ينظر إلى كراتين قصته وهي قابعة

أمامه تحت الدرج في بيتنا، ولا يعلم أنها ستوزع كلها في يوم عزائه كذكرى، ولعل ما واسانا أن يخصه بالدعاء كلّ من رأى أو قرأ تلك القصة.

أمّا الحديث عن مشاعري ومشاعرنا كأسرة ونحن نفقد شاباً في السابعة عشر من عمره فلا أجد الكلمات القادرة على حمل أحزاننا، ولقد ثبّتني الله حين ظلت كلمات الحبيب المصطفى تتردد في أذني كجرس ينبهني (إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، ولا نقول إلا ما يرضي الله، إنا لله وإنّا إليه راجعون)، وكانت تلك الكلمات هي الترياق الذي مسح على قلبي وأوقف أي استطراد قد أذهب اليه. فمحمد كان بحكم سِنّه كالحياة للبيت، فكان شأنه كشأن أي مراهق، له في كل يوم حلمٌ جديد وطلبٌ مختلف، ساعة يريد سيارة وأخرى السفر وثالثةً الزواج، تارة راضياً عنا وأخرى معاتباً ومطالباً، إنه عمر المراهقة بصخبها وضجيجها، ما جعل وفاة محمد تلف البيت بحالة صمت مزعج وهدوءٍ قاتل، وبدا لي أنّ كل ما حولي ليس فقط يذكرني بمحمد، بل ويسألني عنه.

تذكرت حال وفاته قصيدة ابن الرومي ينعي ابنه، والذي كان اسمه محمداً أيضاً، وهو يردد: بكاؤكما يشفي وإن كان لا يجدي... وقوله: عجبت لقلبي كيف لم ينفطر له.... وقوله: لقد قلّ بين المهد واللحد لبثه... ولكني توقفت، فابن الرومي اعترض على قضاء الله وسخط على أمره، أما أنا فأحمده على كل حال. إنّ الإيمان نعمة كبيرة تنفعنا في الدنيا قبل أن تنفعنا في الآخرة، إنّ الإيمان يخبرنا بأنّ الخيرة فيما اختاره الله لنا، فالله ليس له مصلحة في أن يعذبنا، بل يريد خيرنا وخير أبنائنا، سواء أدركنا ذلك الخير أم لا. إنه حسن الظن بالله سبحانه واليقين بأن ماعنده خير وأبقى.

منذ وفاة محمد والتجارب المؤلمة الجديدة لم تتوقف، لا أستطيع وصف حالي وأنا أتوسل بابني ميتاً أمامي أن يجاوبني لكنه لا يفعل. لا أستطيع أن أصف عذابي وأنا

آمل أنه ربما في غيبوبة وسيستيقظ، إذ أنّ الوضع الطبيعي أن أموت أنا قبله لا أن يموت هو قبلي. ولا أعرف كيف أحدّثكم عن الليلة القاسية الأولى التي كان فيها يبات في الثلاجة وأنا بعيدة عنه في بيتي، وشعور الخيانة يملأ قلبي لأنني لست بجانبه. ثم التجربة الأقسى يوم ذهبت إلى المغسل لألقي عليه النظرة الأخيرة وهو يلبس الكفن ولا يبدو منه سوى وجهه، كان جميلا كما كان دائماً وشعره الطويل المموج زاده جمالاً، ولم ينجح حتى الموت في أن يقلل من ذلك الجمال والتألق، قبلته ووصيته: لا تنسَ ما ربيتك عليه من كلمات التوحيد والتي من شأنها أن تجمعنا في الجنة، الله ربك ومحمد نبيك والقرآن كتابك، ولا تنسَ أنّ الحبيب المصطفى جدك، قل لهم ذلك وستنالك شفاعته، ولا تخف حبيبي فستكون في يدٍ هي أرحم بك من يد والديك وأحبابك، ثم اطمئن فلن نلبث إلاّ أن نلحق بك. ثم لا أدري كيف أصوّر أول ليلة بات فيها ابني تحت التراب وأنا في فراشي أتوجع، ثم كانت أيام العزاء ولأول مرة أكون أنا الشخص الأساسي الذي يتوجه له الناس بالتعزية، وبعدها جاءت زيارتي الأولى لقبره وسلامي عليه بما تحمله تلك الزيارة من امتحانٍ لكل ذرة من ذرات الأمومة في أعماقي، وأخيراً أعجز عن وصف حياتي الآن ناقصة بدون محمد، بما يتخللها من أشواق جارفة أشعر بها نحوه، ورغبة مُلحّة في أن أضمه وأقبله وأخبئه وأحميه. لكني عاجزة عن ذلك كله.

ختاماً، تلخّص جسد محمد في صندوق من التراب، وتلخصت حياته في صندوق من الأوراق والشهادات أولها شهادة ميلاده وآخرها شهادة دفنه ووفاته، وبين تلك الشهادتين شهاداتُ المدرسة وما أنجزه في حياته القصيرة، فما أهون الحياة وما أقصرها وما أنكرها للجميل وما أجحدها لمن أحبها، وما أكثر تعلُّقنا بها وثقتنا بوعودها وانغماسنا

بتفاصيلها. أسأل الله لابني وقرة عيني محمد الرحمة والمغفرة ولموتانا وموتاكم الرضا والقبول، ولا أراكم الله مكروهاً بعزيز.

يناير 2011

الفهرس

مقدمة 5

المقالات الاجتماعية

نظرة مختلفة لقضايا المرأة:

للنساء فقط 11
أبسط حقوق المرأة 13
الزوجة القلقة 15
الزوجة الأولى 17
المرأة العانس 20
المرأة المطلقة 22
المطلقات الصغيرات 24
الزواج من خارج السرب 26
الزوج وراتب الزوجة 28
المرأة والمطبخ 30
المرأة في الدعايات التلفزيونية 32
الجراحات التجميلية 34
هل المرأة فكرياً عالة عل الرجل؟ 36
حفلات الزواج 38

البيت والأمومة والتربية:

خليكم بالبيت 43
بين الرعاية والتربية 45
شركاء في تربية الأبناء 47
استمتعوا بمشاهدة الأمومة 50
52

الأمومة وسلسلة الخسائر
الأمومة في خطر 54
الطفل والعنف الأسري 56
الإدارة المنزلية 58
الحرية السلبية 60
علموا أبنائكم حب الوطن 62
المرأة والرياضة 64
المرأة وقيادة السيارة 66
وزارة التربية أم وزارة التعليم 68

المرأة والعمل:

ربة البيت 73
المرأة بين البيت والعمل 75
المرأة وتحرشات العمل 77
المرأة بين واجبات العمل والتزامات الأسرة 79
العمل دور حياة 82
المرأة في بادية المخيال 84
نشاط المرأة الريفية 86

المقالات السياسية

المرأة بين الانتخاب والترشح:

كوني إيجابية 93
تحفيز المرأة الناخبة 95
تعس عبد الدينار 98
انحازوا للمرأة 100

ساعدوا المرأة 103
معايير نسائية للمرشح الجيد 105
بجانب كبل مرشح امرأة 107
المنظمات غير الحكومية والتمكين السياسي للمرأة 109

المرأة في البرلمان
وقفات مهمة في المسيرة السياسية للمرأة الكويتية 113
ما تعلمناه من تجربتنا البرلمانية الأولى 116
بعض الأمنيات للانتخابات القادمة 118
تفعيل الحقوق السياسية 120
الآن نوّر المجلس 122
مجلس بلا نائبة.. ولا شك نائبة 124

شذرات سياسية
إدارة الجماهير الغاضبة 129
إضاءات للأغلبية النيابية 132
تناقض في نظرتنا للبدون 134
نحو ديموقراطية حقيقية 136
دعوة لاحتواء التوتر الطائفي 138
بين نجاح أردوغان وفشل زين العابدين 140
تعلمت من ثورة الياسمين 142

المرأة وقضايا إسلامية
من الذي أخرجنا من الجنة؟ 147
رجال كأبي سلمة 149
شكراً للقضايا الإسلامية 151

مجلة نيوزويك والحجاب 153
أنصاف المحجات 155
الحجاب تاج فخار 157
حجاب خير النساء 160
شهر الفرحة والرحمات 162
المرأة في رمضان 164
المرأة والوقف 166

قضايا في عالمنا الاسلامي

المرأة في الحرمين الشريفين 171
الحج والتحديات الجديدة 174
أوزباكستان المسلمة 177
مؤتمر نسائي في تطوان 180

خطاب محب للتيارات الاسلامية

الحلقة الأضعف 185
التغيير يبدأ من الداخل 187
السكوت عن الظلم 189
مركز لدراسة الحركات الاسلامية 191
ناشطات الحركة الدستورية: برافو 193
نقد الذات العلني 195

تعدد الزوجات 198
تلميع المرأة الملتزمة 201
عندما صوّتت المرأة الملتزمة 203

المرأة وخبرة التيارات الاسلامية 205
مقابلة مع ناشطات إسلاميات 207
يتساءلون ونتساءل 210
التعاون مع الليبراليين 213

المرأة وأحاديث منوعة

قضايا منوعة

شبابنا ومزارع الأبقار 219
ارجع لنا سالم 222
بين الكتابة في تويتر وكتابة المقال الصحفي 224
حملة لترشيد الاستهلاك 226
الشرطة النسائية 228
مركز للدراسات النسائية 230
برافو للجمعيات النسائية 232
الشباب والعمل التطوعي ١ 234
الشباب والعمل التطوعي ٢ 236
الشباب والعمل التطوعي ٣ 239
أصدقاء المرور 241
شبابنا وحوادث السيارات 243
((حملة ترشيد)) لقيادة السيارات 245
حملة الكابتن ((سمير سعيد)) لترشيد قيادة السيارات 247

مقالات خاصة جداً

في الأربعين 251
رحل محمد وترك فؤادي فارغاً 254